كتاب

العالم الانكليزي

تأليف

بشارة كنعان

الجزء الثاني

طبع على نفقة أمين هندية

مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية


marefa.org

موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع المحتوى العربي والإضافة إليه، لإنشاء موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من مصادر مرخِصة بالنقل. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,587 مقال و 2,409,583 صفحة مخطوط فيها.

خلافاً للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. **ادع أصدقاءك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم.**

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام الأبجدية العربية، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر حيدر أباد وتنبكتو وزنجبار وسمرقند ملآى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات الضوئية والإنترنت بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات الممسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات باللغة العربية التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة بروكلمان لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات بالفارسية والتركية (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشتر وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في الصين وتنبكتو (مالي).

هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. إذا كنت تريد أن نعجل بنشر أي منها فأخبرنا بالضغط هنا.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات, أي تحويل الصورة إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع معرفة المخطوطات الذي يضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً ندعو القراء للمشاركة فيه (بالتسجيل هنا).
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع گوتنبرگ Gutenberg Project لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة **لمشروع گوتنبرگ** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي

جلالة الملكة فيكتوريا

The Queen, her life and reign

« ولادتها وتربيتها »

هي ملكة الانكليز وسلطانة الهند والحاكمة على خمس الكرة الارضية وعلى ربع سكانها . وهي الابنة الوحيدة للدوك اوف كنت (وهو الامير ادوارد اوغست) رابع اولاد الملك جورج الثالث اخي الملكين جورج الرابع ووليم الرابع .

ولدتها امها فيكتوريا شقيقة ليوبولد ملك بلجيكا في كنسنتون بمدينة لوندرا فجر الاثنين ٢٤ مايو سنة ١٨١٩ الساعة ٤ والدقيقة ١٥ فسرّ بها والدها سروراً لا مزيد عليه حيث قرأ في وجهها آيات السعادة وبشائر اليمن وقدَّر لها اذا عاشت مستقبلاً عظيماً ومركزاً خطيراً ولقد اتخذ هلال سعودها بنمو معها من المهد ذلك ان مات عمها الاكبر ولي العهد بدون خلف واكبر الاثنان الباقيان قبل ان يتزوجا فازداد ولع والدها بها حتى لو امكنه ان يودعها على فؤاده لفعل وما كان يزوره احد من اصدقائه الا ويقول له فرحاً مسروراً اني واثق بالله انه اذا عاشت هذه الطفلة تصير ملكة الانكليز . ولقد احتفل بعمادها بعد شهر من تاريخ ولادتها احتفالا شائقاً جداً ودعيت الكسندرينا فيكتوريا باسم القيصر واسم امها وقد غلب على هذه التسمية اسم فيكتوريا وحده



الملكة فيكتوريا

اما محبة والدتها لها فما لا يستطاع ولا بالوهم ادراكه فانها كانت تسبق ظلها في ملازمتها ولا تقوى على مفارقتها لحظة وما كانت ترضعها الا من ثديها وتأبى ان يخدمها غيرها

وقبل ان تتم الشهر السابع من عمرها عاد ابوها يوماً من الصيد مبلل الثياب منهوك القوى وتوجه تواً الى مقصورتها ليلاعبها كعادته قبل ان يغير ثيابه فاصابته من جراء ذلك نزلة شديدة قضت عليه في سنة ١٨٢٠ فانقضّ هذا المصاب على والدتها انقضاض الصاعقة فملأ الحزن قلبها وقرّح كبدها حتى كاد يقضي عليها أسىً وقد كتبت تبث شجنها لصديقة لها بما معناه :

« لم يمهل الدهر ابنتي لبلوغ الشهر الثامن من عهد حياتها حتى جرّ علينا « ذيل مصائبه واصلانا بنار نوائبه فتيتمت ابنتي من ابيها وترملت انا بفقد زوجي « في موطن لم ألف فيه من يدري بلغتي فيعزيني على مصابي او يواسيني في « احزاني حتى كاد يذهب الغم فيه بذخيرة صبري لو لم يلهمني الله الثبات في « مقارعة الخطب وقد ابتعدت عن القصر الملوكي لما فيه من المفاسد واقمت « هنا في كنسنتون حيث كرست حياتي واوقفت نفسي على قضاء واجب « عظيم عليه مستقبل ايامي الواجب الذي صار ديني وشغلي الا وهو تربية ابنتي »

وقد عاشت الدوقة مع ابنتيها فيودورا (من زوج غير الدوق كنت) وفكتوريا معيشة تامة في البساطة في قصر كنسنتون فكانت تصرف جانباً كبيراً من النهار في تعليمها واجدة في ذلك اعظم سلوى وتعزية على مصابها وتصرف القسم الآخر حيناً بالتنزه اما في عربة او على ظهور الجياد وحيناً بالجلوس في فصلي الصيف والربيع على بساط الارض السندسي في روضة

قصرها تحت ظلال الاشجار وكان لفيكتوريا في تلك الخلوة حمار صغير قد شغفت بركوبه كثيراً .

وقد رآها ذات يوم احد كتبة الجرائد وهي سائرة بين امها واختها في حديقة القصر تحيط بهن بعض السيدات تتبعهنّ خادمتان تجر احداها ذاك الحمار الصغير فاقترب منهن بكل احترام وبادرهن بالتحية فردّت عليه الاميرة الصغيرة بالطف جملة يقول في وصفها انها كما قد أُفرغت في قالب الحسن والجمال قد أُلبست في صغرها حلة الأَدب والكمال فهي مثال المجد ومكارم الاخلاق وما اشبهها بالمرحوم والدها الدوق كنوت

وقد عكفت والدتها مع مربيتها على تربيتها كل مدى ترملها الطويل . ولما بلغت الخامسة من عمرها عين لها البرلمان ستة آلاف جنيه سنوياً لتنفق على تعليمها وتهذيبها فتعلمت من اللغات الانكليزية والفرنساوية والالمانيـة والايطالية واللاتينية ومن العلوم والفنون الرياضة والموسيقى والرسم وتعلمت من الصغر على الثبات في كل الاعمال والاقتصاد في جميع كافة النفقات وحب الاحسان والميل الى مساعدة الفقراء وقد حفظت الولاء لمربيتها فجازتها فيما بعد خير جزاء .

ومما قالته عنها هذه المربية انها لم تكن تسلم لكل ما يقال لها بل كانت تجادل وتناقش وتبحث عن وجوب نفع كل امر ووجوب ضرره ولا تأخذ به الا وهي على بينة منه

ولما تبوأ عمها وليم الرابع اريكة الملك ولم يكن يرزق بنين اصبحت اقرب العائلة الى الملك فباتت ولي عهده قبل ان تبلغ اشدها وزادها البرلمان

راتبها السنوي الى ستة عشر الف جنيه فاوتأت وقتئذ والدتها ومربيتها ان تطلعاها على ما يتهيأ لها من سمو المقام وخطارة المركز فوضعت لها المربية في كتاب التاريخ الذي ألفت مطالعته جدولاً مبيناً فيه سلسلة نسبها

فلما فتحت الكتاب ووقع نظرها عليه اندهشت واعادت تلاوته اولا وثانيا ثم قالت للمربية احقاً ما أرى فاجابتها ان ما تريه هو عين الحق قالت فيكتوريا اذاً لماذا لم اره قبلا فاجابت لان ذلك لم يكن ضرورياً من قبل كما هو الآن قالت ايها الاميرة اقرب العائلة الى الملك .

فصمتت برهة ثم استأنفت الكلام قائلة ان المركز خطير جليل يكاد يفوق حد الامل وكثيرون يمتونه ويتهافتون عليه حباً بالمجد ورفعة الشأن ولكنه محفوف باعظم المخاطر واشد الاهوال ثم فركت جبينها بيمناها واشارت الى المربية باليسرى وقالت ولكني سانهج نهجاً حسناً وقد ادركت الآن سبب اجتهادك بنوع خصوصي في تعليمي اللغة اللاتينيـة التي هي اساس اللغة الانكليزية ثم اشارت بيدها ثانية وكررت قولها الاول سأسير السير الحسن

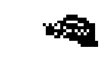
قالت لها المربية حينئذ . ان امرأة عمك لم تزل في ريعان شبابها وربما وضعت اولاداً فيكونون احق منك بالملك . فاجابت الاميرة على الفور انني لا استاء من هذا الامر وحبذا لو تم وانا اعلم بما هي عليه امرأة عمي من الفرط الموجود نسل لها واعرف شدة محبتها للاولاد من محبتها لي وعطفها علي فبهتت المربية عند سماعها هذا الجواب وزادها حيرة ما رأته من عدم الاكتراث بالملك وبقيت كذلك لا مطمع لها غير اتباع النهج القويم حتى استوت على عرش المملكة الانكليزية فاستمالت قلوب رعاياها واحبتهم حباً

شديداً فاعتبروها اعتباراً واعظموها اعظاماً يفوق حد الوصف كما سترى .

« توليها وصباها »

ما تنفس صباح العشرين من شهر يونيه سنة ١٨٣٧ حتى توفي وليم الرابع ملك انكلترا بلا خلف واشرقت شمس الاميرة فيكتوريا في سماء العظمة والمجد اذ خف الى قصرها حال وفاة عمها رئيس اساقفة كنتربري مع بعض عظماء المملكة ليخبروها بما اتاها الله من الملك العظيم . وكانت لا تزال نائمة في مقصورتها فايقظوها وبادرها بالخبر عند مقابلتها رئيس الاساقفة فاغرورقت عيناها بالدموع حزناً وشفقة وقالت له ارجوك يا ابتي ان تصلي لاجلي وجثت هي على ركبتيها لجثاء رئيس الاساقفة والحضور من حولها وتضرعوا جميعاً لله من اجلها .

واول شيء خطر بخاطرها وجوب الاسراع بتعزية زوجة عمها المتوفي ادلايده فكتبت لها كتاباً تعزيها فيه جميل العزاء على مصابها وتشاركها في احزانها وعنونت ظرف الكتاب هكذا .. الى جلالة الملكة .. كما اعتادت ان تعنون رسائلها اليها فنبهوها بلطف ان العنوان يكون . الى جلالة الملكة الارملة فاجابت اني اعرف ما تنبهوني اليه ولكني لا احب ان اكون اول من يخبرها بتغيير مركزها ثم اسرعت الى مقصورة والدتها والقت بنفسها بين ذراعيها وقالت تراني يا اماه ملكة انكلترا ولا اكاد اصدق ما ارى لان بين حالتي بالامس ومركزي اليوم بوناً عظيما وانا ساعتاده بوقت قريب . وبعد برهة هادئة طلبت الخلوة بنفسها فمكثت نحو الساعتين استجمعت فيهما كل قواها ثم دخلت قاعة البرلمان المؤلف من اعاظم رجال المملكة فقوبلت بمراسم





لاكي الفتاة

المؤلف

الاحتفاء ومظاهر الابهة ونودي بها « ملكة انكلترا » في ثاني يوم من كوة بيعة سان جمس حيث حضر اكابر المملكة وعظماءها واقسموا لها يمين الطاعة ثم اقيم الاحتفال بتتويجها واقبل الانكليز لحضور ذلك الاحتفال من كل قطر وناد فضاقت بهم المدينة على اتساعها وبلغ ثمن تذكرة الحضور خمسون جنيهاً وبلغت نفقات التتويج ٦٩٤٢١ جنيه . وكان ثمن التاج الذي توجت به في ما حوى ترصيعه بالحجارة الكريمة ١١٢٫٧٦٠ جنيه .

ولما طيف بها ذلك اليوم في شوارع لوندرا العامرة ارتفعت اصوات الأمة بالابتهال هاتفةً « اللهمّ بارك مليكتنا الفتاة » .

وقد دهش الناس من حسن تصرفها بما بدا منها عند تتويجها ذلك انه لما تقدم كبير اللوردات وبيده التاج ليتوجها به وكان كهلاً في الخامسة والثمانين من العمر ثقيل الحركة عثرت رجله في احدى درجات العرش الذي كان يصعده وضعف عن النهوض فتحركت عواطفها عليه شفقة ونزلت فلاقته على الدرج وخففت عنه مشقة الصعود فوقع ذلك من النفوس احسن موقع واستدل الشعب جلياً على ماحوت من رقة القلب والدعة والوقار مع ما هي عليه من عزة الملك والعظمة

ولما تمت حفلة التتويج تقدم عظماء المملكة لمبايعتها واقسموا يمين الطاعة وكان بينهم الدوك ولنتون الشهير وغيره كثير من كبار رجال السياسة . وكانت حمرة الخجل تعلو وجنتيها اذ ترى الشيوخ يركعون امامها لتقبيل يدها . وما صدقت ان انفردت بنفسها بعد ذلك حتى قصدت توّاً والدتها والقت نفسها بين يديها والدموع تتلألأ في عينيها من شدة التأثر .

وكانت وقتئذ وزارة الاحرار قابضة على زمام الاحكام وكان رئيسها اللورد ملبرن وهو شيخ واسع الاختبار خبير ضروب السياسة وصرك الايام فاعتبرته الملكة بمنزلة الوالد الرؤف وصار موضع ثقتها ومعتمد سياستها فخدمها اجل خدمة باطلاعها على كل دقائق السياسة وكان يقضي اكثر اوقاته معها لتدريبها على الحكومة الدستورية حتى توفق لذلك كل الموافقه .

فشرعت من ذلك العهد تشارك وزراءها في سياسة بلادها وتنظر في كل المسائل بغاية الحكمة والتروي فما كان يقدم لها ورقة تمضيها الا وتفحصها بامعان زائد او تحفظها معها اذا لم يكن في الوقت فسحة لتلاوتها بالتدقيق ولما رأى منها ذلك اللورد ملبرن قال انها كانت اصعب عليه من عشرة ملوك

وقد تعمدت المساواة بين رعاياها في سائر الاحوال فلم تمل لحزب من الاحزاب بنوع خاص مهما بذل جهده في استمالتها اليه بل ترفعت عن الحزبين وراعت مصلحة الاثنين

ومما يروى أنه لما عرض عليها غلادستون ان ترفع الى درجة اللوردة عدداً عديداً من رجاله واتباعه — وكان قصده في ذلك ان يتوصل بواسطتهم الى الغاء مجلس اللوردة رفضت اجابة طلبه وقالت له اني لست رئيسة لحزب الاحرار او لحزب المحافظين إنما انا رئيسة المملكة الانكليزية فلا يحسن بي ان انصر حزباً على آخر .

وكانت شديدة التمسك بعرى الدين يقال انه سألها احد سفراء ملوك افريقيا بأمر مولاه عن سبب تقدم مملكتها فاشارت الى الكتاب المقدس واجابته : قل لمولاك ان هذا الكتاب هو سبب ارتقاء بلادي فليعمل

بمقتضاه اذا شاء وكانت ترى ان طاعة الاله الحق وحفظ وصاياه من اول الواجبات فلم تخرج عن ذلك ابداً وقد اتفق ان احد وزرائها وصل الى ويندزور في الليل متأخراً ومعه اوراق عظيمة الاهمية تستدعي فحصاً مدققاً وطلب منه تأجيل الاطلاع عليها لصباح الغد فقالت كيف في صباح غدوهو الاحد ايها اللورد فقال نعم ولكن الاوراق شديدة الاهمية لا تحتمل التأخير ثم استأذن وانصرف وفي صباح الغد توجه للبيعة لحضور القداس فاستولاه الاندهاش اذ سمع الكاهن يعظ الناس ويحضهم على الراحة من الاعمال ايام الآحاد فلما امتثل امام الملكة بعد انقضاء الصلاة ابتدرته بالسؤال قائلة هل استحسنت موضوع الوعظ اليوم اجاب فقد استحسنته كثيراً لمطابقته لمقتضى الحال والحق هو ما ارتأته مولاتي الملكة فابتسمت وقالت لست اخفي عنك الآن ان الكاهن جعل موضوعه في الوعظ يوم الاحد بايعاز مني اليه واظن ان كثيرين يرتدعون به فان واجبات الدين هي اقدس الاشياء وعلى ذلك انقضى الاحد بدون عمل حتى المساء فقالت له غداً صباحاً الساعة ٧ السابعة ايها اللورد نفحص الاوراق اذا شئت فاجاب اذا شاءت مولاتي كان ذلك في الساعة التاسعة لكي لا نبكر جداً في القيام قالت بل يلزم فحصها باسرع ما يمكن لكي لا يتوقف سير الاعمال

وقد طفقت ترتاد السلام والطمأنينة لرعاياها من اول يوم تبوأت فيه اريكة الملك وكما قد قرر لها البرلمان من ذلك اليوم ٣٨٥ الف جنيه راتباً سنوياً كذلك قررت هي في نفسها نشيمها فوق ذلك كثيراً من نوايا الخير والسعادة والشفقة والحنان ولما كانت من القواعد المقررة ان توقيع بخط يدها على

احكام الاعدام كان قلبها الشفوق عرضة للتأثر العظيم فكانت تبذل ما في وسعها لتخفيف كل حكم صارم يقدم لها وقد حدثت عنها آنسه انجليزيه كانت في خدمتها ان الدوك ولنتون قدم لها ذات يوم حكماً قاضياً بالاعدام على جندي وطلب التوقيع عليه فلما وقع نظرها عليه اضطربت كل جوارحها وقالت للدوك والاشفاق يرطب عينيها بدموع الحنو اما لديك ما تستشفع به لهذا الرجل اجاب الدوك لاشيء لانه هرب ثلاث مرات من الجيش وارتكب ذنوباً كثيرة قالت افتكر برهة عساك تجد بعض التحوير فاطرق الدوك براسه الى الارض هنيهة ثم قال لعله يخمع للعنق فيكون رفيقاً اميناً اذا لم يكن جندياً مخلصاً فابرقت اسرة الملكة وقتئذ وقالت اشكرك على هذا الجواب وخطت بامضائها العفو عن المجرم .

« زواجها وترملها »

مليكة في زهرة الحياة قبضت بيدها زمام مملكة هي اقوى واعظم ممالك الارض وهي على ما علمت من جمال الخلق وكمال الخُلق توفرت لديها بذلك اسباب الرغد ووسائط الهناء والمجد الى اعظم درجة يمكن الوصول اليها ففي اي شيء من مكملاتها يحدث الشعب يا ترى في غير ذلك الرجل المختار من العالم الذي سيسعده السعد وتؤهله الكرامة والمجد فترمقه بعين الاعتبار ويكون اهلاً لان يصير لها بعلا

فبهذا كان يتسآل الشعب الانجليزي عن بكرة ابيه فاكثر التخمين وتداولت الاقاويل في من يكون وكانت الارجحية واقعة على احد امراء عائلة اورليان الشهيرة وعلى ابن خالها الامير البرت ابن ملك البلجيك وكان

هذا جميل الطلعة فائقاً في الكمال والملاحة زارها وهي في السابعة عشرة من عمرها فاحبها واحبته حتى لم تستطع كتمان حبه فصرحت بذلك لخالها حيث كتبت اليه تطلب منه الاعتناء الخاص به لانه اصبح اعز الناس لديها فادرك خالها المراد وأرى لزوم تغيير دروسه بدروس تناسب مستقبل حياته فعمل ولما كان جو السياسة لا يخلو من الاكدار حصل وقتئذ ان وزارة الاحرار فقدت ثقة الاهالي فيها فخلفتها وزارة المحافظين وكان زعيمها السر روبرت بيل واول شيء طلبته هذه الوزارة من الملكة فصل بعض النساء اللواتي كن في خدمتها نظراً لانحيازهن لحزب الاحرار فعارضت في ذلك حتى كاد يفضي الامر الى عواقب وخيمة وطار الخبر الى خالها فاسرع وارسل اليها بالامير البرت واخيه ليدفعها تحرك عواطف الحب فيها الى التسليم لارادة شعبها

وكانت لم تقر لذلك العهد على الزواج على انها لما رأت البرت وقد بدى لها منظر يختلب الالباب ويسلب القلب حدى بها حادي التذكار للرجوع بمطايا افكارها الى معاهد ذلك الحب الذي سكن في فؤادها منذ عام زارها فابقته لديها ضيفاً كريماً وبعد شهر قدمت له زهرة كانت بيدها فاقتبلها مسروراً شاكراً فطلبت منه تعليقها في صدره ولما لم يكن في سترته عروة زائدة اخرج من جيبه مطواة وفتح في السترة فتحة ازاء قلبه ووضع فيها الزهرة فشعرت بشدة بداهته وغريب لطائفه ولم يطل الزمن حتى كاشفته بحبها وطلبت منه الاقتران عالمة ان لا تشترك عواطفه في المحبة الذي علمه بانحطاط منزلته امام عظمة مقامها فشعر البرت بما رأى في كلامها من دلائل الحب الصادق وكتب الى جدته

يعلمها بما ناله من السعادة وكتبت هي الى مسيو خالها تعلمه برغبتها في الاقتران وكان عليها ايضاً اعلان هذه الرغبة الى اعضاء البرلمان ولعمر الحق ان في هذا الاعلان كان قضاء واجب ما على صعوبته من مزيد على فتاة في مقتبل العمر وقد ذكرت ذلك هي بقولها : دخلت قاعة البرلمان وقد كادت تضيق بجمهور الاعضاء فلم اميز احداً من الحاضرين كأن غشاوة انسدلت على بصري وما بدأت اصرح بعلاني بكلمات وجيزة حتى شعرت بالاضطراب في كل جسمي فنهض للحال اللورد لانسدون وسأل باسم صالح المملكة المصادقة على هذا الاقتران السعيد فكان ومن ثم ابتدأوا بتهنئتي من الدوق اف كامبردج فنازلاً وقد سر اعضاء البرلمان كثيراً من هذا التصريح لان ولاية العهد كانت اهم شيء واحتفل في العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ بزفافها واظهر الانجليز دلائل السرور ومظاهر الابهة والمجد وقاموا بزينات عمومية باهرة يعجز القلم عن وصفها .

وقد كان هذا الاقتران مصدر سعادة الزوجين لانهما كانا متوافقين في الاذواق والاخلاق . وبذل البرنس امام زوجته كل ما يمكنه من المحبة والاخلاص فشاركته في امرها على اهم ما تحت سلطانها وفي ادارة الاحكام وكل ما يؤول لمجد المملكة وتجنس بالجنسية الانجليزية بموجب قرار صدر من المجلس العالي وعين له مرتب سنوي قدره ثلاثون الف جنيه انجليزي وما مضى عليه ذلك العام حتى صار وطنياً عاملاً في المملكة فقام لاول مرة خطيباً باللغة الانجليزية في جمعية تحرير الرقيق ثم اعطى لقب فلدمرشال ووجهت اليه رتبة رباط الساق ورئاسة شرف كلية كمبردج وكان كلفاً بالآداب يقضي

لكثير من الجمعيات

وقد اشتهرت سنة ١٨٤٠ المذكورة بتخفيض رسم الجوابات في بلاد الانجليز الى ١٠ سنتيم

اما ما ابداه البرنس نحو زوجته الملكة من الغيرة على صوالحها وصوالح المملكة ومن الوفاء الخالص في محبتها ورعاية شعبها فما يخلد له جميل الذكر في التاريخ الانجليزي وكانا في المعيشة العائلية على غاية من البساطة والتقوى والهناء والرغد

ورزقت الملكة في اواخر عام الاقتران بالامبراطورة فكتوريا ارملة امبراطور المانيا السابق ثم بالبرنس ادوار ولي العهد الذي نالت بمولده الامة البريطانية مناها من حيث الحصول على ارتياح الفكر بخلف للملك سعيد وقد قدرت نفقات الاحتفال بميلاده فكانت مائتي الف جنيه وهاك جدولا مبينا فيه اسماء من رزقت من البنين وتاريخ ميلادهم

(١) البرنسيس فكتوريا ولدت في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وتزوجت بلوندره في ٢٥ يناير سنة ٥٨ بالامبراطور فريدريك وليم وترملت في ١٥ يونيو سنة ٨٨

(٢) البرنس البرت ادوار ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وتزوج في وندسور في ١٠ مارس سنة ٦٣ بالكسندره امير الدانيمرك

(٣) البرنسس اليس ولدت في نوفمبر سنة ١٨٤٣ وتوفيت سنة ١٨٧٨

(٤) البرنس الفرد دوق سكس كوبورغ وغوتا ولد في وندسور في ٦ اوغسطس سنة ١٨٤٤ وتزوج في سان بطرسبرج في ٢٣ يناير سنة

شغفها من الاعظام والاعتبار ما لم تسمع به اذن او تره عين او يخطر على قلب ملك

وكانت هي وزوجها بغاية التواضع ولين الجانب واللطف مع الجميع وبغاية البساطة وعدم التكليف في معاشرتهما حتى ما كانا يانفان الحادثة مع حشمهما بل يتركانهم يخوضون في الحديث كانهم جميعهم اعضاء عائلة واحدة

وقد اختارا لتربية اولادهما قصراً في جزيرة وايت مبنياً في بقعة جيدة التربة حسنة المناخ يخيم فيها الهدو بدل غوغاء المظاهرات وناب فيها الهواء النقي بدل دخان المعامل والى جانبه منزل آخر ترتبت فيه قاعات كثيرة خصص بعضها للطبخ والبعض لعمل الجبن والزبدة وغيرها عرضت فيها معدات التاريخ الطبيعي وخلافها للتصوير والموسيقى والدرس وغير ذلك وكان لكل حديقة خاصة تشتغل فيها تحت ادارة البستاني اما الاميرات بناتها فكن يطبخن ويستخرجن الزبدة والجبن ويهبن نتيجة اعمالهن الى بيوت الفقراء التي فرضن على انفسهن مساعدتها وامدادها حتى سعدت اهالي تلك الجهة من عطايا الملكة وهبات بناتها

وقد روى عنها احد الكهنة في تلك الجزيرة قال دعيت ذات يوم الى مريض كان في حالة النزع فلما دخلت عليه وجدت الى جانبه سيدة تلوح على وجهها النباهة والجلال ويلوح عليها سيماء الحزن وهي تقرأ له في التوراة فلما هممت بالخروج استوقفتني السيده وقالت ارجوك ايها الاب الصالح ان تبق هنا وتداوم القراءة في الكتاب المقدس لهذا المريض ففي ذلك اعظم تعزية له وقدمت لي الكتاب مفتوحاً في موضوع يناسب حالة المريض

وخرجت ولم يمر على ذلك يومان حتى علمت ان تلك السيده التي رأيتها هي نفس الملكه فيكتوريا . فيالها من ام حنونه وملكة كريمة كانت تحبو بالعطاء وتمد بالدواء وتشارك في المصاب كأن العناية ارسلتها لسعادة شعبها

وقد قام ايضاً البرنس البرت باعمال كثيرة دلت على رغبته في خير البلاد ونجاحها فساعد بحذقه ونشاطه على اقامة معرض في مدينة لوندرا سنة ١٨٥١ فتم وتقاطر اليه الصناع من كل صوب ليعرضوا فيه مصنوعاتهم ويبرزوا بنات افكارهم فنال هذا المعرض نجاحاً عظيماً وتبعه معارض اخرى كثيرة للصناعة والفنون وكان ناصحاً ومرشداً في كل الاعمال لزوجته الملكه التي اطلعته على كل افكارها فشاركها فيها ناهجاً سبيل الحكمه فلم يتداخل في الامور مداخلة تؤذن بالمعارضة لئلا يتهم بالميل للمصالح الاجنبية لكونه غريباً عن الانكليز ومع ذلك فلم يسلم من التهمه فاضطر مجلس الامه بالتصريح والايضاح لدفع تلك الاوهام عن الافكار .

وزار البلاط الانجليزي سنة ١٨٥٥ نابوليون الثالث وزوجته فقابلته الملكة وزوجها بمراسم الاحتراز والاكرام وردا لهما الزياره في باريس في ١٨ اوغسطس من تلك السنه وزارت الملكه قبر نابوليون الاول فتذكرت ماكان بينه وبين قومها من العداوة الشديدة وادركت مالوقوفها على قبره من التأثير فقالت « ليس على العواطف اشد من معرفة مقدار البغضاء التي كانت تملأ قلوب الشعبين العظيمين وها انا ابدي من الاكرام والاعتبار امام ضريح هذا الخالد الاثر لزوجاته البالية ابدد كل ما تقدم من العداوة واجمع شوارد الاتحاد الذي تم بين الامتين »

بعلمها بما نالها من السعادة وكتبت على الى مشير جلالتها تطلعه برغبتها في الاقتران وكان عليها ايضا اعلان هذه الرغبة الى اعضاء البرلمان ولعمر الحق ان في هذا الاعلان كان قضاء واجب ما على صعوبته من مزيد على فتاة في مقتبل العمر وقد ذكرت ذلك هي بقولها : دخلت قاعة البرلمان وقد كادت تضيق بجمهور الاعضاء فلم اميز احدا من الحاضرين كأن غشاوة انسدلت على بصري وما بدأت اصرح بحالي بكلمات وجيزة حتى شعرت بالاضطراب في كل جسمي فنهض للحال اللورد لانسدون وسأل باسم صالح المملكة المصادقة على هذا الاقتران السعيد فكان ومن ثم ابتدأوا بتهنئتي من الدوقاف كامبردج فنازلا وقد سر اعضاء البرلمان كثيرا من هذا التصريح لان ولاية العهد كانت اهم شيء واحتفل في العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ بزفافها واظهر الانجليز دلائل السرور ومظاهر الابهة والمجد وقاموا بزينات عمومية باهرة يعجز القلم عن وصفها .

وقد كان هذا الاقتران مصدر سعادة الزوجين لانهما كانا مؤتلفين في الاذواق والاخلاق . وبذل البرنس امام زوجته كلما يمكنه من المحبة والاخلاص فشاركته في امرها على اهم ما تحت سلطانها وفي ادارة الاحكام وكل مايؤول لمجد المملكة وتجنس بالجنسية الانجليزية بموجب قرار صدر من المجلس العالي وعين له مرتب سنوي قدره ثلاثون الف جنيه انجليزي وما مضى عليه ذلك العام حتى صار وطنيا عاملا في المملكة فقام لاول مرة خطيبا باللغة الانجليزية في جمعية تحرير الرقيق ثم اعطى لقب فلدمرشال ووجهت اليه رتبة رباط الساق ورئاسة شرف كلية كمبريدج وكان كلفا بالآداب بعمل

لكثير من الجمعيات

وقد اشتهرت سنة ١٨٤٠ المذكورة بتخفيض رسم الجوابات في بلاد الانجليز الى ١٠ سنتيم

اما ما ابداه البرنس نحو زوجته الملكة من الغيرة على صوالحها وصوالح المملكة ومن الوفاء الخالص في محبتها ورعاية شعبها فما يخلد له جميل الذكر في التاريخ الانجليزي وكانا في المعيشة العائلية على غاية من البساطة والتقوى والهناء والرغد

ورزقت الملكة في اواخر عام الاقتران بالامبراطورة فكتوريا ارملة امبراطور المانيا السابق ثم بالبرنس ادوار ولي العهد الذي نالت بمولده الامة البريطانية مناها من حيث الحصول على ارتياح الفكر بخلف للملك سعيد وقد قدرت نفقات الاحتفال بميلاده فكانت مائتي الف جنيه وهاك جدولا مبينا فيه اسماء من رزقت من البنين وتاريخ ميلادهم

(١) البرنسيس فكتوريا ولدت في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وتزوجت ربلويده في ٢٥ يناير سنة ٥٨ بالامبراطور فريدريك وليم وترملت في ١٥ يونيو سنة ٨٨

(٢) البرنس البرت ادوار ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وتزوج في وندسور في ١٠ مارس سنة ٦٣ بالكسندره اميرة الدنمارك

(٣) البرنسس اليس ولدت في نوفمبر سنة ١٨٤٣ وتوفيت سنة ١٨٧٨

(٤) البرنس الفرد دوق سكس كوبورغ وغوتا ولد في وندسور في ٦ اوغسطس سنة ١٨٤٤ وتزوج في سان بطرس برج في ٢٣ يناير سنة

١٨٦٨ بيفريقا روسية يدعى ماريا

(٥) البرنسس هيلانه ولدت في ٥ مايو سنة ١٨٤٦ وتزوجت في وندسور في ٥ يونيو سنة١٨٦٦ بالامير كرستيان صاحب شلسوج هولشتين من اعمال المانيا

(٦) البرنسس لويزا كارولينا ولدت في ١٨ مارث سنة ١٨٤٨ وتزوجت في وندسور في ٢١ مارس سنة ١٨٧١ بالمركيز لورن اكبر انجال الديوك اف ارجيل الاسكتلندي

(٧) البرنس ارتور اف كونوت ولد في اول مايو سنة ١٨٥٠ وتزوج في وندسور في ١٣ مارس سنة١٨٧٩ بلويزا مرغريت اميره بروسيانيه

(٨) البرنس ليوبولد دوق البني ولد في ٧ افريل سنة١٨٥٣ وتزوج في وندسور في ٢٨ افريل سنة ١٨٨٢ بهيلانه اميرة ولديك وتوفي في ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤

(٩) البرنسس بياترس ماري فيكتوريا ولدت في ١٤ افريل سنة ١٨٥٧ وتزوجت في وندسور في ١٣ يوليو سنة ١٨٨٥ بهنري باتنبرج

ولم يكن زواج الملكه وما يتبعه من الشواغل ليشغلها عن واجباتها نحو المملكه بل استمرت على فحص كل المسائل التي كانت تعرض عليها وكانت مع وزرائها اطراف المداوله في كل الامور على جري عادتها ... زارت مع زوجها اسكتلاندا فاحتفل باستقبالها الشعب احتفالاً عظيماً وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٤٣ زارت لويس فليب ملك فرنسا فقابلها الفرنسيس بغاية الحفاوة والتعظيم وحضر الملك فليب بنفسه الى

شربورج واستقبلها وهي نازلة من يختها ثم زارتها ايضاً مع زوجها بالمحكمة .

ثم اعادت الزيارة لاسكتلاندا سنة ١٨٤٤ واشترت فيها قطعة من الارض ذلك موقع نضر جيد تعرف بالهيلاندز اي الاراضي العاليه وبنت فيها قصراً كانت تقضي فيه مع عائلتها بعض الايام حينما تسمح لها الفرص بأراحة نفسها من عبء الاعمال فتعطي ميلها حقه بتناسي عظمة الاحتفالات ورسمي المقابلات وكثيراً ما كانت تخرج وحدها تزور سكان القرى ولقد ضلت عن الطريق ذات يوم بينما كانت تسير في عرض الحقول فهداها اليه مزارع في ذاك المكان وحملها ذلك على ان سعت هي وزوجها بكلها يعود بالراحة والسعادة على سكان تلك الاصقاع فاسست مدرسة لتربية اولادهم واقام البرنس مزرعة اتخذت مثالاً للقوم واقيم على نسقها فيما بعد مزارع كثيرة في كل انكلترا

وفي سنة ١٨٤٥ زار الزوجان المانيا

وفي سنة ١٨٥١ زارا ليفربول ومانشستر وقد ادهش الملكة في هذه البلدة الاخيرة هيئة الاحتفاء التي اتمها الشعب فقد لبس احسن ما عنده واصطف على طول الطريق التي مرت فيها كالجند المنظم اما حفلة الترحيب العمومية فقد اقيمت في بقعة متسعة اجتمع فيها نيف ومليون نفس عدا منهم عدد تلامذة المدارس وحدهم نحو ٨٢ الف تلميذ وبعد تلاوة الخطب رفع هذا الجمع صوته عن بكرة ابيه يرتل النشيد الوطني الشهير

« اللهم احفظ الملكة »

وبالجملة فان هذه الملكة المحبوبة كانت اينما حلت وكيفما سارت تلاقي من

شعبها من الاعظام والاعتبار ما لم تسمع به اذن او ترة عين او يخطر على قلب ملك

وكانت هي وزوجها بغاية التواضع ولين الجانب واللطف مع الجميع وبغاية البساطة وعدم التكلف في معاشرتهما حتى ما كانا يأنفان الحادثة مع حشمهما بل يتركانهم يخوضون في الحديث كأنهم جميعهم اعضاء عائلة واحدة وقد اختارا لتربية اولادهما قصراً في جزيرة وايت مبنياً في بقعة جيدة التربة حسنة المناخ خيم فيها الهدو بدل ضوضاء المظاهرات وناب فيها الهواء النقي بدل دخان المعامل والى جانبه منزل آخر ترتبت فيه قاعات كثيرة خصص بعضها للطبخ والبعض لعمل الجبن والزبدة وغيرها عرضت فيها معدات التاريخ الطبيعي وخلافها للتصوير والموسيقى والدرس وغير ذلك وكان لكل حديقة خاصه تشتغل فيها تحت ادارة البستاني اما الاميرات بناتها فكن يطبخن ويستخرجن الزبدة والجبن ويهبن نتيجة اعمالهن الى بيوت الفقراء التي فرضن على انفسهن مساعدتها وامدادها حتى سعدت اهالي تلك الجهة من عطايا الملكة وهبات بناتها

وقد روى عنها احد الكهنة في تلك الجزيرة قال دعيت ذات يوم الى مريض كان في حالة النزع فلما دخلت عليه وجدت الى جانبه سيدة تلمع على وجهها المهابة والجلال ويلوح عليها سيماء الحزن وهي تقرأ له في التوراة فلما هممت بالخروج استوقفتني السيدة وقالت ارجوك ايها الاب الصالح ان تبقى هنا وتداوم القراءة في الكتاب المقدس لهذا المريض ففي ذلك اعظم تعزية له وقدمت لي الكتاب مفتوحاً في موضوع يناسب حالة المريض

وخرجت ولم يمر على ذلك يومان حتى علمت ان تلك السيده التي رأتها هي نفس الملكه فيكتوريا . فيالها من ام حنونه وملكة كريمة كانت تجود بالعطاء وتمد بالدواء وتشارك في المصاب كأنّ العناية ارسلتها لسعادة شعبها

وقد قام ايضاً البرنس البرت باعمال كثيرة دلت على رغبته في خير البلاد ونجاحها فساعد بحذقه ونشاطه على اقامة معرض في مدينة لوندرا سنة ١٨٥١ فتم وتقاطر اليه الصناع من كل صوب ليعرضوا فيه مصنوعاتهم ويبرزوا بنات افكارهم فنال هذا المعرض نجاحاً عظيماً وتبعه معارض اخرى كثيرة للصناعة والفنون وكان ناصحاً ومرشداً في كل الاعمال لزوجته الملكه التي اطلعته على كل افكارها فشاركها فيها ناهجاً سبيل الحكمه فلم يتداخل في الامور مداخلة تؤذن بالمعارضة لئلا يتهم بالميل للمصالح الاجنبية لكونه غريباً عن الانكليز ومع ذلك فلم يسلم من التهمه فاضطر مجلس الامه بالتصريح والايضاح لدفع تلك الاوهام عن الافكار .

وزار البلاط الانجليزي سنة ١٨٥٥ نابوليون الثالث وزوجته فقابلته الملكة وزوجها بمراسم الاعزاز والاكرام وردا لها الزياره في باريس في ١٨ اوغسطس من تلك السنه وزارت الملكه قبر نابوليون الاول فتذكرت ما كان بينه وبين قومها من العداوة الشديدة وادركت مالوقوفها على قبره من التأثير فقالت ، ليس على العواطف اشد من معرفة مقدار البغضاء التي كانت تملأ قلوب الشعبين العظيمين وها انا ها ابدي من الاكرام والاعتبار امام ضريح هذا الخالد الاثر لرفاته البالية ابدد ثمل ما تقدم من العداوة واجمع شوارد الاتحاد الذي تم بين الامتين ،

وصحبها في هذه الزيارة ولي عهدها واخرى من بناتها وكانت وقتئذ ايام المعرض فاقاموا في باريس ثمانية ايام وسروا بمشاهدها كثيرا

ومنحت لزوجها في سنة ١٨٥٧ لقبا عنوانه صاحب السمو الملوكي البرنس الزوج حتى يكون له حق الوكالة على ولي العهد القاصر فيما اذا داهمتها الوفاة قبل رشاده

وفي سنة ١٨٦١ توفيت ام الملكة ولها من العمر ٧٥ سنه فاثر هذا المصاب فيها تاثيراً عظيماً ولكن كان لها في زوجها اعظم تعزية وسلوى الا ان القدر بادهها على عجل فاصابها فيه بخطب اجلّ واعظم . ذلك انه اصيب بحمى خفيفة اضطرته الى ملازمة الفراش فكانت تخدمه بنفسها اثناء مرضه وتقضي اكثر اوقاتها الى جانب سريره حتى اذا زادت عليه وطاة الحمى وعلم بدنو الاجل قبلها وقبل اولاده وودعهم الوداع الاخير فقالت له ان للطبيب امل عظيم بشفائك فاجاب وصوته يتهدج في لهاته اني متأكد من فراق لا يعقبه تلاق الا في دار ابدية القرار ثم عاد فلثمها ثانية وقال بالالمانية الوداع ايتها الزوجة الصالحة . قال هذا واغمض جفنيه بعد ظهر الرابع عشر من دسمبر سنة ١٨٦١ وله من العمر ٤٢ سنه .

وكاد هذا المصاب يقضي على الملكة أسىً فانقطعت عن أشغال المملكة انقطاعا تاماً وجنحت الى الاختلاء بنفسها حتى كاد يلجئ الامر الى ان يعين قائمقام ملكة لانجاز الاعمال . وكان ايضاً لوقع هذا الخطب رنة في قلوب جميع الانكليز فشاطروها الاحزان وبكوا معها فقيد البر والاحسان ولا يزال تذكاره مرافقاً لها اينما حلت حتى الآن . . .

وبعد حزن طويل فوضت امرهما الى القهار العظيم وقالت في هذا المعنى .

« إن مصابي وان يكن فادحاً بفقدي اعز انسان اخترته من هذا « الوجود ليكون رفيق حياتي الا أن ذلك لا يؤخرني عن القيام بما علي من « الواجبات لشعبي ولا يصدني عن التسليم لارادة الله ما دمت اعلم ان مقامي « لا يصونني من رزايا الدهر فاني واقل الصعاليك سواء امام محكمة القضاء »

واول مرة ظهرت فيها رسمياً بعد موته كانت لكشف الغطاء عن تمثال اقيم له في ابر دين واقامت له غيره في هيلاندز ونقشت عليه : تذكار المحبة للبرنس البرت الصالح من ارملته الكسيرة القلب فيكتوريا : واقامت له تماثيل اخرى كثيرة في انحاء مختلفة من المملكة وامرت بترجمة حياته وطبعها واهتمت كثيراً بنشر فضائله وتخليد ذكره في الخافقين .

ولا يسع هذا المقام لبيان ما اتته الملكة بعد فقد زوجها فانها كانت تفتح بنفسها ملاجئ الارامل والايتام والمنقطعين وتشيد البيوت الصحية للفقراء على اختلاف طبقاتهم وتزور المستشفيات وتتفقد من فيها من المرضى وتحثهم على الصبر والتسليم للعزة الالهية وتستنهض همم المحسنين وتعطف على البائسين والحزونين . ومن الغريب انها مع ما كانت عليه من الحنان والشفقة ومع حب الشعب لها حباً يقرب من العبادة فان جو حياتها لم يخل من تكدير الائمة المعتدين الذين كانوا يحاولون من وقت لآخر ان يرموها بشر بيد أنه لم يلحقها ضرر من مكايدهم كأن العناية ترعاها اين حلت . فمن ذلك ان احدهم اطلق عليها رصاصة في شهر ابريل من سنة ١٨٨٣ فلم يصبها والقى القبض عليه

وحكم عليه بالسجن لمدة غير محدودة وقد اظهرت في كل هذه الحوادث من الشهامة والجلد مالا يستطيعه اعظم الرجال وقد زارها في سنة ١٨٧٦ السلطان عبد العزيز خان وامبراطورة بروسيا وملكة فرنسا .

وفي اوائل سنة ٨٧٧ وهي السنة الاربعون من سني ملكها لقبت بامبراطورة الهند بناء على اشارة دزرائيلي السياسي الشهير . واصدرت بذلك قرارًا في قصر وندزور هاك ملخصه : ان الشركة التي كان امر حكومة الهند الشرقية مفوضًا اليها ، تحكم الهند من تاريخ صدور هذا القرار بنا وباسمنا ولذلك يضاف على القابنا لقب امبراطورة الهند ويبقى حتى اعلان امر جديد .

ومما اشتهرت به الملكة ميلها الى الشعر والتصوير وفي قصورها صور كثيرة من صنع يدها وهي تستخدم المصورين الالمانيين والايطاليين وتفضلهم على النابغين من رعاياها . وهي شديدة المحافظة على التقاليد والعادات القديمة ففي بلاطها نحو الف عامل ينفق عليهم نحو ٥٠٠ الف جنيه سنويًا

وهي شديدة الاعتناء بصحتها لا سيما بعد تناوب الآلام المصيبة لها التي جعلتها تقضي اكثر ايامها في قصر وندزور فلا تقيم في لندن اكثر من ستة او سبعة ايام في السنة

وقد كتبت الملكة تاريخ حيوتها بيدها كجدول يومي مدون فيه كل قول وعمل وفكر . فمن ذلك ان نابوليون الثالث امبراطور فرنسا زارها فتحاصرا في ليلة أُنس فكتبت عن تلك المحاصرة : من اغرب ما جرى ان اكون حفيدة جورج الثالث ملك الانكليز وأُحاصر رجلًا هو حفيد ذلك الجبار (اعني نابوليون الاول) ألد اعداء جدي ولكنني أرى بنابوليون

الثالث قوة اقربني منه وتحناني على ان اقول له ما أروم كتابته الخ »

ويبلغ مجموع ما تنفقه انكلترا رواتب لها ولافراد عائلتها واهل بلاطها وبطانتها وحاشيتها ٨٠٠ ألف جنيه في السنة وهو مبلغ باهظ ولكن ليس بالنسبة الى مملكة هي ايسر الممالك حالاً بل هو قليل في جانب ما نالته البلاد في عهدها من الفتح والنصر وفي جانب شرفها الاثيل ومجدها الباذخ . ولها فوق راتبها نحو ٤٠ الف جنيه ايراد ولاية لانكستر ولولي العهد ايضاً ٦٠ الف جنيه ايراد ولاية كورنول واكثر اعضاء بقية العائلة لا مال لهم ولا عقار ولا دخل سوى ما يقبضونه من الحكومة

ولها عائلة لا يقل عدد افرادها عن ٨٠ نفساً ما بين اولادها واولاد اولادها منهم اربعة حاكمون هم : امبراطور المانيا حفيدها الاول وبكر اكبر بناتها وامبراطورة روسيا وامير هس دار مستات وهم اولاد بنتيها الاولى والثانيه وامير كوبورغ وغوتا وهو ابنها الثاني ومنهم ١٢ يرثون الملك بعد حين والباقون امراء واولاد ملوك .

فالملكة فيكتوريا ابنة الملوك وحماة الملوك ونسيبة الملوك واحتاط الملك بيتها من كل جانب

« حياة الملكة السياسية »

واحد وستون سنة مرت أتت في خلالها الملكة من حسن السياسة في الادارة وملافاة الامور الخطيرة ما دلّ على ذكائها وسمو مداركها فلم تتعرض لأذى احد من رعيتها بل كانت تجري على ارادة وزرائها بما فيه خير المملكة وتشاركهم في دقائق السياسة . وكان على رئاسة وزارة الاحرار حين تولت زمام الملك

اللورد ملبرن ثم تلاه اللورد بيل على حزب المحافظين وتلاه بعد اللورد جون رسل فاللورد دربي فاللورد ابردين فاللورد بامرستون فاللورد بيكونسفيلد فغلادستون فاللورد روزبري ثم اللورد سالسبري الذي لا يزال رئيساً للوزارة الى الآن . وكلهم نوابغ من افاضل السياسيين (وقد ذكرت سيرتهم في باب الرجال العظام) واليك الآن بيان اهم الحوادث التي وقعت في ايامهم

في مدة وزارة اللورد ملبرن ثار محمد علي باشا على الدولة العلية وارسل ابنه ابراهيم باشا الى سوريه فافتتحها . فاتحدت انكلترا والنمسا على اخراجه منها وكانت فرنسا تعضد محمد علي باشا آملة ان تجد بالعمارة المصرية مساعداً لعمارتها على العمارة الانكليزية ولكن انكلترا سعت فوضعت القطر المصري تحت حماية الدول الاوروبية وبذلك احبطت كل مساعي فرنسا وكادت تكون الحرب ادنى من قاب قوسين بين الدولتين

وفي عهد وزارة ملبرن تفاقم ايضاً النزاع الذي كان بين انكلترا والصين على تجارة الافيون وقد انتهى بحرب عقبها صلح وتعهدت بموجبه الصين بدفع غرامة ٢١ مليون ريال وتنازلت لانكلترا عن هنغ كنغ ثم فتحت ابوابها لقبول التجارة الانكليزية

وفي سنة ١٨٤١ أسندت الوزارة الى حزب المحافظين وكان زعيمها السر روبرت بيل فاضطرمت في عهده الحرب في الافغان وكانت هذه البلاد هدفاً لمطامع الانكليز الذين اوجسوا من تقدم الروس في اواسط اسيا فسعوا جهدهم لان يجعلوا الافغانستان حداً فاصلاً بينهم وبين الهند وقد استولوا عليها بعد وقائع هائلة ثم اضطروا الى الجلاء عنها بعد ان وضعوها تحت حمايتهم وتركوا

لها حق الاستقلال في شؤونها الداخلية .

ولما نشبت حرب القرم بين الترك والروس ارسلت انكلترا وفرنسا عساكرهما براً وبحراً لدفع الروس عن تركيا فجرت مواقع كثيرة هائلة بين الفريقين وكان اللورد بالمرستون يذكي نارها حتى أخذت سباستبول فوصلت الحرب الى غايتها وأبرم الصلح في باريس ووقعت الدول على شروطه .

وفي عهد وزارة بامرستون كانت الجنود الانكليزية تكافح الاهوال في الهند واخيراً تم لها الفوز ووطد الانكليز سلطتهم في تلك المستعمرة العظيمة حتى انتقلت ادارتها من اختصاص شركة الهند الشرقية الى سلطة الحكومة ونودي بالملكة امبراطورة في سنة ١٨٧٧ .

وفي سنة ١٨٥٦ وقعت الحرب بين انكلترا والعجم وقد نشأت عن الاختلاف الذي وقع بين مستخدمي الحكومة وسفير انكلترا في طهران وقد انتصرت الجنود الانكليزية في مواقع متوالية في جنوبي البلاد ثم عقد الصلح في سنة ١٨٥٧ ووقع على المعاهدة في باريس وحصلت انكلترا على ما كانت تطلبه .

وفي سنة ١٨٦٤ تخلت انكلترا لليونان عن جزائر ايونيا وفي تلك السنة طلبت بلجيكا مساعدة انكلترا على بروسيا والنمسا ولكن ذلك لم يعد بطائل .

وفي سنة ١٨٦٨ زحفت الجنود الانكليزية من الهند على بلاد الحبشة وافتتحتها وانقذت رعاياها من الاسر ثم تركتها مضطرة

ولما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ لزمت انكلترا الحيادة التامة .

وفي وزارة اللورد بيكونسفيلد ابتاعت انكلترا اسهم قنال السويس من الخديوية المصرية

ولما عادت الحرب بين الروس والعثمانيين حمل هـذا الوزير انكلترا على التداخل في تلك الحرب فارسلت اسطولها الى الدردنيل لصد الروس عنه وقد كابدت الدولة العلية من جراء هذه الحرب خسائر جمة بين مال ورجال وبلاد ثم عقدت معها انكلترا معاهدة خصوصية ضمت اليها بمقتضاها جزيرة قبرص وفي عهد وزارة بيكونسفيلد اشتدت المجاعة في الهند وقد ادخل هذا الوزير انكلترا في مسائل كثيرة افضت الى استعفائه في آخر حياته فأسندت الوزارة من بعده الى المستر غلادستون • تقلب قبل ذلك في الوظائف وعين وزيراً الى المالية في وزارة بامرستون فنجحت البلاد بادارته المالية نجاحاً غريباً واوفت نحو ٧٠ مليوناً من الجنيهات في تسع سنوات •

وفي عهد وزارته تقدمت انكلترا ورأت نجاحاً عظيما فوضع قانون التعليم العمومي فيها واصلح قانون الانتخاب ونظم الجندية . ولما عرض في سنة ١٨٧٣ اصلاح امر التعليم في مدارس ايرلاندا ليرضى بذلك كلاًّ من البروتستانت والكاثوليك رفض المجلس طلبه فاستعفى وزملاؤه ثم عاد اليها في سنة ١٨٨٠ وظل متربعاً فيها الى سنة ١٨٨٥

وفي عهد وزارته حصلت الثورة العرابية واحتل الانكليز مصر وكان هو اول مناد بوجوب جلائهم عنها آجلاً او عاجلاً • ولما طلب من البرلمان منح ايرلاندا الاستقلال الاداري ساء طلبه هـذا الاعضاء وانفصل عنه اعوانه واتفقوا مع المحافظين على اسقاط وزارته فأسندت الوزارة بعده الى اللورد

روزبري ثم عادت الى سلسبري . وفي عهد وزارته ثار على الانكليز في الهند بعض القبائل من أشهرهم قبائل الافريديين قاوموا الجنود الانكليزية اشد مقاومة حتى عجزوا وانخذلوا تماماً .

واعتصب الميكانيكيون فاهتمت الحكومة باخماد ثورة هذا الاعتصاب كما اهتمت بالجندية وزيادة عددها وقوتها لتقدر على القيام بما تطلبه املاكها الواسعة .

وفي عهده كانت المسألة الكريدية والمراقبة على مالية اليونان رأس المسائل العمومية التي تتجاذبها السياسة وتتنازعها عوامل الحل . ثم بدأ التسابق بين الدول في الصين كما ظل في افريقيا مدة سنين كل دولة منها كانت تسعى الى جر مغنم واكتساب نفوذ تجاري وتملك موقع حربي . وقد نالت انكلترا بعض الفوز وتحصلت من امتيازات انشاء السكك الحديدية واستخراج المعادن ما لم تحصل عليه دولة اوروبية سواها .

وفي عهد وزارته تشعبت المسائل الاستعمارية في افريقيا تشعباً لا مثيل له حتى اصبحت من اهم المشاكل السياسية . وقد اشتد النزاع في القسم الجنوبي من هذه القارة وقامت الحروب على قدم وساق في الترانسفال وفي بلاد المتابيل وعلى ضفاف نهر اورنجه والكونغو وزمبيزة وفي جزيرة مدغسكر .

وفي ايامه اشتركت الجنود المصرية والجنود الانكليزية في سحق قوة التعايشي وامتلاك الخرطوم وام درمان واخضاع السودان وتدويخه .

ووقع الخلاف بين انكلترا والولايات المتحدة على مسألة فنزويلا وكاد

تقع الحرب بينهما لولا ان فصل الخلاف بالتحكيم ٠

وكانت مسألة النيجر هي مسألة الخلاف بين فرنسا وانكلترا على البلاد الواقعة وراء لاغوص فعقد لها مؤتمر وسوى الخلاف ثم جاءت حملة بوشان وتلتها حملة مرشان واحتلاله فشودة فعاد الخلاف بين المملكتين ثم عقدتا معاهدة اخيرة على تحديد املاك كل منهما في القارة الافريقية وبمقتضى هذه المعاهدة ايدت انكلترا حقوقها ونفوذها على وادي النيل كله من منبعه حتى مصبه ٠

وجملة القول ان ملك الانكليز كان في عهد سالسبري على نمو من جديد حمى تحته الوطنيس وتأجج ٠ وبالرغم عن هذا وذلك فان انكلترا توخت الانفراد بنفسها بينما كانت اوربا ممتلأة بالمخالفين ومنقسمة بقوتها الى شطرين شطر تحالف الروس والفرنساويين ٠ وشطر تحالف الالمان والطليان والنمساويين فعدت باعتزالها قوة ثالثة وقضت ثلاثة اعوام وهي في هذا الموقف تعتز بشديد قوتها وعظيم سطوتها ٠ ولم يكن لهافي انفرادها وحيادها سوى ثلاثة حلفاء امناء لم يخونوها ولم يتخلفوا عنها ٠ وهم الزمن والمال والصبر

« اليوبيل الالماسي »

والمدة التي ملكتها الملكه هي اطول مدة ذكرت في تاريخ انكلترا وكان جدها جورج الثالث قد بلغ اطول مدة ملكها ملك من ملوك الانكليز فانه ملك مدة ٥٩ سنة كاملة و٩٨ يوماً ومع ذلك فالعشرة سنين الاخيرة من ايامه توكل ابنه عنه فيها نظرا لبله اعتراه وقد ملك هنري الثالث على الانكليز ٥٦ سنة وملك ادوار الثالث ٥٠ سنة

وبلغ الامبراطور فرانسوا جوزف (عند وضع هذا الكتاب) السنة الخامسة والاربعين لملكه ولكن اطول مدة عرفت عن ملك انما هي المدة التي ملكها لويس الرابع عشر ملك فرنسا من سنة ١٦٤٣ الى سنة ١٧١٥ اي مدة ٧٢ سنة وتوفي وله من العمر ٧٧ سنة مع ان سن الملكة فيكتوريا وصل الآن الى ٨٠ سنة ، حيوة طيبة كلها رغد ونعيم وسعادة وغبطة لنجاح شعبها

وفي سنة ١٨٨٨ احتفل الانكليز وسائر الامم والطوائف المستظلة بحماية الاسد البريطاني بعيد حافل لمرور خمسين عاماً من يوم تبوئها اريكة المملكة الانكليزية فاستقبلوا ذلك اليوم رافعين الرؤوس واعدوا الحفلات الباهرة وضمنوها كل مظاهر العظمة والابهة ماعلق في الاذهان ولم يبرحها حتى مضت عشر سنوات فاحتفلوا بعيد آخر حافل في ٢١ يونيو سنة ٩٨ وهو اليوبيل الالماسي لمرور ٦٠ عاماً زاهراً باهراً من سني ملكها عداد ايامه خيرات على الانكليز متتابعة الحلقات متسلسلة البركات مقترنة بامتداد السلطة واتساع العظمة وقد اشترك في هذا الاحتفال سكان المستعمرات الانكليزية وارسلت دول الارض الى لوندرا الامراء والوزراء والسفراء لينوبوا عنها في ابداء شعائر التهاني والولاء

وقد ابتدأ الاحتفال في التاسع عشر من شهر يونيه وسار الموكب في انحاء العاصمة الانجليزية واقيمت صباح الاحد الصلوة في الكنائس والمعابد ورفع الشعب برمته الشكر لله على ما تم له في هذه الستين سنة .

وفي مساء الاثنين حضرت الملكة في قصر بكنهام الوليمة التي أعدت للامراء والسفراء الذين حضروا من اطراف الارض لمشاركة الامة الانكليزية

بمظاهر هذا الاحتفال ٠

وما انشق فجر يوم الثلاثاء وهو يوم الاحتفال الرسمي حتى تفرقت رجال الضبط والربط في شوارع المدينة وطرقاتها وتقاطرت الجماهير المختلفة وازدحمت المناكب بالمناكب ٠ وكان الاحتفال منقسماً الى قسمين موكب المستعمرات وفيه فرسانها ومندوبوها وموكب المملكة وفيه قواد الجيوش ونواب الدول والامراء واعضاء العائلة المالكة ثم مركبة الملكة تجرها ثمانية من الجياد وعن يمينها ولي عهدها ودوك كنوت وعن يسارها دوك كمبريدج وامامها زوجة ولي العهد والبرنسس كرستيان ٠ يتقدم مركبتها اربعون اميراً على صهوات الجياد المطهمة بالفخر الحلي والحلل

ولما سار الموكب في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم المعهود اطلقت المدافع وصدحت الموسيقات وارتفعت اصوات تلك الخلائق بالدعاء والتهليل حتى وصل ساحة تمبل بار فتقدم محافظ لوندرا ورفع لها التهنئة باسم المدينة ثم امتطى جواده وسار بين يديها وظل الموكب على مسيره والجموع تزدحم في كل المسالك والكوى والشرفات حتى وصل الى كنيسة ماري بولس حيث تقدم لاستقبالها رؤساء الاساقفة وكبار المملكة وربات المجد وعقيلات الملاء واقيمت الصلوات وصدحت الموسيقات وارتفعت اصوات الابتهال والدعاء حتى وصلت الى عنان السماء ٠

وفي تلك الليلة زينت المدينة بالانوار المختلفة الالوان واستقبلت الملكة امراء الاساطيل واستعرضت امامها البوارج الحربية فكان منظرها في عرض التاميز مما يأخذ بالبصر وكان استعراضها اعظم ما جرى في هـذا

الاحتفال الذي كان مشهوداً مشهوراً دعيت اليه أمم الشرق والغرب وعظماء الارض وكبراؤها فغصت بهم ضفاف التاميز كما كانت ضفاف التيبر تغص قدماً بالنازلين عليها ليشاهدوا مجد رومه وعظمة القياصرة

ولم يكن ابتهاج الانكليز جميعهم بذلك العيد يقتصر على مولاتهم فقط بل كان ذلك راجعاً الى ازدهاء انفسهم وافتخارهم بما نالته دولتهم في هذه الستين سنة من امتداد السطوة والجاه وانما جعلوه باسم الملكة لانها راسهم الاعلى وهم الاعضاء العاملون .

« ارتقاء مملكتها في عهدها »

وقد شهد العالم اجمع انها استخدمت ملكها الطويل العهد انفع استخدام ما استطاعت الى النفع سبيلاً . تولت ملك الانكليز فتاة وهي بين حقوق الزوجية والامومة وعب الملك والسلطة فلم تهن قريبة ولم تله والدة ولم تذهل مالكة عن مواجب جمة نحو شعبها نبغ في عهدها افاضل الرجال في كل فن ومطلب فجعلوا الارتقاء سريعاً يشمل كل الاعمال والمعاملات الادبية والمادية .

فقد كان عدد الانكليز في الجزائر البريطانية حين جلست على سرير الملك نحو ٢٦ مليوناً فصار عددهم الآن نحو اربعين مليوناً

وزادت مستعمراتهم في آسيا زيادة تقدر بمساحة الجزائر البريطانية نفسها وكذلك زادت في جنوب افريقيا وشرقها وفي انحاء الكرة زيادة عظيمة لا مثيل لها .

وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنه نحو ٧٥ مليون جنيه منها ٥٠ من بريطانيا و ٢٥ من المستعمرات فبلغ الآن ٢٠٠ مليون جنيه منها

١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا والباقي من المستعمرات الكثيرة المنتشرة في العالم .

وكانت ثروة الانكليز تبلغ الالفي مليون جنيه فوصلت الآن الى نيف وعشرة الاف مليون .

واتسع نطاق التجارة فزادت قيمة الصادر والوارد زيادة غريبة فقد كانت في بدء حكمها اقل من ثمانماية مليون جنيه فوصلت الآن الى ٨٠٠ مليون .

واتسع نطاق الصناعة فصار المستخرج من الفحم الحجري في السنة يصل ٢٠٠ مليون طن بعد ما كان ٣٠ مليوناً فقط . وصار المستخرج من الحديد يقرب من ١٣ مليون طن بعد ان كان لا يزيد عن مليون ونصف

كذلك اتسع نطاق المعارف وكثرت المدارس واقبل عليها الطلاب فصاروا يقدرون بستة ملايين بعد ما كانوا لا يزيدون عن نصف مليون وصار ما ينفق عليهم يزيد عن عشرة ملايين جنيه بعد ما كان لا يزيد على مليون واحد .

وقد حافظت انكلترا على السيادة التي كانت لها على البحار قبل ولا تزال للآن حماتها اقوى العادات رغماً عن سعي الدول الاوروبية في مناظرتها . فعندها الآن من الاساطيل الحربية العظيمة ما ليس لغيرها من الدول الاوروبية تحمي بها السفن التجارية والمستعمرات الكثيرة البعيدة متى تحرج الامر واقتضت الحاجة

وفي مدتها قام انصار الحق ويسروا على الوضيع مجاراة الرفيع وعملوا

الحرية والمساواة في كافة الانحاء التي يخفق فيها العلم البريطاني حتى صار الناس يقصدون المستعمرات الانكليزية من جميع الاقطار للارتزاق او الاتجار

ولقد كان يتباهى الانكليز بعصر الملكة اليصابات واختها ماري اللتين كانت ايام حكمها زاهية زاهرة . أما الآن وهم اوسع امم العالم سلطاناً وانفذهم كلمةً واعرضهم جاهاً وامتنهم سياسةً واكثرهم دهاء واقواهم نهضةً في الفنون والعلوم والصنائع والمعارف والاختراع فانهم يقولون : كم ترك الاول للآخر . ولا غرو فان عصر الملكة فيكتوريا جامع لكل ما امتازت به العصور الخالية من المزايا الادبية والمادية .

ساد الاسكندر وعظم القيصر واشتهر نابوليون الاول ولكن لم يسد احد منهم على ربع اهل الارض مثلها ولا شيد سلطنةً ضخمةً لا تغرب الشمس عنها مثل سلطانها . ولله ملك السموات والارض يعطي الملك من يشاء .

نظام الحكومة الانكليزية والبرلمان

English Consititution & Parliaments.

الحكومة الانكليزية شوروية دستورية يتولى زمام الاحكام فيها الملك او الملكة واليه مرجع الامر والنهي باشتراك نواب منتخبين من اعيان الامة واشرافها ومن اواسطها وعامتها ينوبون جميعهم عنها فيحكمونها برأيها لا برأيهم فتكون سلطة الجميع مرتبطة ببعضها تتمثل في مجلس البرلمان

اما الملك من حيث علاقته بالملك فان له حقوقاً معلومة من اهمها ان الملك ارثي في ذريته من البكر الى بكره وللانثى حق بتاج الملك ايضاً بشرط ان لا يكون لها اخ ذكر والا فهو احق به وان يكن اصغر منها سناً واذا انقرض من البيت المالك البنون والبنات فيكون الاقرب الى وراثة الملك الاخوة وابناؤهم واذا لم يكن لهم ذكور فبناتهم على النمط السالف ذكره فمثلاً جلالة الملكة فيكتوريا تولت اريكة الملك سنة ١٨٣٧ بعد موت عمها وليم الرابع ملك انكلترا ولما لم يترك له خلفاً ولم يكن في العائلة ذكراً كانت هي اقرب الناس الى الملك فتولته وهي الآن (حين وضع هذا الكتاب) ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند

والشعب لا يعتبر حق الارث للملك الحياً بل يعتبره خاضعاً لما يطرأ من ظروف الحوادث واحكام الشرع وهو قادر على خلعه وتولية غيره كما كان في سنة ١٦٨٨ حيث التأم اعضاء البرلمان واستدعوا وليم اورانج بعد خلع جمس الثاني ولقبوه ملكاً عليهم وسنوا له عدة قوانين أيدها واثبتها بصفته الملوكية

ولا يباح بالتاج للملك الا اذا كان بروتستنتي المذهب وأقسم عند تتويج ومبايعته بالملك انه يصون شرائع البلاد ويؤيد حقوق الرعايا كما يقسم احد رعاياه عند توظفه بمنصب خطير في وظيفة ادارية او قضائية

وللملك امتيازات كثيرة منها ان الاحكام لا تصدر الا باسمه ويقال في طليعة اوامره الرسمية فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وايرلاندا وامبراطور الهند وحامي حمى الدين الخ) وللملك حق الرئاسة على الكنيسة الانكليزيه وتوظيف مناصبها كما يوظف المناصب السياسية.

وهو القائد العام لجيوش بلاده يولي الوظائف العسكرية براً وبحراً لمن يراه اهلا ويخص بالرتب السنية والالقاب الشريفة من شاء .

وله حق العفو عن ذوي الجنايات بصفته قاضي القضاة وباسمه تتم الاعمال العظيمة وتجدد الاسواق وتعيين الموازين والمكاييل وتضرب النقود الذهبية والفضية وهو قادر على فتح الحرب او تقرير الصلح ورفض ما يبرمه البرلمان مما يختص بحقوقه الشخصية وله على البلاد راتب عظيم يليق بمقام الملوكي وهو اعلى مقاما من القانون يقال عنه انه لا يخطئ لانه لا يفعل شيئ بدون مشورة وزرائه فهم المطالبون لدى الامة عما يصدر عنه من الاوامر واذا اتى امراً مخالفاً فانهم يستعفون حالا من مناصبهم فتعظم في مثل هذه الظروف مكانتهم في قلوب الشعب

ولولي العهد حق بان يدعى من يوم ولادته باميرِ وِلس ولن يلقب بالقاب اخرى كثيرة (تراها في ترجمة حياة البرنس اوف ولس) وولي العهد اذا تزوجت لا يكون لزوجها حق في الملك كيلا تكون مقيدة بامياله

ورغائبه

اما مجلس الاعيان او اللوردة والاشراف ويبلغ عدد اعضاءه نحو ٥٠٠ عضواً فيؤلف من العلماء الروحانيين رؤساء الكنيســة الاسقفية الانكليزية واعضاء العائلة الملوكية وسائر لوردات انكلترا من موالبد الشرف الذين يرثونه وراثة او يرتقون له بالاستحقاق بعد الجهد الجهيد في خدمة البلاد ومن ١٧ لورداً من اسكوتلاندا ينتخبهم نبلاء الاسكوتلانديون في كل سنة ومن ٣٢ لورداً من ارلاندا ينتخبهم اشراف الجزيرة للنيابة عنهم في مدى حياتهم .

ومن اهم مبادئ مجلس الاعيان ابقاء على النظامات الحالية والسير بمقتضاها في داخلية البلاد ومساعدة كل ما يوطد دعائمها في خارجيتها وعدم تغيير شيء ما الا ما تمس اليه الحاجة ولذلك اطلق على اعضاءه اسم حزب المحافظين وينضم اليه من حيث المبادئ والآراء حزب آخر يبغي ان تبقى ارلندا تابعة للمملكة الانكليزية وان لا تنال شيئاً من انواع الاستقلال ولذلك اطلق عليه وعلى حزب المحافظين لقب حزب الاتحاد

ولهؤلاء المحافظين امتيازات عديدة اهمها ان كل مقاطعة حاكمها من لورداتها وليس للملك حق لان يجرد احداً منهم من الالقاب الشريفة او يعزله من وظيفة العضوية او يسجنه لاية علة كانت ولهم ايضاً حق المراقبة على القوانين واتخاذ ما شاؤا من الاجرآت القانونية ماعدا تعيين الضرائب وتعديل العوائد متى احتاج الحال الى ذلك . ولا يصدر عن الحكومة امر وينفذ بدون رضاه واقراره ويحكم في قضايا الاشراف وعلى من يوقفه مجلس العموم وهو يعتبر كمحكمة عليا لجميع محاكم المملكة .

اما مجلس العموم او النواب فانه مؤلف من وكلاء الامة ويبلغ عددهم نحو ٦٧٠ عضواً منهم ١٠٦ من ايرلاندا و ٥١ من اسكوتلاندا و ٩ من المدارس العالية وهم ينتخبون من اساتذة الفنون وباقي الاعضاء من انكلترا وشرط العضو ان يكون وجيهاً غير محكوم عليه بما يشين العرض ذا دخل من املاك في المملكة يؤخذ عليها رسماً معلوماً او يكون مستأجراً لمنزل يدفع عليه منذ سنة قبل تاريخ الانتخاب مقداراً معلوماً من المال ويجب ايضاً ان يبلغ من العمر قبل انتخابه في احد المجلسين ٢١ سنة وان يحلف يمين الطاعة لملكه والعمل بشريعة بلاده وان يكون انكليزياً

ومن مبادئ نواب الامة او الاحرار تغيير النظامات القديمة تبعاً للاحوال الحاضرة ومنح الاستقلال لايرلندا وفصلها عن الحكومة الانكليزية وفصل الكنيسة الاسقفية عنها ايضاً ومحو سلطة الاشراف والغاء مجلسهم او تعديل هيئته ونظامه

وينطوي تحت هذا الحزب فئة ليس لها رئيس وانما لها زعماء مشهورون واكثرهم من الاسكوتلانديين وسكان بلاد الغال وهم شديدو التطرف في بعض مطالبهم يتهالكون في سبيل الحرية والمساواة ويبغون ان يتم ذلك لكل دولة او امة خاضعة لسيطرة انكلترا تروم الاستقلال بامورها وشؤونها ولهذا كانت العداوة قائمة في صدورهم ضد اللوردات والاشراف .

ومن حزب الاحرار ايضاً حزب العمال وهم الذين لا يتنصرون لهم الا فيما يوافق اغراضهم ومثلهم حزب الايرلنديين (اي نواب ايرلاندا) الذين يبغون استقلال بلادهم وانفصالهم عن انكلترا فيضادون كل وزارة لا توافقهم

على مطالبهم ويقترعون مع الاحرار .

وقد اشتهر من حزب الاحرار ايام وضع هذا الكتاب بعض الاشراف الذين يرون رأيهم فيوافقونهم في مطالبهم وذلك كغلادستون وروزبري والسير وليم هاركورت وهذا ما اعلى مكانتهم في اعين الانكليز

ومن حقوق الاحرار وامتيازاتهم تقرير الضرائب للحكومة لان ما يصرف للحكومة هو من مال الامة ومن العدل ان يكون لوكلاءها حق النظر في ذلك قبل غيرهم

ثم ان من الاصول المتبعة بين المجلسين انه اذا بحث احدهما في امر واقرّ عليه يرسله الى المجلس الآخر فان غير به شيئاً اعيد الى المجلس الاول للاقرار على هذا التغيير ثم ارسل للملك للتصديق عليه فاذا رفضه عد لاغياً وان لم يتفق المجلسان بطل أيضاً المشروع وادرج في خبر كان

وقد نشأ حزب المحافظين والاحرار في عهد حكم الملك تشارلس الثاني سنة ١٨٨٠ لمقاصد دينية واميال طائفية ثم تحولا الى مقاصد سياسية واغراض وطنية وكانا يسميان حزب الطوري وحزب الوك واللفظتان وضعتا في الاصل للاهانة والتحقير وقد انسخنا وقام مقامهما الاسمان الشهيران بحزب المحافظين وحزب الاحرار

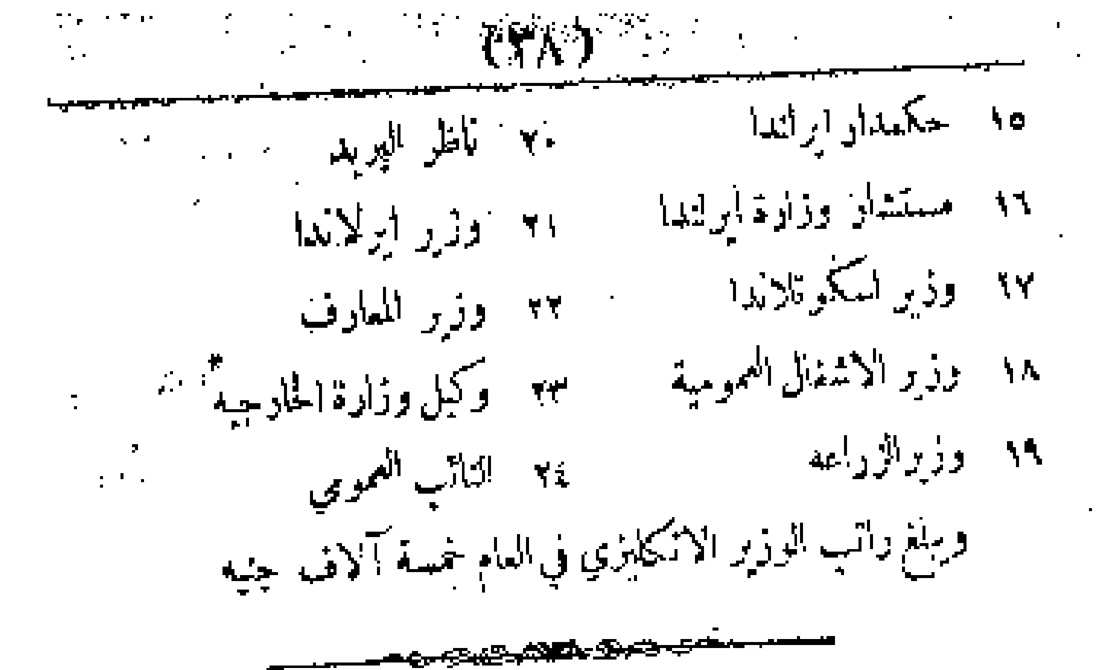
ولا ريب بان مجلس البرلمان الذي يضم هذين الحزبين مظهر تجليات الامة الانكليزية باسرها بل ان تقدمها آل اليها من اعمالها وما من شيء في الدنيا اعلق في الذهن وابلغ في الدلالة على دقائق السياسة مثل المذاكرات التي تقع فيه من حين الى آخر . ولكل عضو حق الكلام فتبلغ حرية الجدال الحدّ بشرط ان

لا تتخطى حدود الادب

وتحصل الانتخابات الانكليزية مرة في كل ستة اعوام واذا وقع قبل ذلك خلاف بين الحزبين في بعض الامور فيفض الملك المجلس ويبان للامة رغبته في انتخاب اعضاء آخرين ينوبون عنها ويكون لهذا الانتخاب ايام مشهودة فتقوم اذ ذاك قيامة الجرائد وتبث خطباء الطرفين في انحاء المملكة فلا يكاد يلقي زعيم خطاباً حتى يعلو المنابر زعيم آخر منددا عما قاله ذاك زاعماً ان حزبه هو الحق فيما يأتيه وتكثر الاجتماعات وتطول المفاوضات في الامور المختلف عليها وهكذا حتى يتم الفوز لاحد الحزبين ويجتذب الاضعف اليه فينصاع لمبادئه التي قررها طوعاً او كرهاً ويتم وقتئذٍ الانتخاب ويجتمع النواب في نادي البرلمان في لوندن فاذا كانت الوزارة من مبادىء الحزب المنتصر بقيت على حالها والا استعفت فيكلف قائد المجلس بناء على طلب الملك بتشكيل وزارة جديدة تظل تحت مراقبة البرلمان وهاك بيانها

رئيس الوزارة

١	رئيس مجلس الشورى الخاص	٨	وزير المستعمرات
٢	المستشار القضائي	٩	وزير الحربيه
٣	المهردار او امين الختم	١٠	وزير الهند
٤	مستشار ولاية لانكاستر	١١	وزير البحرية
٥	وزير المالية	١٢	ناظر الخزينه
٦	وزير الداخلية	١٣	وزير التجارة
٧	وزير الخارجيه	١٤	رئيس مجلس الحكومة المحلية



١٥ حكمدار ارلندا

١٦ مستشار وزارة ارلندا

١٧ وزير اسكوتلاندا

١٨ وزير الاشغال العمومية

١٩ وزير الزراعه

٢٠ ناظر البريد

٢١ وزير ارلاندا

٢٢ وزير المعارف

٢٣ وكيل وزارة الخارجية

٢٤ النائب العمومي

ويبلغ راتب الوزير الانكليزي في العام خمسة آلاف جنيه

دين انكلترا ودخلها وصرفها

Egland's Debt. Its Income and Expenditure

ان الممالك كلها مدينة بديون عظيمة فادحة بلغت الدرجة القصوى في هذه السنين الاخيرة

يبلغ مجموع ديونها (عند وضع هذا الكتاب) ما يزيد على ٤٧٥٠ مليوناً من الليرات فاذا وزع هـذا الدين على عدد النفوس كان كل آدمي على وجه الارض مديوناً بنحو ٣ ليرات

ومنشأ هذه الديون متنوع والحظ الاوفى منها للحاجات العسكرية فقد تضطر الدولة المحاربة الى الاستدانة اما لشراء المهمات الحربية والذخائر والعدد والآلات لادارة رحى الحرب او لدفع التعويضات والخسائر والغرامات الحربية ان دارت عليها الدائرة ولم يتيسر لماليتها دفع اللازم لسد تلك المطالب قال بعض المؤلفين :

وهذا الدين على الدول هو من قبيل لجام للرعية يكبحهم عن المطامع والفتن فان الدائنين الذين هم بالضرورة وجوه اهل البلاد واغنياؤهم لا يرضون بانقلاب الدول مخافة ان يؤول الحكم الى الرعاع فيحرموا منه . ومعلوم ان غنى الدولة يكون من غنى رعيتها وسعادتها من سعادتهم فدينهم مأمون لهم بأخذون فائدته مادامت الدولة قائمة

ودين انكلترا (نقلا عن جريدة الفيجارو الشهيرة) يبلغ ٤١ مليارا وخمسمائة مليون من الفرنكات (وهو اكبر من دين الحكومة المصرية ١٦ مرة) الا انه يدخل في هذا العدد دين الاقطار الهندية والمستعمرات الانكليزية ويبلغ وحده خمسة وعشرين مليارا وهي تسد ديونها في كل عام وقد وجد ان الدفعات السنوية التي تدفعها هذه الحكومة لدين بريطانيا وايرلاندا البالغ ١٦ مليارا و ٥٠٤ مليونا من الفرنكات وصل الى ٦٧٤ مليونا من الفرنكات

وقد بلغ مجموع الدين الذي تسدد من ديون المملكة في عهد جلالة الملكة فيكتوريا نيف ومائة مليون جنيه فالدين الانكليزي ينقص نقصا واجبا في كل عام .

ودين الجمهورية الفرنساوية يبلغ ٣٠ مليارا و ٨٨١ مليونا من الفرنكات تقريبا .

واما دخل انكلترا فهو من بريطانيا العظمى وايرلاندا لا دخل لبقية املاك انكلترا فيه وهي لا تأخذ مالا من مستعمراتها الواسعة الشاسعة ولا تضرب عليها الجزية وانما تضطر غالبا لان تنفق الاموال الكثيرة في سبيل فتحها واستعمارها وتنظيمها وتمدينها بعد خلها وهمجيتها حتى تمكنها من حكم

نفسها بنفسها، فكم من قناطير مقنطرة صرفتها للاستيلاء على البلاد الشاسعة وتغييرها، وكم من اموال بذلتها لزيادة عمارتها وتقويتها بغية حفظ مستعمراتها ورواج تجارتها .

ويقرب مجموع دخلها في العام لوحدها ما عدا املاكها ومستعمراتها ١١٠ مليون جنيه

من رسوم الجمارك	نحو	٢٠	مليون جنيه
ومن رسوم اوراق التركات والوفيات والزواج والتسجيل والعقود وما يشبه ذلك	»	١٥	» »
ومن ضرائب الاملاك والايراد	»	١٣	» »
» مصلحة البوستة		١١	»
» » التلغراف		٣	»
» ضرائب المسكرات والدخان		٨	
» التمتع بالحرف		٣٨	»

ومما هو حري بالذكر ان ما تحصله انكلترا من الرسوم الجمركية قليل جداً بالنسبة الى ما تحصله بقية الدول الاوروبية والسبب في ذلك انها لا تضرب رسوماً على الواردات الداخلة بلادها الا اذا كانت من المسكرات او ادوات الترف وكل مأكول او مشروب او ملبوس (ماخلا الشاي والقهوة ونحوها) واعظم موارد ثروتها تجمعه من ضرائب الخمور والمسكرات اما ضريبة الايراد فلا تفرضها الا على الذين يزيد ايرادهم عن ٤٠٠ جنيه في العام وهي قابلة للزيادة كلما حصل في الميزانية نقص .

[illegible] دخل هذه الدولة اقل من دخل غيرها من الدول العظمى مثل فرنسا التي يزيد دخلها عن ١٥٣ مليون جنيه والروسيا التي يقدر دخلها بنيف ١٤٠ مليون جنيه

فانكلترا لا تجمع الا ما يلزم لنفقات حكومتها وما كان على قدر حاجتها فان شاءت زيادته زادته من مال الاغنياء بدون ان تمس المعوزين بسوء . وقلّ ان يخلو دخلها من زيادة عن المصرف مع ما تسدده من ديونها واما فرنسا فقلما يمضي عليها عام من غير عجز في ميزانيتها ومثلها الروسيا وماذلك الا لكون مصاريفهما اكثر من ايرادها فديونهما تزداد كل عام

وتدفع انكلترا نحو ٢٥ مليون جنيه كل عام ربا ديونها وروسيا نحو ٤٠ مليوناً وفرنسا نحو ٥٠ مليوناً وايطاليا ١٨ مليوناً ومصر نحو ٥ ملايين والمانيا نحو مليون وربع فقط

واذا وضعت انكلترا الضرائب على الايراد فيمكنها تسد عجز الميزانية من فضل الموسرين فقط ولان مدينة لوندن وحدها تدفع نصف الضرائب في العام

ومصاريف الحكومة الانكليزية متنوعة اهمها ٢١ مليون جنيه تنفق على الجيش بفروعه و ١٦ مليون ونصف تنفق على العمارة و ٢٩ مليون جنيه تنفق على دوائر الحكومة واعمالها الاميرية و ٤ ملايين جنيه للمحاكم والبوليس ومستشفيات المجانين ومصاريف التسجيل والعقود ورواتب العمال ثم ٩ ملايين تنفق على العلم والمعارف يخصص منها ٥٠ الف جنيه للمتحف [illegible] الشهير ثم ستمائة الف جنيه لمعارض الفنون الجميلة و ٢٤٠ الف جنيه [illegible] الحكومة ووكلائها ونفقات مساكنهم وما يتبع ذلك من المصاريف

الكثيرة ونحو ٧٥ الف جنيه لالغاء التجارة بالرقيق ونحو ١٣٠ الفاً اعانة لبعض مستعمراتها واملاكها التي لا يفي ايرادها بنفقات حكومتها ونحو ٥٠ الفاً لاعانة الشركات التلغرافية ونحو ١٣٠ الفاً لجمعيات العلماء الباحثين . ثم ستمائة الف جنيه لراتب الملكة وافراد عائلتها ونفقات اهل بلاطها ورجال بطانتها . وتبلغ قيمة الصادر من انكلترا ٤٠٠ مليوناً من الجنيهات والوارد اليها ٤٨٠ مليوناً . فهذا هو اهم ما يهم معرفته من دين انكلترا ودخلها وصرفها مما اوصلها الى درجة الثروة والشوكة والعمران المتمتعة بها الآن

قوة انكلترا البحرية

Navy

توسع انكلترا في الغزو والاستعمار يقضي عليها بان تكون سلطانة البحار ذلك لان مستعمراتها واملاكها العديدة التي لا تغيب الشمس عنها تدعوها الى تمام التيقظ ودوام الحذر . فهي تعلم ان الدول جمعاء كبيرها وصغيرها تغبطها على هذا الملك الواسع بل وتحسدها عليه وتود لو يكون لها بعض ما لانكلترا من الممالك والاقطار لتستغل خيرها وارزاقها وثروتها وترسل اليها ابناءها لاستثمار ارضها وللاستئثار بمتاجرها وبسط نفوذها وسلطانها عليها وانكلترا تعلم ذلك ولذا تراها شديدة الحرص على املاكها وابقائها تحت سيطرتها فان لها من الاساطيل البحرية ما هو كاف لحفظها من خطر يداهمها او عدو يفاجئها فلا تخلو بحر او شاطئ من سفنها الحربية وبوارجها تمخر عباب البحار لا تترك مكاناً الا وتحل فيه ووراءها من معدات الحرب والدفاع ما بني العالم ان في تلك البوارج من آلات الدمار ما يدك الحصون الضخمة

ويدمر الرواسي العظيمة .

والانكليز خبيرون في خوض البحار من قديم الزمان وقد وصفهم احد كتاب الرومانيين لما طرقوا جزيرتهم بانهم يسبحون في الماء كالاسماك ويتمتعون بالبحر كأنه لهم مهد نشأوا وربوا في حجره فولعوا به حتى تملكوه مع تمادي الايام .

ولا يخفى ان الاساطيل الانكليزية كانت في حروب دائمة مع فرنسا واسبانيا وهولاندا والدانيمارك واسوج . وأشهر الوقائع التي فازت بها انتصارها على ارمادا اسبانيا التي كانت مؤلفة من ١٣٠ بارجة حربية وبوارج اخرى لنقل المهمات ثم فازت في واقعة ابي قير وترافلغار وكوبنهاغن وسنت فانسان وغيرها .

وفي انكلترا معامل كثيرة لانشاء السفن البحرية الحربية والتجارية ومدارس عديدة منها مدرسة كرينوش التي ربي فيها نلسن وبنيت هذه المدرسة في هذه المدينة تذكاراً للواقعة الحربية البحرية التي انتصر فيها الأسطول الانكليزي تحت قيادة الاميرال رسل على الاسطول الفرنساوي الكبير الذي قدم انكلترا لافتتاحها .

وانكلترا لا تزال تدأب على بذل النفقات الباهظة في انشاء البواخر العظيمة والسفن الحربية الى ما لا نهاية فقد بلغت ميزانيتها السنوية عن عام ١٨٩٨ (٢٦٥٩٤٥٠٠) جنيه اي ٧٦٠ مليون فرنك ولم تبلغ ميزانية الحكومة في وقت من الاوقات ما بلغته اليوم ففي عام ٨٦ كانت ١٣ مليون جنيه . ومن سنة ٩٥ زادت هذه الميزانية من ١٥ مليوناً الى ٢٧ اي ضوعفت .

وذلك لما رأت ان الدول كلها تهتم في بحريتها فاهتمت بان تجعل عدد سفنها اكبر واعظم السفن ٠ ٠

وقد بنت في مدة عشرة سنوات اثنتي عشرة بارجة محمول كل بارجة منها خمسة عشر الف طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً في الساعه ويمكنها ان تقيم في عرض البحر مهما كان النوء شديداً ولا تضطر ان تلجأ الى مرفاء ٠ وليس في اساطيل الدول الاوروبية والاميركية كلها ست بوارج مثل هذه ٠ ومدافعها من احدث المدافع المصنوعة من اسلاك الفولاذ وثقل المدفع منها ٤٦ طناً وثقال قنبلته ٨٥٠ رطلاً اذا اصابت حائطاً من الفولاذ سمكه متر خرقته كما تخرق الرصاصة لوح الخشب الرقيق

وقد وضعت في سنة ١٨٩٥ باخرة هي الآن اسرع البواخر لاتلاف قوارب الطوربيد تسير في البحر ٣٢ ميلاً بحرياً ولها قوة ٣٣٠٠ حصان ٠

والطوربيد من اختراعات الاجيال الماضية استعمله اولاً الاميركان في حروبهم الاهلية ثم اخذته عنهم بقية الدول وحسنته واضافت اليه استعمال الكهربائية وهو عبارة عن وعاء تحت الماء بحجم قارب فيه مواد متفرقعه فاذا قرب الى بارجة واشعلت المواد تفرقعت حالاً ودمرت البارجة وتستعمل هذه الآلة الجهنمية في تحصين المرافئ وفي الهجوم على الاعداء وكانوا قبلاً يرمون المواد من ظهر البارجة اما اليوم فيرسلونها تحت الماء وقد اخترعت وسائل كثيرة لحماية البوارج من التوربيد منها وضع شباك حول البارجة حتى لا يدنو منها شيء والتوربيد يزيد قوة بتقدم العلوم الطبيعية وباكتشاف المواد الملتهبة ٠ ٠

وقد امتازت سنة ١٨٩٨ بزيادة ما بني فيها من السفن الحربية والتجارية فقد بني في مدى هذه السنة ٨٠٢ سفينة منها ٧٦١ تجارية وحمولتها ١٣٧٧٤٧٠ طناً و ٤١ سفينة حربيه حمولتها ١٩١٥٥٥ طناً . ومن هذه السفن التجارية ٧٤٤ حمولتها ١٣٦٣٣١٨ و ١٧ سفينة شراعيه حمولتها ٤٢٥٢ طناً فقط .

ومن هذه السفن اجمعها ٦١٤ سفينه للانكليز والايرلنديين والاسكتلانديين و ١٢ للمستعمرات الانكليزية والباقي لدول اجنبية فيتضح من ذلك ان مابني في انكلترا وحدها في بحر هذه السنة يزيد عن ما بني في العالم اجمع بكثير .

ولدى انكلترا اكبر باخرة مخرت عباب البحر الى الآن وهي باخرة اوشانيك طولها ٢٠٩ متر وعرضها ٢٠،٧٥ وعمقها ١٥ متر وحمولتها ٢٨٥٠٠ طن وبها مخادع تسع ٤١٠ مسافرين من الدرجة الاولى و٣٠٠ من الثانية والف من الثالثة وذلك بخلاف مستخدميها البالغ قدرهم ٣٥٠ . وهي تسافر بين انكلترا وامريكا فتقطع المسافة في ٦ ايام فقط

هذا وعند انكلترا ما عدا بوارجها الكثيرة : السفن التجارية العديدة ومراكبها التجارية التي تحميها بالمدرعات والطرادات الكثيرة وتحولها الى بوارج حربية اذا مست الحاجة . ولديها اسطول سيار شرعت في انشائه هذه السنين الاخيرة وكانت تشتغل (عند وضع هذا الكتاب) بانشاء السفن التي يسهل مرورها بقنال السويس بسرعة ٣ ميل في الساعة

ويبلغ عدد جيشها البحري ٩٥ الف جندي وهي تنوي بان تجعله (١١٠٩٥٠) كل ذلك لتحفظ لنفسها السيادة على البحر فيقوى اسطولها على

اساطيل كل الدول وتحطيمها اذا اجتمعت عليها . فان من ملك البحر ملك تجارة العالم ومن ملك تجارة العالم ملك ثروته وبالتالي العالم نفسه .

﴿ جيش انكلترا ﴾

وبلغ عدد جيش انكلترا العامل ٢٢٢٣٧٥ والاحتياطي ٧٨٧٩٨ والرديف ١٠٧٧٥٣ ومجموع الكل ٤٠٨٩٢٦ .

الزراعة

Agriculture

مثل الزراعة بانكلترا اليوم مثل عود اعتوره ذواء وذبول اثر هبوب ريح سموم بعد ان كان اخضر زاهياً زاهراً وذلك لان الزراعة كانت بانكلترا في القرن الثامن عشر موضوع اهتمام الامة الانكليزية باسرها وكان لها من رجال الدولة وولاة امور الحكومة نصراء عديدون ساعدوا كثيراً في تمهيد سبلها الوعرة ففتحوا للزراع ابواباً وذللوا لهم المصاعب حتى امسى الفلاح الانكليزي اسعد حظاً واهنأ بالاً وارغد عيشاً من فلاحي الاقطار الأخر

ولما اقبل القرن التاسع عشر هبت ريح عاصفة على ذلك العود الذي يمثل الزراعة الانكليزية فاذوته واجفته بعد ان كان ليناً خضلاً وما تلك الريح الا واقعة واترلو الشهيرة التي كانت ضربة قاضية على شوكة الامة الفرنساوية والزراعة الانكليزية لانه عقب ان استتب الامن والسلام في اوروبا ونفي نابوليون الاول في جزيرة سانت هيلانه هبطت اسعار المحصولات الانكليزية هبوطاً افلس مزارعيها فلجأوا الى بيع ما عندهم والاستدانة لدفع ديونهم

ويدلك على ضنك الفلاح الانكليزي وشدة حاله بعد الرخاء نقصان عدد الزراع بها فقد دلّ الاحصاء ان عددهم بلغ في سنة ١٨٩٠ ١٫٣٣٧٫٣٢٣ نفساً وقد كان عددهم ضعف ذلك قبل هذه السنة بمائة عام وكذلك اذا استخرجنا نسبة زراع انكلترا لعدد سكانها في سنتي سنة ١٧٩٠ وسنة ١٨٩٠ تظهر لك حقيقة ما تقدم باجلى مظهر ففي سنة ١٧٩٠ كان عدد الزراع خمس سكان انكلترا واخذ في التناقص والقلة حتى هبط في سنة ١٨٩٠ الى جزء من خمسة وعشرين جزءاً

ومما بعث الزارع الانكليزي على ان يهجر الفلاحة ويلجأ الى غيرها من الصنائع والحرف زيادة اجور الارض ونقصان كراء الفلاح فمن سنة ١٨٥٤ الى سنة ١٨٧٩ زادت قيمة ايجار الارض اكثر من الربع في المائة وكذلك كراء الفلاح انخفض انخفاضاً فاحشاً من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٨٥٠ والمزارع تشغل مساحة عظيمة من ارض انكلترا الا انها لا تنبت من المزروعات سوى ما يفي بحاجة الثلث من سكانها وقد قدرها اولو الدراية والخبرة اخيراً فوجدت انها على نسبة ٨٠ في المائة من السطح الكلي لها وتليها مزارع ايرلاندا فبلاد الغال فاسقوسيا

اما مزارع الاولى فنسبتها من السطح الارض الكلي تبلغ ٧٤ في المائة والثانية ستون والثالثة ٢٨ فقط

وزراعة الغلال والبطاطس تشغل اربعة عشر مليوناً اكراً (والاكر يساوي ٤٠ آر ونصف والآر يساوي مائة متر مربع) للقمح منها مليونان وستمائة الف وللشعير مليونان وثلاثمائة الف وللجودار ثلاث ملايين وللكتان ١١٨ الفاً

منها ١١٣ الفاً بإرلانده ولحشيشه الدينار (الزرع الذي تعمل منه البيرا) ٦٥ الفاً وتشغل المروج الصناعيه ستة ملايين اكر ومسطح ما للمراعي خمسة وثمانون مليوناً

وكان بانكلترا اجمات كثيرة متسعة الا ان ايدي التلف عبثت بها ولم تبق منها غير اثني عشرة اجمة اشهرها اجمات هامشير (اي الاجمة الجديدة) وجلوسستر وشروود (نوتنجهام) واشهر اشجار هذه الاجمات البلوط والجوز والدودار والبقس وغير ذلك .

اما بالنظر الى تربة ارض انكلترا فانها تعلو على الوسط وبمقارنتها بارض فرنسا نجد انها تفوقها جودة وخصوبة فقد ورد في كتاب احد مشاهير رجال فرنسا المسيو ليونس دولافرن معدل ما يكسبه الاكار الانكليزي من الهكتار الواحد يبلغ مائتي فرنك (٢٠٠) وان معدل ما يكسبه الفلاح الفرنساوي من المساحة نفسها لا يزيد عن مائة نفس فرنك

وروي ايضاً ان معدل ما ينتجه الهكتار الواحد من الارض الفرنساوية لا يزيد عن ١٢ او ١٣ هيكتولترا من الغلال بخلاف الارض الانكليزية فان الهكتار منها تنتج من ٢٤ الى ٢٥ هيكتولترا اذا اعتنى الفلاح بتسميده واجاد في فلاحته .

معادن انكلترا ومعاملها وصناعتها

Mineral Wealth Factories and manufactured Goods

امتازت بريطانيا العظمى عن سائر البلاد الاوروبية بصناعتها العظيمة ومحصولاتها المعدنيه لان الاحصاآت السنويه دلت افصح دلالة على ان كمية المعادن والفحم التي تصدرها تفوق بكثير ما تصدره غيرها من البلاد الاوروبية . وقد شوهد ان اكثر البلاد ثروةً فيما تحاويه اراضيها من الاموال الطبيعية بلاد الصين لان الصين مع اتساعها الهائل قد حوت من المعادن والخيرات ما لا يستطيع يراع الكاتب وصفه ولا حصره ولا سيما وان ارضها عذراء لم تعبث بها ايدي التلف ويلي الصين في كثرة الاموال الارضية الولايات المتحدة الاميركية وبعدها البلاد الهندية ثم بريطانيا العظمى

واشهر مستخرجات انكلترا الفحم الحجري والحديد والرصاص والقصدير والنحاس والملح غير ان اقنى وانفع سائر المعادن للانكليز من المعادن النفيسه الحديد والفحم اذ لولاهما لم يتأت لهم انشاء البواخر والسكك الحديديه وغير ذلك . وليس كل البلاد التي فيها معادن الذهب والفضه اغنى من غيرها فان من المعادن ما تقوم نفقة استخراجه بفائدته فلا يحصل منه نفع الا مجرد الافتخار بوجوده وانما العمدة على سهولته والنشائه وقلة مصروفه فالحديد مثلاً يسهل صنعه في تلك البلاد لما أحدث فيها من افران الهواء بواسطة لهيب النار المنبعث من فحم الحجر فيحمى بها وهو تبر ثم يصفى ويجعل قضباناً مسبوكة من دون فحم ولا مطرقة وبالجملة فالحديد والفحم يشغلان المرتبه الاولى من مستخرجات البلاد وتشغل مناجمها مساحة تبلغ ٢٣ الف كيلومتر وفيها يشتغل

ما ينيف على الخمسمائة الف عامل ويزيد محصولها السنوي على المليارين من الفرنكات . ومعادن الفحم ليست محصورة في بقعة واحدة من بريطانيا العظمى بل هي متفرقة في انحاء المملكة ويبلغ عددها نحو ٣٨٠٠ معملاً ويفاخر بها الانكليز ويفضلونها على كل ما لهم من الاملاك الواسعة والمستعمرات الكثيرة الشاسعة وقد قال احد مؤلفي الانكليز بهذا الصدد : رأيت ذات يوم وانا على شاطيء نهر التين ثلثمائة سفينة سارت في آن واحد لجهات مختلفة من المعمورة تحمل الالماس الاسود اعني الفحم الحجري . فقلت لمن بجانبي ان هذه السفن بما تحمله لاعظم قيمة ونفعاً مما لو كانت حاملة ذهب اوستراليا او فضة مكسيكا او الماس حكومة الراس . ولا عجب فيما قال هذا المؤلف لانه لولا الفحم لما قامت للصناعة قائمة فهو من اعظم مصادر ثروة البلاد .

واشهر المناجم الفحمية هي منجم نورثمبرلند في شمال انكلترا يصدر ما يستخرج منه بواسطة ثغر نيوكاسل الشهير ومنجم لانكشير حوالي ليفربول ومنشستر وبلاك كانتري او البلاد السوداء وهي عبارة عن اقليم يوركشير وستافوردشير وقد سميت كذلك لان ما فيها من الفحم يجعلها على الدوام سوداء مظلمة ثم مدن جنوب بلاد الغال التي تصدر المستخرج منها بواسطة ثغر كارديف ويقدر ان الموجود من الفحم في بلاد الغال يكفي لحاجة الصناعة الانكليزية على نسبة المقدار الذي يصرف منه الآن

اما مقدار ما استخرج من هذه المناجم في سنة ١٨٧٣ فيبلغ ١٢٧ مليون طن وبعد ذلك زاد المقدار الى ١٣٣ مليون طن وفي سنة ١٨٨٠ وصل الى ١٤٦ مليوناً وبلغ ١٦٢ مليوناً في سنة ١٨٨٧ وبلغ الصادر منه في تلك السنة ٢٤

مليون ونصف تقريباً . ويبلغ الآن مقدار الخارج من هذه المعادن سنوياً ١٩٠ مليون طن وهو مقدار ما يخرج من ممالك الارض اجمع

اما الحديد الذي يصدق عليه ان يسمى جوهر الجواهر فقد كان يجلب الانكليز جلّ لوازمهم من المصنوع منه قبل سنة ١٧٨٣ من سواحل بحر البلتيك اما الآن فهم يصدرون منه الى الخارج أكثر بكثير مما كانوا يفتقرون الى جلبه سابقاً من البلاد الاجنبيه ففي سنة ١٧٤٠ كان ببريطانيا العظمى ٦٠ فرناً عالياً لعمل الحديد وكان الخارج منها ١٧ الف طونولاته وفي سنة ١٨٠٨ زاد الى ٢٠٠ الف طن ولبث يزيد مقدار المستخرج منه وتزيد الحاجة اليه حتى بلغ الآن عدد الافران العاليه ٨٠٠ فرناً وبلغ مقدار الخارج منها ١٣ مليون طن

اما المدن التي تصطنع الادوات الحديدية والجوارح والاسلحة البيضاء والآلات الزراعيه والقضبان والنوافذ الحديدية والآلات النارية هي :

شفيلد . برمنغهام . لوندرا . برتلي . ولفرهامبتون . ميدلسبورج . باروان فورنس . ديدلي . روثرهام . شروزبري . صراتيدفيل .

والحلي

مدن : شفيلد . برمنغهام . لوندرا

والخزف

مدن : برسلم . لونجتون . نيوكاسل . ستوك اپون ترانت بريستول . جلاسكو .

والزجاج

مدن : لوندرا برمنغهام ستوربردج بريستول . جلاسكو

واشتهرت ايضاً مدينة ليدس ومدينة برادفورد بصناعة الجوخ ومدينة كوفنتري بصناعة الساعات . ونيوكاسل بمحصولاتها الكيماوية ومدينة لوندرا بزيتها وشمعها . وليفربول بصابونها وجلودها وشستر بجبنها ونوتنهام بكشاكشها

وقد اختصت منشستر . ليفربول . اولدهام . بولتون . بلاكبورن . برستون . روشدل . وجلاسكو . بري . ستوكبور . اختصت بصناعة القطن ونسجه ●

واما المدن التي اختصت بصناعة الصوف فهي

ليدس . هاليفكس . برادفورد . هيدرزفيلد . كندال . فروم . سترود . كولشستر . نوريش . نوتنهام . غلوشستر . ليستر . جلاسكو . برث

ويصطنع الكتان في مدن

وارنجتون . ليدس . برنلي . اكستر . ليزبرن بوري بلفاست . موناجان . دزوجيدا . جلوي . دوبلين . جلاسكو . دند . برلي . مونتروز

ويصطنع الحرير في مدن

كوفنتري . ماكلسفيلد . ليك . لوندرا . نوتنهام . دوبلين

وقد كثرت معامل الورق في اقاليم كنت . وديفون . وهرتفورد ويورك وفي قسم من اسكوتلاندا وذلك لازدياد عدد المطابع وكثرة المطبوعات كالكتب والجرائد وفي انكلترا معادن اخرى كثيرة منها القصدير وكان يتجر معهم به اهل فينيقيه ويبلغ قيمة المصنوع منه الذي يتصدر الى

الخارج بخمسة مليون جنيه وهذا القدر يفوق اثنى عشرة مرة ما يستخرج من ساكس وبوهيميا البلاد الوحيدة بالمانيا التي تستخرجه

ومن معادن البلاد الشهيرة النحاس في كورنويل وفي بلاد الغال وفي جزيرة انجلزي ومعادن الرصاص والبلومباجينه (ومنها تعمل اقلام الرصاص) في نورثمبرلند ومعادن الزنك في دربي وجزيرة مان ومعادن الملح في تشستر وابسوم وباث وشلتنهام وتورويتش وسولفات المانيزيا في ابسوم .

وقد وجد فيها بعض معادن من الفضة والذهب وفيها معادن كثيرة يطول وصفها متشتتة في اطراف المملكة يشتغل فيها عدد وافر من الصناع

هذا وقد بلغت الصناعة في انكلترا حد الاتقان . ومن يقرأ شيئاً من اختراعات الانكليز واكتشافاتهم السنوية والشهرية بل الاسبوعية واليومية يعجب لكثرة تفننهم وتوسعهم في الاعمال . ومن يطالع فهرست اجازات التصريح التي تعطى يومياً لمخترعيهم ومكتشفيهم لا يصدق انهم بلغوا ما بلغوا من التدقيق والاتقان والانتفاع بكل شيء .

قال بعض المؤلفين : لما اقبل القرن التاسع عشر كانت فرنسا نازفة الدماء بائرة الصناعة وايطاليا وجرمانيا خائرتا القوى مقطعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبه المتوالية وليس في أوروبا كلها الا بريطانيا العظمى ملكة البحار مستمرة في جزائرها مستغنية بحاجزها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبار لم تر مثله العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنة زاد الخارج من معادنها زيادة سريعة وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومد فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حداً لم تبلغه ثروة أمة أخرى

قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثنى عشر مليوناً من الجنيهات حتى صارت صناعة ما تنتجه المعامل يزيد على ما يلزمهم منها اربع مرات في كافة المصنوعات وست مرات في المصنوعات القطنية .

وجملة القول ان صناعة انكلترا كانت سبباً لعظمتها اكثر من فتوحاتها وقد اقتفت خطوات هذه المملكة ممالك اخرى أوروبية فاخذت تجد لمناظرتها بمصنوعاتها في اسواق المشرق ولكنها لا تزال دونها بمراحل .

التجارة

Commerce

اقتضت الحكمة الالهية تفريق الارزاق والخيرات في جميع انحاء المعمورة مدرجات مختلفة متفاوتة فترى في هذا البلد ما لا تراه في ذاك وتجد في ذاك مالا تجده في ذاك وقد اختص بعض البلدان بوافر خيره وعظيم بره فجعل زرعها وانعامها ومعدنها موفراً وميز البعض الآخر بقلة حرثه وخيره حتى اذا ضربت بطرفك فيها لالفيتها جدباً . فسبحان الذي خلق الخلق ودبر الامر تدبيراً ..

على ان وفرة الخيرات في بلد لا توجب سعة اهليها ورفاهم . فكم من بلد ارضه جدباء واهله في نعيم وهناء ومن بلدان ارضها خصبة واهلها في جدب وقحط وشقاء فاذا بحث الباحثون عن سبب هذا الفرق العظيم وجدوه في قلة العمل او عدمه في هذا وكثرة العمل ووفرته في ذاك . تلك هي البلاد الافريقية الوسطى والاسيوية الشمالية والجنوبية والشرقية . البلاد الشاسعة الفسيحة

الارجاء اذا اختبرت اهلها لمتهم في بؤس وجحيم واذا امتحنت الارض التي تقلهم لوجدتها عزيزة الخيرات مفعمة بما يلذ ويستطاب واذا امعنت مليا في انكلترا مثلاً لوجدت ارضها قحلاء الا انها مشحونة بما يدهش العقول ويسحر الالباب . ذلك هو شأن البلاد التي يسعى أهلوها في جلب الاموال والخيرات من اقصى الاقطار لافتقارهم اليها غير مبالين بعظائم الاخطار وكبائر المصاعب فيلذون بذلك منتهى الثراء والسودد وذرى المجد والشرف وتراهم في مقابل ما يجلبون من الاقطار الاخر يصدرون اليها ما خص الله ارضهم به من معدن وغيره .

فهذه هي العملية التجارية الاولى في بدأ نشأتها

وقد توسعت انكلترا وبعض البلاد الاوروبية فيها فتفننت في اساليبها وفرعتها من اصولها فروعاً ونوعتها في ضروب اسبابها حتى اوصلت سلعها ومصنوعاتها الى حيث يستطاع الوصول والى حيث تثبت قدم الانسان

وانكلترا اليوم اسبق الدول في مجال التجارة اما ارضها كما ذكرنا فاجدب ارض وهي جزيرة يحيط بها الماء من جميع الانحاء وعمرها أكثر من سهلها وما ترزق الا من فضل التجارة فالتجارة لها بمثابة الروح من جسد الانسان ويدلك على ذلك المكيدة التي كان دبرها لها نابليون الاول حينما امر باقفال جميع موانئ اوربا لتجارتها فكاد ان يكون ذلك ضربة قاضية على حياتها لولا ان ساعدتها المقادير فتألبت الدول على نابوليون والتحم القتال بين الفريقين وعادت التجارة الانكليزية الى مجاريها

ومع ما هي عليه الاقطار الاوروبية من الحضارة والشوكة والقوة

والسعة فانه لا يوجد دولة اوروبية كانت او غير اوروبية تستطيع مجاراة انكلترا في مضمار التجارة فهي هي ربة متاجر الامصار لم يشاركها في هذا اللقب دولة من الدول الاوروبية بعد طول المناظرة والمسابقة والمجاراة فقد طالما جدت فرنسا وكدت حتى اضنت رجالها وبذلت الالوف المؤلفة من الاموال حتى اعيت رعيتها باثقالها ولكن لم يبلغ شأوها ولم تستطع مسابقتها ٠ فتجارة انكلترا لا تزال اكثر من عشرة اضعاف تجارة فرنسا في كل ناحية من انحاء المسكونة ٠ نعم ان الدولة الفرنساوية ذات شوكة وسيطرة ومستعمرات واسعة الا انها دون انكلترا في هذا الباب بمراحل ٠ ذلك لان انكلترا لم تبق بلدا من البلاد او قطرا من الاقطار الا وعقدت معه المعاهدات التجارية وهي الآن تشتري من ارلاندا حبوباً ومؤناً وترسل اليها مصنوعاتها وتشتري من شمال اوروبا خشباً وحديداً وكتاناً وقنباً وزفتاً وشحماً وبوتاسه وحنطه ومن اواسطها حاصلات الاراضي وحريراً وكتاناً وخشباً ٠ ٠ الخ ومن جنوبها الفاكهة والحرير والعقاقير ومن الولايات المتحدة الامريكية قطناً وارزاً وحبوباً وبترولاً ومن جنوبي امريكا جلوداً ونيلاً وسبائك من الذهب والفضة ومن اسيا الشاي والبن والنيلة والعقاقير والقطن والعاج وغير ذلك ومن افريقيا عقاقير وخشباً وقطناً وجلوداً وترسل مصنوعاتها الى الاقاليم المذكورة في مقابل ما تشتريه منها وقد دل احصاء سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٥ ان صادرات انكلترا الى املاكها والبلدان الاجنبية تبلغ نحو ٢٤ مليون ليرا انكليزية وبلغت وارداتها نحو ٣٧٤ مليوناً وكانت في سنة ١٨٧٥ اكثر من نصف واردات ست ممالك عظيمة: وهي الولايات المتحدة بامريكا وفرنسا والهند والمانيا وروسيا

واوستراليا وبلغت ايضاً صادراتها اكثر من نصف صادرات هذه الممالك

وبمضاهاة تجارة انكلترا في سنة ٧٥ لتجارتها في سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٨٨ يتضح لك جلياً مقدار الخطوة التي خطتها في سبيل التقدم والنجاح

اما وارداتها في سنة ٨٦ فبلغ ٣٤٩ مليوناً من الليرات الانكليزية وبلغ في سنة ١٨٨٧ (٣٦٢) مليوناً وفي سنة ١٨٨٨ زادت الى ٣٨٦ مليوناً

(منها من فرنسا ٣٧ مليوناً ومن المانيا ٢٤ ومن هولانده ٢٥ ومن روسيا ١٥٫٩ مليوناً ومن بلجيكا ١٤ ومن السويد ١٠٫٢ ومن اسبانيا ١٠ مليون ومن الدانيمرك ٥٫٢ ومن اوستريا ١٫٥ ومن الولايات المتحدة ٨٣ ومن الصين ٦٫١ ومن الهند ٣٢٫١ ومن اوستراليا ٢٣ ومن بلاد الكنادا ١٠٫٤ ملايين من الليرات الانجليزية فترى من ذلك ان واردات انكلترا آتيه من اصقاع مختلفه ومن الاقطار السحيقه جداً بدرجات تختلف باختلاف شدة العلائق التجارية مع تلك الاقطار .

اما صادرات انكلترا في سنة ٨٦ فبلغت ٢٦٨ مليوناً وفي سنة ٨٧ بلغت ٢٢١ مليوناً وفي سنة ١٨٨٨ بلغت ٢٣٣ مليوناً من الليرات الانجليزية (ونصيب فرنسا من هذه الصادرات ١٣٫٦ مليوناً والمانيا ١٥ وهولاندا ٨٫١ والروسيا ٤٫١ والبلجيك ٦ والسويد ٣٫٢ واسبانيا ٣ والدانيمرك ١٫٧ والولايات المتحده ٢٩٫٥ والصين ٦٫٢ وللهند ٣٦ ولاوستراليا ١٩٫٧ ولبلاد كنادا ٨١ ملايين

واليك بعض ما جاء بشأن قوة انكلترا التجاريه في كتاب الكاتب الفرنسوي الشهير ماكس لوكايو الذي وضعه حديثاً وبحث فيه عن تجارة انكلترا وعلاقاتها مع الدول : قال : قد زادت متاجر الانكليز زيادة هائلة في

٢٥ عاماً مرت فصارت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه سابقاً ثم قال

« وقد اقتحمت انكلترا البحر بسفائنها والبر بحاصلاتها حتى ان بحريتها لم تقتصر على نقل سلعها وبضائعها بل عمدت الى نقل مستخرجات كافة الاقطار الأخر وقد كانت قيمة واردات انكلترا في سنة ١٨٢٠ بالغة ٨٠٠ مليون من الفرنكات وصادراتها ٩٠٠ مليون ثم زادت قيمة الصادرات في سنة ١٨٣٧ الى ١١٢٥ مليون وارتفعت وارداتها من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٨٩ من ٥٢٦٣ مليون ترتك الى ١٠٦٩٠ مليوناً وكذلك صادراتها وصلت الى ٦٨٨٩ مليوناً بعد ان كانت ٤١١٣ مليوناً — وفي سنة ١٨٣٧ كانت تبيع انكلترا الى الممالك الاخرى مليون طن من الفحم فزاد هذا القدر في سنة ٨٧ الى ٢٤ مليوناً طناً ثم وصل في سنة ١٨٩١ الى ٣١ مليوناً وكذلك ازدادت صادرات الحديد فبعد ان كانت في سنة ١٨٣٧ مائتي الف طن وصلت الى ٤ ملايين طن في سنة ١٧٩٠ ومثلها المنسوجات القطنيه فبعد ان كانت انكلترا تبيع منها ٦٠٠ مليون يارده في سنة ١٨٣٧ اصبحت تبيع منها ٥٠٠٠ مليون في سنة ٩٠

واكثر واردات انكلترا مؤلف من الحبوب والقطن والصوف والسكر والحطب والخشب والشاي

واكثر صادراتها منسوجات القطن والصوف والحديد والكتان والفحم الحجري والرصاص والقصدير والنحاس والملح .

ومما يدلك على عظمة الحركة التجارية في البلاد الانكليزية وازديادها سنه عن سنه الارقام الآتيه :

حمولة السفن التي دخلت الموانى الانكليزيه بلغت في سنة ١٨٦٠ و ١٢

مليوناً طناً وفي سنة ١٨٨٧ ازداد الى ٣٢ مليوناً اما حمولة السفن التي خرجت منها فكانت في سنة ١٨٦٠ مليون ونصف مليون طن وفي سنة ٨٧ بلغت ٣٢ مليون طن و٨٤٨ الف طن وبلغ عدد السفن الشراعيه بانكلترا وحدها في سنة ١٨٨٧ خمسه عشر الفاً ومائة واحدى عشر سفينه حمولتها ٣ ملايين و٢١٥ الف طن اما السفن التجارية فبلغ عددها ٦٦٣٦ حمولتها اربعة ملايين وواحد وثلاثين الف طن (٤٠٣١٠٠٠ طن)

وقد ورد بكتاب ماكس لوكلير المذكور ما معناه : « منذ خمس واربعين سنه كان لانكلترا ثلث السفن التجارية الموجودة على سطح البحار كلها اما الآن فقد بلغ عدد سفنها ٧/١٢ من سفن العالم اجمع »

اي ان عدد سفنها اكثر من نصف سفن جميع الاقطار وفي سنة ١٨٨٧ كانت حمولة السفن الرافعة اللواء البريطاني تبلغ سبعين في المائة من حمولة كافة السفن التجارية الشراعية اما حركة الموانى الانكليزية ببريطانيا فكانت حمولة السفن الواردة اليها بين انكليزية واجنبية بالغة اربعة ملايين طناً في سنة ١٨٢٠ ثم وصلت الى ٢٤ مليوناً ونصف في سنة ١٨٦٠ ثم زادت في سنة ١٨٩٢ الى ٧٥ مليوناً فتأمل

وقد سهلت انكلترا طرق المواصلات التجارية في داخلها بحفرها الترع المديدة وانشاؤها السكك الحديدية التي تذهب حركتها باب الرأي وتخطيطها السكك الزراعية بين المواقع الشهيرة بحاصلاتها . ومركز السكك الحديدية مدينة لوندرا عاصمة البلاد ومنها تتشعب الخطوط الحديدية باجمعها الى كافة مدن المملكة وقد بلغ طول السكك الحديدية بانكلترا وبلاد الغاله

٢٢٢٢٥٠ كيلومتراً وبايقوسيا ٤٩٥٥ كيلومترا وبايرلانده ٤٣٠٣ فيكون طول مجموعها ٣١٥٠٧ كيلومتراً وقد احصى اخيراً هذا المجموع فكان (٢١٠٠٠٠) ميل

اما ترعها الصناعية فيبلغ طولها ٩٠٠٠ كيلو متر وقد حفر اكثرها من سنة ١٧٥٩ الى سنة ١٨٥٠ واول ترعة حفرت هي الترعة التي توصل بين ترعتي مرسي وترنت وكانت الغاية من حفرها نقل الفحم الحجري وقد سميت باسم الدوك الذي تكلف حفرها وهو الدوك بريدجتور واطول هذه الترع هي التي توصل بين مدينتي ليدس وليفربول

وقد تفنن الانكليز في جميع الاساليب والطرق التي بها يسهلون اسباب التجارة فلم ترعهم وفرة مصاريفها وطول زمانها وجسامة مشاقها واهوالها فاقدموا على تلك الاعمال بجراءة قلب وعزم ثابت واقدام لا تلويه الاخطار ولا تثنيه المصاعب التي دون تذليلها شيب الرؤوس وبذل الاموال والنفوس فمن جلائل تلك الاعمال مخازن لوندره وليفربول وقناراتها وقناطرها ونقب نهر التيمس ولنذكر طرفاً منها ليشاهد القارئ بسمعه مالم يره بعينه

مخازن لوندره — من الآثار الغريبة بلوندره التي تنطق بفصيح بيان بتقدم الامة الانكليزية باساليب التجارة المخازن الهائلة التي انشأتها في اواخر القرن الثامن عشر وما اوجدته منها في هذا القرن الحاضر وتلك المخازن المعبر عنها باللغة الانكليزية بلفظ دوك عبارة عن حياض صناعية واسعة الاطراف حفرتها يد الانسان بمهارة وتفنن غريبين واوصلت اليها الماء لتقل السفن والمراكب المشحونة بالبضائع والسلع كالاقطان والاخشاب والاقمشة والفحم وغير ذلك مما يرد اليها

من كافة اقطار المعمورة على اختلافها وعلى حافة تلك الحياض يوجد بناء متسع معد لقبول تلك البضائع والخيرات والسبب في انشاءها أنما هو ضيق نهر التيمس عن قبول كل مايرد اليه من السفائن . ثم ان عرض هذا النهر يبلغ ٢٠٠ قدم (وهو ضعف عرض نهر السين بباريز) وان المسافة التي بين لوندن ومصبه تبلغ ٩٦ كيلومترا الا ان السفن التي تقبل على لوندره وترد اليها من سحيق الاقطار وقريبه بعضها كاف لافعام تلك المساحة الرحيبة فمنعاً لايقاف مجرى التجارة بلوندن وعدم ضياع نفيس اوقاتها وتسهيلاً لتفريغ البضائع وصيانتها من التلف والفقدان اضطر الانكليز ان يحفروا تلك الحياض الواسعة لتدخل السفن بها وتفرغ بضائعها في المخازن المعدة على ضفافها

ومن اشهر تلك المخازن : مخازن سانت كاترينا وسميت بذلك لحفرها محل مستشفى كان شهيرا بهذا الاسم وتبلغ مصاريف بنائها ١٧٠٠٠٠٠ ليره انكليزيه وقد لزم لانشائها هدم ١٢٥٠ داراً كان يأوي اليها ١١٣٠٠ شخص ويوصل بين نهر التيمس وهذه الحياض قنال طوله ١٩٠ متراً وعرضه ٤٥ مركبة عليه آلة بخارية قوة مائة حصان تجاري لرفع الماء اليه او طرده حسبما تقتضيه حالة الملاحة ويمكن ان يقبل اية سفينه مهما كانت حمولتها فاذا دخلت السفن منه الى الحوض امكن تفريغ البضائع منها الى المخزن المعد لها مباشرة وتقبل حياض سانت كاترين من ١٥٠ الى ١٦٠ سفينة كبيرة عدا ما يكون بها من المراكب والصنادل العديدة .

ثم مخازن لوندرا الاصلية ابتدأ انشائها من غرة يونيه سنة ١٨٠٢ وتمت في خاتمته سنة ١٨٠٥ وبلغت نفقاتها مائة مليون فرنك اي ٤ ملايين من الجنيهات

الانكليزية ويرد اليها سنوياً ماينيف عن ٥٠٠٠٠٠٠ سفينه تجارية عظيمه ويدفع اربابها الى الحكومة ٣٢٥ مليون فرنك رسماً على مايخرج من مخازنها من البضائع ويمكن لمخازنها العلوية ان تحوي ٢٨٠ الف طن من البضائع ومخازنها السفليه تستطيع ان تقبل اكثر من ٨٧ دن نبيذ (من كبير الدنان التي يسع الواحد منها ٤٠٠ لتر) وبها محال خاصة لوضع التبغ (الدخان) وهي تسع ٢٤ الف برميل ثمنها ١٢٠ مليون فرنك وبالنسبة لاهمية تلك المخازن المسماة بمخازن لوندره الاصليه ترى ان الحركة التجارية بها عظيمة تفوق عن غيرها وهي كثيرة العمال وعدد المشتغلين بها فقط ثلاثة آلاف عامل .

ومن اشهرها ايضاً المخازن المعروفة باسم مخازن الهند الغربية وتبلغ مساحتها ٢٩٠٠٠١٠٠٠ متر مربع ويمكنها قبول ٤٠٠ سفينه وقد تصادف ان حوت مرة هذه المخازن ١٤٨٠٠٠ برميل سكر و ٧٨٠٠ دن و ٤٣٣٠٠٠ كيس بن و ٣٥٠٠٠ دن نبيذ و ٢١٠٠٠ طن الواح خشب و ١٤٠٠٠ قطعة خشب للبناء عدا ما كان بها من الطرود القليلة الحجم .

هذا هو وصف موجز لثلاثة من اشهر مخازن تلك المدينة الكبيرة التي تعتبر بموسوعات العالم حيث جمعت انواع الخيرات كافة من محصولات ومنسوجات ومصنوعات ونباتات وحيوانات وما تلك المخازن الاجزء صغير من كل كبير لا يسع القلم وصفه .

الفنارات . وقد امتازت ايضاً انكلترا عن غيرها من الممالك بوفرة فناراتها التي يدل حسن هندامها وعظيم رصانتها على اهتمام الامة الانكليزية تنشر لواء الامن والطمأنينة حيث تسير السفائن او ترسو المراكب التجارية

الحربيه

وقد كانت شواطىء انكلترا وايقوسيا وايرلانده كثيرة الصخور في سالف الزمن حتى تسبب غرق المراكب المعدة التجارية وهلاك عدد عديد من النفوس وكساد سوق التجارة في كثير من الحالات أما الآن وقد بلغت انكلترا هذا المكان العظيم وتسنمت ذلك الاوج العلى فلأت الامصار بمحصولاتها وبضائعها واتحمت المواني والمرافىء بمراكبها وسفائنها ومدت نفوذها السياسي والتجاري على كثير من اقطار المعمورة فترى ان شواطئها آمن من شواطىء سائر الاقطار .

وقد تألفت لهذه الغاية شركات عظيمة اشهرها شركة ترينتي هوس انشئت في عهد الملك هنري الثامن وكانت غايتها تقوية تجارة انكلترا والعمل على انمائها وانتشارها وتأييدها وتقويم ما يعوج منها وهداية ما يضل والعمل على تدريب الملاحين وتعليمهم وخصوصاً على زيادة تأييد انارة الشواطىء واضاءتها بالفنارات ومراكب الانارة وبطرق الاضاءة المعروفة عندهم .

وقد دلَّ احصاء سنة ١٨٧٩ ان عدد الفنارات الموجودة ببريطانيا العظمى يبلغ ٩٥٤ فناراً وبما ان طول شواطىء انكلترا يبلغ ٢٤٠٥ ميل بحري وطول شواطىء ايقوسيا يبلغ ٤٤٦٠ وايرلاندا ٢٠١٨ فيكون المجموع ٨٨٨٣ ويكون المعدل فناراً واحداً لكل ٩٫٢ ميلاً وهذا اكبر دليل على مالانكلترا من الاهتمام العظيم ولبث الطمأنينة بين تجارها واولي شؤونها

فاذا كانت تلك المصاريف الباهظة والابنية الحربية الواسعة والفنارات الكثيرة ما خصصت الا بواسطة تيسير حركة التجارة وحفظ السلع والبضائع

فما يكون اذاً النفع الذي تستمده المملكة الانكليزية من هذه التجارة . لعمري ان الخبير العاقل لا يشك بان التجارة هي حيوة هذه المملكة وقوتها وسطوتها وان التجارة هي التي جعلتها امة عددها ٤٠ مليوناً تحكم ٤٠٠ مليون .

فكل عمل عند الانكليز تجارة وكل تقدم ونجاح اصابوه كان من التجارة فتحهم الممالك تجارة وحكمهم الامم الكبيرة والشعوب الكثيرة تجارة .

ولما شاع لدى وضع هذا الكتاب ان البعض من وزرائهم وعمال الحكومة يداً في ادارة الشركات التجارية لم يظهر الشعب استياءً من عملهم ولا غضب عليهم بل تلقى الامر كما هو ساكن البال رابط الجاش والجرائد ظلت صامتة لا ترى بهذا الامر سبةً ولا بمتاجرة الوزراء خطأً . على أنه لو ظهر مثل ذلك في دوائر دولة اخرى من الدول الاوروبية لا نقلب الوزراء عن كراسيهم وساقوا بألسنة حداد بل رموا بالخيانة والسفاهة وكل مذمة . اما الانكليز فبخلاف غيرهم يرون ان الرجل المفيد هو الذي ينفع وطنه بكل عمل اي انه يفيد امته بالتجارة كما يفيدها بالسياسة .

وخلاصة الكلام ان الانكليز يتاجر جنديهم بدمه . ويتاجر كاتبهم بقلمه وحاكمهم يتاجر بسياسته كالبائع بسلعته والصانع بحرفته فبالتجارة سادوا وبارباحها ارتفعوا وبمواردها عزوا

عادات واخلاق الانجليز

Manners & Customs

لاريب في أن اعظم شيء يستدل به على تمدن امة وتقدمها هو النظر الى اخلاقها التي رسخت فيها فاصبحت خاضعة لها بلا علاقة عقلية في معظم الاحيان .

وقد ادهشت الامة الانكليزية العالم بأسره لشديد تمسكها بعاداتها والمحافظة على القديم منها رغماً عن تحوّل الاحوال وتغير الظروف حتى اصبح نظامها مجموع عادات كل عادة منها تقوم مقام سنة مشروعة

— خلق الانكليز —

امّا خلقهم فالغالب فيه انهم طوال القامة او متوسطوها رشيقو القدود شديدو القوى والاعصاب . رحاب الصدور . لونهم ابيض . زرق العيون . صغار الانوف . رؤوسهم مستطيلة مرتفعة . وجلدهم صاف شفاف وشعرهم اشقر في الغالب ووجوه سكان القرى منهم اصفى لوناً من سكان المدن وهم بالجملة اجمل من نسائهم بخلاف رجال الفرنسيس فان نساءهم اجمل منهم . وقد قسم بعضهم الحسن في رجال الانكليز الى ثلاثة اقسام : الاول في العساكر وهم ينتخبون من ذوي اللياقة والصحة الحسنة ويلحق بهم الشرطة وضباط الجيش وقواده الثاني في خدام الكبراء والامراء والفنادق الكبيرة . والثالث في الكتاب الذين يستخدمهم التجار المثرون واصحاب الحوانيت العظيمة حيث يكثر تردد الجنس اللطيف فان ذلك ادعى لهن الى الشراء .

الانكليزية

والانكليزية اما ان تجمع بين معاني الحسن الزاهر فتكون فتانة وآية في الجمال او تكون مجرّدة منها . على ان في الانكليزيات الجمال المفرط الذي لا مثيل له في نساء الافرنج . وهنّ ناعمات البشرة لونهن ابيض مشرب بحمرة قرمزية . وعيونهن بين الشهل والزرق . طويلات الاقدام . نحيلات القوام مولعات بالاعمال الرياضية تجارين رجالهن بركوب الخيل واللعب بالاكر والجري في الحقول والحدائق مما يكسبهن قوة في الاعضاء ونمواً في الاجسام . وامتشاقاً في القدود . واحمراراً في الخدود . ويجعلهن اوفر قوى من غيرهن من الاوروبيات . ثم ان اسنانهن احسن ما يظن في نساء البلاد الباردة وهي اول الصفات المستحبة عند رجالهن وهم يشبهونها بالدر المنظم كالعرب ويشبهون العيون بالماس كما يشبهها العرب بالنرجس .

والانكليزية الجامعة لصفات الجمال تكون طويلة القامة ممشوقة القد متجعدة الشعر نجلاء العينين زرقاؤهما شماء الانف صغيرة الاذنين حمراء الوجنتين والشفتين

وقد تفرّدت الانكليزية وهي فتاة بعادات لم يشاركها فيها غيرها من الاوروبيات وهي في الغالب ارق تربية من سائر الاوانس الاوروبيات متى بلغت الاربعة عشر ربيعاً تراها في ريعان صباها اول ما يظهر عليها علائم الشهامة وامائر الشرف والكبرياء فيرى رائيها وهو يخاطبها انها ترفع انفها الدقيق تيهاً وكبراً فيقرأ في جبينها المشرق بانوار العفاف آيات الكمال والاداب ولذلك كانت حرة باعمالها قبل الزواج لها الحق في الدخول

والخروج وحدها او مع من شاءت فتصاحب من أحبت بدون ممانع ولا منازع وليس لذويها مراقبتها او الضغط على حريتها . تعرف مالها من الحقوق فتتمتع بها وهي آمن الناس على نفسها . لا تكاتب من أحبت على نور المصباح في دياجر الليل خفيةً ولا تقبل ما يرد لها من الرسائل خاسةً وانما تعمل ما يرشدها اليه عقلها ومبادئ التربية الشريفة التي تلقتها منذ طفوليتها فتوجب الواجب عليها حفظاً لشرفها وشرف اهلها

ومن المقرر انه ليس في تحجب النساء عن العيون كما هو في بعض بلاد الشرق ولا في المراقبة الشديدة وحجر الحرية التامة تمام الفضيلة فالحجر انما يكون على الجسم ويكون نتيجته إماتة تلك الشهامة التي اشتهرت بها الانكليزيات لانه ليس للام او للاب او لعالم باسره ان يعلموا عواطف القلب البشري التي خفيت على عالم التشريح في اسرار تركيب الجنس اللطيف وامزجتهن عجائب يحار لديها الفكر ويذهل العقل وامام هذه العجائب يكون القلب معرضاً لتأثيرات تلقيه في نار من المذابات فيضعف وان تقاوى ويذل وان تظاهر بالعزة . وبالجملة فالتضييق لا يجدي نفعاً وانما يضعف بعض عواطف هذا الهيكل حتى يجري المقدر عليه . والفضيلة كما قال بعض علماء الاخلاق شجرة لا تنبت الا في حقل الحرية .

وليس للفتاة الفرنساوية حظ النزهة وحدها او مع شاب او شابة مثلها كالفتاة الانكليزية فهي لا تخرج من بيتها الا اذا كانت امها او ابوها برفقتها وهي تبذل كل العناية في ازيائها وتظهر عليها زيادة الاعتناء والتكلف خلافاً للفتاة الانكليزية فانها تختار الزي البسيط في الغالب والمريح لجسمها فتظهر في الصيف بلباس

من الجوخ وبعض الاقمشة الجيدة النسج وفي الصيف بثوب ابيض من التيل وتهمل شعرها ليسترسل على منكبيها بدون اعتناء وتضع على رأسها قبعة خفيفة وتذهب للخلاء مع رفيقاتها تباري الشبان في الالعاب الرياضية فتخالها وهي تجري والنسيم يعبث بشعرها في ذهابها وايابها كأنها ملك ناشر جناحيه للطيران . وهي تكابر على الاستحمام بالماء البارد صيفاً وشتاء ولا تحب التبرج والتزين كما قدمنا بل تعلم ان الفتاة التي احرزت الجمال الطبيعي والادبي لم تعد مفتقرة لزينة او لاحجار ثمينة

والانكليزيات لا تحلى بالحلي والجواهر الا على الموائد في مناولة طعام العشاء او في ليالي الولائم والاحتفالات والمجتمعات الكبيرة والمراقص والتياترات فتظهرن بالديباج والثياب الفاخرة وقد جررن اذيالهن جراً وكشفن عن صدورهن واكتافهن وانصاف اعضادهن وتحلين بالحلي الثمينة مما لا يرى في اعظم الاحتفالات الاوروبية ومما يسحر الالباب ويدهش الانظار . ولا يخفى ان المرأة الجميلة الذات والصفات تكون زينة لبيت زوجها وبهجة لحياته ولذلك كان الزواج شائعاً عند الانكليز اكثر مما هو عند غيرهم وهذا اول داع الى نموهم وتكاثر عددهم ولا تمهر الابنات العائلات الكبيرة الغنية واذا تجرأ شاب على ان يسأل والداً من ارباب البيوتات المتوسطة عن مهر ابنته فليس له على سؤاله من جواب سوى الطرد . ذلك لان الانكليز يعتبرون كغيرهم ان الرجل لا يجب عليه ان يقدم على الزواج الا اذا كانت حالته تسمح له ان يقدم لامرأته كل احتياجاتها .

والشاب الانكليزي اذا احب فتاة يستطيع ان يخطبها لنفسه ولو

كان تلميذاً في المدرسة وقد يستمر عقد الخطبة بين الخطيبين سنين عديدة يتمتعان في خطوبتهما بكل اطايب المعاشرة ويطلق لهما العنان فيسرحان ويمرحان ويأويان الى الحدائق والرياض وهما ذاهلان ببعضهما عن الدنيا ويظل العفاف شعارهما حتى الزواج حينئذٍ لا يمكن لاحدهما العدول عنه لغير موجب شرعي فعلى قدر ما يرى من الحرية الممنوحة للخطيبين في تلك البلاد ترى الشريعة صارمة بحق من يحنث بوعوده فاذا اراد الشاب القطيعة اقتادته الفتاة واهلها الى القاضي فتقف امامه موقف المطالب بحق مدني وهناك تقيم الحجة على خطيبها وغريمها فتشرح دعواها وتؤيد حقوقها باثبات عدد القبلات التي التي اقتبلتها والاقسام التي اغلظها لها حبيبها وبابراز صكوك الحب التي كتبها لها يبثها شوقه وغرامه ثم تطلب العطل والاضرار والمصاريف فيحكم لها القاضي بقدر ما يتراآى له وقد حكم مرة على شاب غني بدفعه غرامه باهظة لرفضه الاقتران بخطيبته من غير موجب شرعي فلم يمض على الحكم شهر واحد الا كان واياها في معيشة واحدة تحت سقف واحد وقد تجري هذه الاحكام على الفتاة فيما اذا كانت البادئة ولخطيبها حق المطالبة بحقوقه أيضاً .

وقد جعل هذا العقاب في هذه الشدة لان الانكليز يعتبرون ان الفتاة بعد خطبتها صارت كالزهرة التي اقتطفت فزال منها بعض العبق والرائحة والانكليز يؤثرون الزواج في اول الصيف والغالب ان الفتاة الانكليزية تتزوج في الخامسة والعشرين من العمر فتختار من كان يضارعها في العمر أو كان أكبر منها بسنتين أو ثلاث وكان على مرادها وهواها نصرانياً او يهودياً بلا تمييز في الدين على الغالب أما اذا رأيت شيخاً هرماً يأخذ بيد صبية جميلة

في زهرة العمر فاحكم بدون تردد ان الرجل غني كبير وانها مارضيت به بعلاً الا لتشاركه في غناه وشرفه لان الغنى والشرف افضل من كل شيء عند الانكليز .

قال احد علماء الاخلاق من الفرنسيس : ان بلاد الانكليز منبت النساء ومعدن الازواج بمعنى ان الانكليزي يهنأه العيش اكثر من غيره مع زوجته . والانكليزية خلقت لان تكون للبيت اكثر مما هي للبهرجة فالرجل لا يهتم سوى باعماله ولا يعلم من تدبير بيته شيئاً وما عليه الا ان يقدم لامرأته مقداراً معلوماً من المال كل اسبوع او كل شهر او كل عام وهي تنفقه في حاجة المنزل كيف شاءت فاذا عاد ليلاً خفت عنه وطأة مصائب النهار وزالت اتعابه بما تقابله به زوجته من اللطف والجذل والوقار وبما يرى من نظافة منزله واتقانه وما يجد بجوانبه من انواع الهناء مع راحة البال من الاسباب الباعثة على الالفة . والانكليزيات اوفر مودة واعتباراً لازواجهن من غيرهن يعضدنهم في الضراء بما يتوقع منهن في السراء ويصبرن على الوفاء وعلى نوائب الايام صبر الكرائم الا ان جاراتهن الفرنساويات اكثر رقة ورشاقة واخف روحاً واعظم ميلاً الى اللهو والطرب واقرب الى القلوب وهن ايضاً اوفر مشاقاً بينما ترى الانكليزيات اكثر رزانة ووقاراً وافضل منهن ازواجاً

وينشأ الفرنساوي بالنظر الى هشاشة والدته وطباعها اكثر لطفاً وتودداً يكثر من المؤانسة والمعاشرة ومن مخالطة النساء وحبهن والتهالك في العشق كثيراً والمخاطرة بالنفس في سبيل مرضاتهن بينما ينشأ الانكليزي رزيناً وقوراً واوفر رزانة وبينما ينشأ الشاب الشرقي بخلاف الاثنين هيوباً هلوعاً

وفي ذهنه التخيلات والاوهام وترى أيضاً ان لوندرا تاوي كبار التجار اليها ويقصدها اصحاب جلائل الاعمال واماثل الناس فهو مجمع طلاب الملذات كل ايامها اعياد وافراح .

وقد أحل الانكليز اكثر من سواهم من الاوروبيين هذا الجنس اللطيف في أعلا مقام لانهم عرفوا ان نجاح البلاد يتوقف عليه وان المبادئ القويمة تتولد كما قال بعض علماء الاخلاق في احضان الامهات أو على مقاعد المدارس فشيدوا الذلك المدارس في انحاء المملكة بين ابتدائية وكلية فتهافتت عليها البنات تهافت الصبيان وصرن يتعلمن وهن صغيرات حتى يضارعن رجالهن في العلوم العالية كبيرات وهن يسابقنهم في الاستخدام في كثير من المصالح الاميرية كالبوسطه والتلغراف وعلى الخصوص في المخازن التجارية والمحلات العمومية وترى منهن ايضاً الكاتبات ومحررات الجرائد . وقد دل الاحصاء ان في مدينة لوندن وحدها خمسين الف فتاة كاتبة في المصالح الاميرية والتجارية ونحو ٣٢٠ الف خادمة في الفنادق والبيوت

وليس في العائلة الانكليزية على الغالب رفع الكلفة ولا بين الزوج وزوجته تلك الدالة الزائدة التي بين المتزوجين فالرجل يتبع مع امرأته كل انواع الاكرام كما لو كان مع سيدة غريبة فهو يراعي اصول المحبة دون الغرام والكلف الزائد .

ثم ان الانكليزية التي كانت حرة قبل الزواج تصبح مقيدة بعده باوامر زوجها ونواهيه واذا ما زارها رجل كان او امرأة جلس معها دون حضوره ولها الحق مباح في الخروج دون استئذانه انما عليها فقط ان تخبره بقصد خروجها ومع

هذه الحرية التامة ترى العفة عند الانكليز اكثر مما هي عند غيرهم فمقام العرض مصون لديهم كل الصيانة فلا يقبل في مخالطة العائلات من عرف عنه انه ارتكب المحرمات او عاش متهتكاً فالذي يثبت عليه هذا الامر يضام ضيماً عظيماً ويسقط شرفه ادبياً . والضيف الزائر لسيدة انكليزية يلزمه المحافظة على القواعد المتبعة عندهم كالتجمل باللباس الفاخر وعدم السعل والتدخين .

والانكليزيات بارعات في اصول الحديث وافانين التمدن واساليب الاجتماع والمعاشرة وقد تستطيع السيدة العظيمة لعظمتها وعلو مقامها ان تصير رجلها عظيماً وان تمهد له سبيل الترقي الى ذروة المجد والفخار فسلطانهن كما قيل « سلطان محبة وجمال وتعقل وتأثيرهن يعم الحياة باكلها » ومن الشهود الصادقة على هذا المقال ان بيكو نسفيلد الشهير لم يتدرج في معارج المجد ولم يصل الى منتهى مراتب السؤدد والعلاء التي وصل اليها الا حين عقد قراناً سعيداً على زوجة وندهام لويس الشهيرة بالبهاء والثراء فمثل بواسطتها في مشاهد السياسة فصولاً عظيمة اطارت صيته في الآفاق حتى طبقت الفضاء . ولما اعتزل الاعمال وارادت الحكومة ان تمنحه اللقب الشرف جزاء خداماته قال : اعطوا كل الالقاب لامرأتي لان لها اليد الطولى في كل اعمالي ومثله غلادستون فانه كان مقراً بالفضل لامرأته في شهرته فانها كانت ترشده وتعضده في اعماله وبين الانكليز كثيرون يعترفون بفضل المبادىء القويمة التي غرستها امهاتهم في عقولهم فنمت حتى صارت من اقوى العواطف الخاصة .

وتتشرف نساء الانكليز بما نبغ بينهن من نوابغ الملكات اللواتي رأت البلاد في ايامهن سعداً ونجاحاً واتساعاً ما رأت نظيره في ايام الملوك . ولا

غيرو فانكلترا تقدمت تقدماً عجيباً في العلم والصناعة والقوة في حكم الملكة اليصابات واختها ماري واتسع ملكها وعظم شأنها وازدادت ثروتها في حكم جلالة الملكة فيكتوريا . وبالجملة فقد قال احد علماء الاخلاق . اذا شئت ان تعرف حالة مملكة سياسياً وادبياً يلزم اولاً ان تعرف ماهي حالة نسائها

فما اجدر الشرقيين المطلعين على هذه الاقوال بادراك فوائد تعليم النساء واتائهن مالهن من الحقوق تدريجاً والنهوض بهن من عقال الخمول والذل الى قمة النشاط او تعميم المدارس في ارجاء البلاد فهن مدار العمران . وهن قوام الهيئة الاجتماعية . وكفى .

بيوت الانكليز

يعجب الداخل الى بيوت الانكليز مما يراه فيها من الزخارف الكثيرة المرتبة على نسق بديع وقد تكون هذه الزخارف قليلة الثمن والقيمة ولكن النظام الذي وضعته بها ربة البيت يكسبها منظراً يسر الناظر ويشرح الخاطر وهم يزينون حيطان المنازل بالخود والدروع والقسي والرماح والتروس والخناجر والسيوف وبغير ذلك من انواع السلاح والآثار وبصور سباق الخيل او صور الكلاب والارانب او صور رجال الاعمال . ويتنافس أغنياؤهم وكبراؤهم بفرش بيوتهم بالاثاث الشرقي وبنوع خاص السجاد العجمي

وهم يعدون كل غرفة من البيت لعمل خاص بها . فهذه للاكل وتلك للنوم وغيرها للمدخنين وخلافها للمطالعة الخ . ولهم لكل حركة كرسي خاص : فكرسي طويل يجلسون عليه حين المناجاة السرية او التأملات الفكرية وكراس اخرى دراجة وامامها ادراج للمطالعة او الكتابة واخرى

ذات اذرع للتدخين وغيرها للجلوس عليها حين مناولة الشاي . وبالجملة فلكل اداة من ادوات البيت او غرفة منه خصصت بشيء لا تتعداه

الاكل والشرب

اما المطبخ الانكليزي فليس في جودة واتقان المطبخ الفرنساوي لان اصناف الاطعمة عند الانكليز قليلة جداً . وقد قال فولتير في هذا المعنى . ان الانكليزي يسبح خالقه ويعبده من خمسين وجه ووجه ولا يعرف يطبخ خاروفه الا من وجه واحد ولذلك ترى ان طهاة الانكليز هم من الفرنسيس . وهم لا يأكلون بدون شراب ولا يأكلون من الخبز الا القليل ومن أكثر من اكله امامهم عد متوحشاً .

وهم ينفقون على المسكرات اضعاف ما ينفقون على التعليم ولكن اقبالهم على شرب الشاي والشوكولاته قلل عدوى المسكرات فيما بينهم والحكومة قادرة ان تفرض الرسوم الباهظة عليها فتجعل الاقبال قليلا

وقد ولعوا بشرب الشاي حتى صارت العائلات تجد باجتماعه لشربه اعظم سرور وهو من اللوازم التي لا بد منها في كل بيت . والانكليزي لا يستطيع ان يعيش يوماً واحداً دون شاي كما لا يمكن الاسكوتلاندي ان يقضي يوماً واحداً بدون وسكي او للشرقي بدون قهوة .

ثم ان الشاي عند الانكليز ضرب من الاكرام فاذا دعا احدهم صديقاً له على شربه كان ذلك دليلاً منه على شدة وداده له واحتفاءه به

لولا قوة العقل الناتجة عن قوة الجسم لما امكن الانكليز ان يسودوا أكثر العالم ولذلك ترى ان شهرة الكثير من رجالهم العظام كانت عقلية وجسدية معاً ولقد ادركوا ما للجسد من الحقوق الواجب اتباعها بعد ان اجهدوه في الاعمال وعرفوا ان لا دواء له سوى الرياضة الجسدية على انواعها فاشبهوا بذلك قدماء اليونان والرومان الذين كانوا يروضون ابدانهم على جميع الالعاب الجسديه فيصيروا الشداء اقوياء قادرين على الجهاد في سبيل الاوطان سواء كان بالعقل او بقوة الجسم . ولا يتيسر للغريب معرفة حقيقة الانكليزي وهو منهمك على الاعمال بل عليه ان يراه وهو في الخلاء في الاماكن البعيدة عن السكن حيث يذهب لاستنشاق الهواء النقي المفيد للصحة ويتمتع بجمال الطبيعة فهناك يخلع عنه ثوب الرزانة ويجلي صدأ هموم المدنية ويبدل الكتم والوجوم بالبشر والسرور ويميل الى ما يميل اليه القلب ويطرح ظهرياً اصول التكلف ويندفع باكله على انواع مختلفة من اللعب تنزه العقل وتكسب الاعضاء تقوية ونمواً وتمنع كثيراً من الامراض العضالة وقد اقاموا لهذه الاعمال الاماكن الفسيحة في مدارسهم لتمرين الطلبه حتى ينموا اشداء اقوياء البنية فيقدر العقل على اتمام وظيفته ويستطيعوا ادمان السعي والى ساحة لعب من هذه الساحات اشار ولنتون القائد الشهير وقال وقد رأى الطلبة يلعبون ويمرنون اجسامهم « هنا قهرت نابوليون في معركة واترلو »

ومن يرى جندياً انكليزياً يعجب لضخامة جسمه واعتدال قده وغلظ يديه وقوة عضلاته وعرض اكتافه ووسع صدره مما هو نتيجة الاعمال

الجسدية من جمنستيك وسباحة ووثب وحمل وهذا هو السبب على قدرة الجندي الانكليزي على احتمال الاسفار والاخطار والثبات في المعامع والحروب والمقدرة على احتمال المصاعب الجسمية .

ومن الانكليز من يعمد الى الجري والركض والمشي السريع مراحل من الارض ومنهم من يلعب بالكرة والصولجان العاباً تنزه العقل وتساعد على التنفس بمرور الهواء النقي للرئة وشبهها ومنهم من يمارس الالعاب الجبارية او يسافر على اكثر انهار ونهيرات اوروبا في مركب يجدف فيه اياماً متوالية حتى اذا عاد من سياحته الف عليها كتاباً عنوانه (اون ذي ريفر) على النهر وفي هذه الالعاب ايضاً اكبر مساعد على نمو العضلات وتقوية الساعدين والكتفين ومنهم من يتروض على ظهور الصافنات الجياد ويستاب الصحة من نسمات الرياح ومنهم من يعمد الى عزق الحدائق والبساتين كما كان يفعل غلادستون وغيره او يقوم باعمال اخرى تستدعي الى تعبه حتى اذا ما استلقى على فراشه ساعة من الزمن عاد اليه نشاطه الاول وهب الى عمله وهو اقدر عليه من ذي قبل

وإنا لنعجب اذ نرى الشيوخ منهم ذوي صحة كاملة ووجوه ناضرة وقوة غريبة يبلغ احدهم السبعين من عمره ونشاط الشبان لا يزال ينازع بياض المشيب وقد لا يخطه الشيب لا في رأسه ولا في عارضه وما ذلك الا لان اجسامهم تقضي هذه الحياة براحة وهناء عدا عن كونهم لا يعرفون اسباب الشيب وهي الهم والخوف فهم في غبطة حال وامان وفي مركز يحسدهم عليه العالم بأسره لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الرهان

ويتبع الالعاب الرياضية عند الانكليز الرهان على الجياد فليس احب اليهم ولا اقرب الى قلوبهم من فارس مراهن حاز قصب السبق ومما يروى ان هذا الحظ قد ساعد اللورد روزبري ففاز جواده في رهان دربي وقال ان هذا الفوز أثر في خاطر الأمة فالت اليه بأكلها ونال في بعض الانتخابات من مدة غير بعيدة الفوز الذي ناله جواده في السبق

ولا يخفى ان في الرهان فائدة عظمى للخيل والانكليز يدفعون الاموال الطائلة في سبيل ركوبها وتربيتها والسباق عليها وقد بيع حصان واحد بثلاثين الف جنيه وغيره بعشرين الف وكثير من اكابر الانكليز ولورداتهم لا يلذ لهم غير ركوب الخيل والسباق الا ان هذا الولع العظيم صار يلحق ضرراً جسيماً في الفرسان والمتفرجين فهم يستعملونه كفرصة للمقامرة على من يحوز قصب السبق من الجياد واشهر رهان عندهم هو رهان (دربي) فلا تسابق فيه الا احسن جياد المملكة وقد انشئت شركة هذا الرهان منذ ١٢٠ سنه قام بها ارل دربي ويبلغ عدد اعضاؤها ٢٨٠ عضوا ورأس مالها ١٧ الاف جنيه وجائزة الجواد الاول الفائز خمسة آلاف جنيه وللانكليز ايضاً شغف عظيم بسباق المراكب لا يقل عن شغفهم بسباق الخيل

السياحة

والانكليز اكثر امم الارض ولعاً بالسياحة والاسفار فترى الاغنياء والامراء منهم يجوبون الاقطار ويشاهدون ما فيها من غرائب الآثار ويقفون على احوال الاجانب في بلدانهم المختلفه وترى التجار منهم يركبون

متن البحر والبر لجلب الثروة من اطراف الارض الى بلادهم العزيزة لديهم او لاستكشاف ارض جديدة تصلح للاستعمار وبخلاف ذلك قلما تجد انكليزياً يرحل من بلاده لتعليم الرسم او الموسيقى كباقي الافرنج

والانكليزي يسافر الى اقصى البلاد بدون ادنى تكلف وانزعاج فيضع في صندوقه ما يحتاج اليه ولا يضن ببدر ولا بدينار وقد يشير الطبيب الانكليزي على مريضه بتبديل الهواء في اوستراليا اوفي غيرها من المستعمرات الانكليزية التي يقتضي السفر اليها اياماً طويلة كما يشير طبيب فرنساوي على مريضه بالذهاب لسان جرمان او الى فيشي اوكما يشير طبيب مصري على مريضه بالذهاب الى حلوان او الى الرمل ولكن هنالك يبقى سوأل اخر على الانكليزي وهو هل اعود من طريق الصين اومن طريق امريكا

على أنه يعد قبل قيامه من لوندرا للتجول والسفر الملحوظات الواجب عليه اتباعها والسير بمقتضاها فيخط في مذكرته ان في يوم كذا من شهر كذا الساعة كذا مثلاً يجب ان أكون على قمة الجبل الفلاني وقد يتم له ما يريد ويصعد الجبل الى قمته اذا بقي حياً ولم يصادف منيته ومما يروي من هذا القبيل ان اللورد ولسلي قال لبعض اصدقائه اثناء حركة الثورة العرابيه : اني اخضع الديار المصريه واطيء باقدامي بلاد الفراعنه في خمسة عشر يوماً وقد تمّ له ما تنبأ به ودخل البلاد في الميعاد الذي حدّده

المحافظة على الوقت

وعند الانكليز لكل وقت عمل ولكل عمل وقت فلا يدع الانكليزي عملا شرع به ليبدأ بغيره قبل ان يتمه ولا يخلون بهذا الترتيب وهو لازم

جداً ولا سيما حين تتكاثر الاعمال ولو زارهم احد وكانوا آخذين في عمل يعتذرون له بعدم امكانهم على التكلم معه بالنظر لما امامهم واذا وجه لاحدهم سؤال يجيب عليه بنعم اولا . بكلام مختصر حرصاً على الوقت وضناً بضياعه ضنين البخيل بماله ومن تجاسر ان يوقف انكليزياً وهو شارع في سبيل عمل فقد سلبه من الوقت ما لا يثمن وارتكب ذنباً لا يغتفر وعلى ذلك يرى الداخل لمحال الاعمال عبارة لا تتكلم الا فيما يختص بالعمل مصدرة في كل جهة . والخلاصة ان الوقت عندهم هو التبر الثمين لا يبددونه الا فيما يستفيدون به مالاً او يحسنون عملاً ومن اضاع منه شيئاً فقد عبث بالتبر بل سلب العمر .

الحزم والثبات

والانكليز ذوهم عالية وعزائم ماضية يحملون مشاق الاعمال ويستطيعون ادمان السعي ويشرعون في اعمال ربما لم تكن تقبل النهاية الا بعد مرور قرون طويلة فالانكليزي يزرع الشجرة في اليوم وان لم يتحقق انه يأكل من اثمارها في الغد وقد يكون افضل الاثمار عنده ابطأها نضجاً فلا الاستعجال يستفزه ولا الاحتمال يقلقه بل يصبر على الغاية المطلوبة صبراً عظيماً . ومتى فكر في امر وقبل ان يأخذ فيه يعجم عوده ويسبر غوره حتى اذا رأى منه نفعاً لا يقف لحظة عين بين جزع وكسل او امل وملل ولا يأخذه في عمله عذل عاذل بل ينكب عليه بأكله بعزم ثابت وهمة غريبة فيبذل كل نفيس ويخاطر بالنفس فاذا لم ينله تماماً لم يقع في اليأس والقنوط ولم يبطل ما يكون قد بناه في سنين طويلة بدقيقة واحدة شأن الكثير وانما يزداد في تطلبه رسوخاً وثباتاً

لانه اتخذ على نفسه العهد باتمامه فيحارب الموانع ويقتحمها ولا يرتد عنها مالم يذللها ويتتصر عليها او يقضي الله امراً كان مفعولاً .

فسر نجاح الانكليز الثبات في الاعمال . وهذه الفضيلة الانكليزية مفقودة ولا اثر لها عند الامم الاخرى التي تروم الفوز ونيل المراد دفعة واحدة فان حبطت مرة يئست دواماً بخلاف الانجليز الذين مرت واحاقت بهم مصاعب كثيرة لم يجزعوا منها ولا وهت عزائمهم من اثقالها بل حاربوا بما تميزوا به من صفات الحزم والثبات في كل قطر وبلاد

ولعمري لولا هذه الصفات لما نزحوا الى البلاد القاصية واستعمروا الممالك العظيمة واخضعوا القوات القوية واستدروا خيرات الارض فصاروا في مقدمة الامم المتمدنة

التهافت على الاعمال

ومن المبادئ الاصلية المرعية عند الانكليز اعتماد المرء على نفسه فالشاب لا تكاد تنفتح عينا رشده تحت جو تلك البلاد حتى يبدأ يفكر بأمر مستقبله مهتماً شديد الاهتمام بأن يجتلب البأن ثروته ويساره بنفسه فيتعلم الحرفة التي يميل اليها ذوقه وعقله ويصرف كل قواه الى الغاية الوحيدة التي يسعى لها وبهذه المثابة ترى الانكليز اجمع يهيئون اولادهم من الصغر حسبما يختارون لهم في مستقبل الحياة . ذلك لانهم يعتبرون ان توجيه القوى الى غاية واحدة ادعى الى النجاح من تشتيتها . فالانكليزي لا يترك الحرفة التي اختارها ولا يتطاول الى معرفة غيرها بل يبذل كل جهده في اتقانها ويصم اذنيه عما سواها فالكاتب مثلا يبذل جهده في اتقان فن الكتابة حتى ينال

الشهرة المطلوبة فيصير الدر دون كلامه ومغاص اللؤلؤ دون افكاره والسياسي يهمل العلوم والفنون ويطرح الحب ظهرياً حتى يبلغ في السياسة المقام الاعلى وحتى يتيسر له القيام بعظائم الامور ومثله الصانع والمكتشف والكيماوي والفيلسوف وغيرهم وعلى ذلك لم يكن لنوابغهم الذين نبغوا في افق المعالي في مطالب مختلفة لاند ولا مثيل وقلما احاط بعضهم بالشهرة في كل العلوم مثل باكون وغيره . ومن اخص مبادئهم ان ليس عندهم من الاوهام ما عند الشرقيين من الظن والاعتقاد بان المرء لا يكون شريفاً ما لم يكن محامياً او طبيباً او مستخدم حكومة فهم يعتبرون ان شرف الصنعة يقوم بما يبذل فيها من الاتقان والاجتهاد لا بنوعها فالصناعة مكرّمة عندهم اكراماً يشتغل بها اشرافهم وعظاؤهم . وتجارهم الآن اغنى تجار الارض يتنافسون في التجارة كما كان يتنافس ابناء مصر في الاستخدام

ولا مشاحة بان الاعمال التي ترقي امة وتحسن حالها انما هي الاعمال التي يثبت بنوها على عملها مع الجد والجهد في تحسينها . وليس الانكليز باهل ذكاء وانما اهل سعي وعمل . كلهم يعتبرون ان الشمس ما انارتهم بنورها الا للسعي وان اقدامهم لا يلزم ان تحرك الا حيث يوجد مكسب وان لسانهم لا يلزم ان يحرك الا للنفع والفائدة ولا يلزم ان يختلج خاطر الا للمكسب والعمل .

ولا يتيسر للكاتب استيفاء وصف اعتكافهم على الاعمال الا اذا طرق شوارع رجال الاشغال فيها كشارع السيتي عند احتدام لظى الاشغال فيه . فهنالك يرى مسرح النزاع الحقيقي الذي يتبارى العالم في مضماره جداً وكداً للحصول

على المكسب . ان الغريب القادم اليه يقف موقف الحائر المدهش اذ يرى كل واحد من اهله قائماً قاعداً وعينيه لاكل الدنيا وما فيها ويرى الشاب في الادارة شيخاً والشيخ في النشاط والاستعداد شاباً ويرى تهم الخلق شاغلا بجهودهم ويرى الكل يمدون الاعمال ولا يلحق لهم غبار

وهم يغالبون العالم ويتذون من يديه الثروة والقوة بتأهيل انفسهم لكل عمل والمزاحمة عليه واغتنام الفرص قبل كل مخلوق . يعملون اكثر مما يقولون ولا يهمهم العلم بالشيء ما لم يظهر الى العمل . ولا انقطاع عندهم عن العمل سوى في ايام الاحاد والاعياد ويوم الجمعة الكبيرة بيد ان هذه الايام يسمونها بايام الانقباض والاكتئاب فيستصعبون الخمول والكسل فيها ويقضونها بالتفكر واكثرهم يقضيها بالسكر والراح مفضلين بذلك ان يقضوها باي عمل كان من ان يبقوا بلا عمل على الاطلاق . ولا ترى كبيرهم يقول انني كبرت عن هذا العمل بل يلبث يدأب عليه طلباً للمزيد الى ما لا نهاية وترى غنيهم يرأس تارة الجمعيات وطوراً الاندية . ديدنهم العمل . ولعمري ليس للانسان راحة الا بالعمل .

التهافت على المال

وما بلغ الكد عند الانكليز هذا الحد الا لما يتغلب عليهم من الطمع بجمع المال فهم يعتبرون ان الفقر عيب وان المال هو ينبوع القوة ودليل الاستحقاق وثمرة الاعمال ومرادف الحرية وان سر الشرف هو المال وان من كان شريفاً وجب عليه ان يكون ذا مال

ولا غرو ان ذا المال في تلك البلاد يمكنه ان يكون عضواً في مجلس

الشورى وان يطرق المنتديات العظيمة التي يجتمع فيها عقلاء البلاد واشرافها ويخطب منهم احدى بناتهم اذا كان عزباً وان . . وان . وان يجعل النور ظلاماً والظلام نوراً فطلبهم الشديد للمال جعلهم يتهافتون كالنحل على عبادة العجل الذهبي فلا ترى للانكليزي من الميل ماللفرنساوي او الشرقي الى تحصيل العلم وخزنه في رأسه ولا ما للطلياني والالماني للموسيقي والرسم فلا هو يباهي بما نظم وصوّر ولا بعلمه اللاتينية بل هو يفتخر برنين الدنيا فانه على سمعه الذ من عزف المثاني او من ضرب الحور على العيدان .

واذا اعطيت مثلاً خمسين الف فرنك لفرنساوي فهو يضعها في بنك اويكتفي بان يعيش من ريعها ولكنك اذا نقدت هذا القدر الى انكليزي فاما ان ينفقها في شهر واحد او يسافر بها الى الكنادا او اوستراليا او حكومة الراس حيث يبتاع بها ارضاً يزرعها او يتاجر بها في الانعام واذا قلت لانكليزي هاك خمسين الف فرنك يجيبك فقط الفان بون اعني الفي جنيه ان وقع هذا العدد على السمع خفيف فهو يلزمه اما الكثير المشبع او العدم .

وقد يفضي بهم احياناً اعتبارهم الشديد للمال الى قسوة القلوب والى الكفر باحكام الخالق لان من فقد عندهم ماله وكان في بحبوحة من العيش لا يرى من وجوب لمتاعب الحياة فينتحر من الغيظ . ولسان حاله يقول الموت خيرٌ من متاعب الفقر .

وهم لا ينفكون عن اختراع الوسائل الى جلب المال فنهم من ينزح عن بلاده الى اقصى الارض موجهاً كل قواه الى المال ماداً ذراعيه الطويلتين ليقبض على النجوم ومنهم من يسعى في تقصير حياته فداء المال ومما يروي

ان انكليزياً اعتاد ان يبتاع دائماً مع ورقة السفر في السكة الحديد تذكرة تامين على حياته بحيث لو اصيب بعارض لاقى فيه منيته فان الشركة تدفع ٣٠ الف فرنك دية لاهله ولما لم تصبه المنية التي كان يتعرّض لها كان يأسف على بقائه في قيد الحياة لان عائلته لم تنتفع بمال التأمين

والخلاصه ان اضطرارهم لتحصيل المال جعلهم ملتهبين بنار الجد ولذلك افلحوا وأثروا وصار ما يكسبه الواحد منهم يقدر بنيف عشرة وعشرين جنيهاً في الدقيقه الواحدة فتدفقت عليهم انابيب الثروة وازدادت تجارتهم وكثرت لديهم الاختراعات والاكتشافات ورأى العقل مجالاً فسيحاً للمنافسة والمباراة فصارت بلادهم مهد جلائل الاعمال ومستودع الاموال وسوق العالم باسره وصارت مملكتهم مملكة الدينار كما هي سلطانة البحار

***

ومن اخص صفات الانكليز تمسكهم بالصدق وخصوصاً ضباط الجيش فهم يفتخرون بالصدق في الاقوال اكثر من افتخارهم بالشجاعة في معامع الحروب فاذا قال احدهم نعم اولا كان قوله حجة

***

وهم موصوفون بحسن المعاملة ولذلك تراهم يتحاشون الاخلال بها فالعامل يحسن عمله بما وسعه والتاجر يأتي باحسن البضائع واجودها حذراً من الخداع والغش اللذين ينزعان صيته ويوقفان تجارته .

*
* *

وقلما يسترسل احدهم في صحبة انسان الا اذا عرف منه الاستقامة والجد فيثق به اذا تحقق استحقاقه للثقة ويأمنه على ماله وعرضه ويسمح لزوجته وبناته ان يذهبن معه ليلا ونهاراً بلا مانع ولا حرج

*
* *

واذا تقدم المرء لاحدهم بوصية من احد اصدقائه لا يلبث ان يثق به ثقته بالموصي والثقة سائرة فيما بينهم في الاعمال القضائية ولكن من يكذب مرة واحدة تنحط قيمته ويسقط شرفه ولا يعود يجد على اعادته من سبيل وفي الغالب يحاكم كمن يخون عهداً او يحنث في يمين .

*
* *

ومن اخص صفات الانكليز : المجاهرة بالاقوال والافعال الحرة فقلما ترى الواحد منهم ينقاد لعمل ما انقياداً ويحكم على شيء لم يعتقده تماماً فهم يجرون في كل اعمالهم ونصب اعينهم المثل المأثور عن الفريد الاعظم الجاري الآن فيما بينهم الا وهو يجب ان يكون الانكليز احراراً مثل اعمالهم .

وقد منحتهم حكومتهم من الحرية ما لم تمنحه غيرها من الحكومات فالسائر مثلاً في بعض شوارع لوندرا او حدائقها كحديقة هيد بارك يقف موقف المدهش الحائر اذ يرى خلقاً كثيراً مجتمعاً حول رجل قام فيهم خطيباً يحث على اتباع الفضيلة والاقتداء بالافاضل واذا قصد آخرين رآهم متألبين

على خطيب غيره صاغين له وهو يحث على اتباع اصول الدين ويجانبه غيره يكفر بالاديان ويطعن بواضعيها وغيره يحض الناس على احراق دور الاغنياء وسلب اموالهم وتوزيعها بالسواء على الفقراء وغيره يطعن بالوزارة والحكام وينتقد اعمالهم الى غير ذلك

*
* *

وهم لا يتبجحون باعقاب الاقاويل ولا يعرفون القال والقيل فقلما ترى بينهم شريفاً يتيه على غيره من الاشراف ليعمي الناس عن ان ترى شريفاً سواه وقلما ترى تاجراً او غنياً يسخر بغيره من الاغنياء او التجار لكي يفتك باعتبارهم وقلما ترى فخوراً او فياشاً ينبث بكلمة على انه فتن امرأة بحسنه ولو كان كالبدر جمالاً او يشير الى سعته ورياشه ولو كان كروتشيلد اوسترونشد مالاً او يشير الى حسبه ونسبه ولو كان ولي العهد او يفتخر بعلمه ولو كان من اكثر العلماء فضلاً فهم بعيدون عن المباهاة والحسد في كل شيء . وربما كانت كثرة انهماكهم في الاعمال هي التي تضطرهم الى الكتم والصموت فيظن بهم الكبر وما كبرياؤهم الا في وجوههم لا في السنتهم وقلوبهم

*
* *

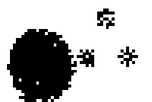
وهم ينظرون في كل مطالبهم الى الجوهر دون العرض فيعتبرون الفائدة الحقيقية مجردة عن البهرجة والطلاوة . وقد يعم هذا الحكم كل اعمالهم فان الواقف امام حانوت من حوانيت لندن الزرية المنظر يتخيل له ان ليس فيها

من البضاعة ما يساوي ثمناً حتى اذا تبينها رأى ان اثمانها تبلغ الوف الجنيهات .

ومن هذا القبيل الدخول مباشرة في موضوع الكتابة من غير ديباجة والطاب بدون استفتاح مقدمات ومثل ذلك اختصار الصغير في الكلام متى كان يروم حاجة من الكبير .

* * *

ومن رام ان يكون مع الانكليز على رضًى فعليه ان يظهر لهم ان ليس له من غرض في معاشرتهم وانه مستغنٍ عنهم كذلك من اراد ان يكون مكرّماً في اعينهم فليترفع عن الدنايا وليظهر الآداب والتهذيب (عما يسمى في عرفهم جنتلمان)



* * *

والكبار منهم يجتنبون كل معرض يمدحهم فيه الناس ويستخفون بالمخاطب متى سمعوا منه سور التبجيل والاحترام ويستنكفون الاكثار من آيات التعظيم والتفخيم التي يلجأ اليها اكثر ابناء هذا العصر .

كذلك يهزأون بالمتملق المتصاغر لهم مهما اظهروا ارتياحهم له ويحبون الخائن لمجرد منفعتهم ومتى انقطعت أسباب المنفعة انقطعت ايضاً أسباب المحبة فيصير في اعينهم مثال الشناعة

*
* *

وللانكليزي اطمئنان زائد عند وقع الخاطر فمهما اشتدت وطأتها عليه فانه يقابلها طلق المحيا ويقوى على جمع حواسه بلا تردد ولا ابطاء ويخلص منها بكل سرعة وهو يقتحم الاهوال ويتجشم المشاق ليعود عليه الفخر بكونه غيره لقمة جبل سبق . او استنبط اداةً او اخترع آلة قبل غيره

*
* *

وقلما ترى بين الانكليز من لا يعرف طرق الاقتصاد ولكنهم لا يعرفون التقتير على نفوسهم ويكرهون البخل والشح سواء كان الواحد منهم فقيراً او موسراً

*
* *

وهم لا يتأثرون بالحب كثيراً كذلك لا يبالون بالموت الا قليلاً ولا يجودون بالدمع الا فيما ندر فاذا مات الوالد وسئل ابنه احقاً مات ابوك يجيبك بثبات جاش نعم . ولكن ما العمل سنموت كلنا آجلاً او عاجلاً وهم يوارون الميت بالتراب ولا يعودون لذكراه الا اذا كان من رجال الاعمال

*
* *

وهم بعيدون بمراحل عن الخفة والطيش لا يكشفون ما هم فيه من الحال لغيرهم وقلما يستقصي احدهم من مخاطبه على احواله فلا الجار يعني بامر

جاره ولا يهمه امرٌ غير نفسه وكل ذي حرفة يقتصر على حرفته وقد يرافق المرء احدهم اياماً واعواماً ولا يكلمه ما لم يعرّف من صديق له

وقد اشتهر الانكليز بالتروي وعدم التهور ولهذا كان خطأهم اقل من غيرهم بكثير .

وكلهم يسمعون اضعاف ما يقولون لتخير الكلام عندهم ماقلّ ودل ويصيخون آذانهم جيداً عند الاستفهام ويتمهلون عند الجواب حذراً من الغلط فيجيبون بهدء وسكينة بدون ثرثرة في الكلام او كثرة في الحركات .

وقد يعد الانكليزي الاستفهام من ابسط الامور ولا يستنكف من عدم الفهم ولو كرّر عليه الامر الواحد مراراً وقد عرف عن الانكليز غلظ العقل وقلة الفهم رغماً عما نبغ منهم من الافراد الذين تفردوا في ضروب السياسة والحكمة فحلوا بحذقهم ودهائهم في اكثر المسائل ما عسر فهمه على رجال الكون اجمع وكفى بهؤلاء النوابغ دليلاً على سمو العقل ايضاً في بلادهم بلاد التناقض ومجمع الاضداد .

والانكليزي كما قال احد كتاب الفرنسيس . أبله الناس في اقواله ولكنه احكمهم في افعاله فافرادهم لايصلحون لأمر ولكن مجموع هؤلاء الافراد كله . قوة . وفهم . وعلم . واقدام . ووطنية .

اعتبار الانكليز لعظمائهم

الانكليز اكثر الناس ادراكاً بالتفاوت الذي اوجدته الطبيعة بين بنيها واعلم الناس باستحقاق المرء جني ثمار اتعابه فاذا قام منهم رجال من حضيض الفقر وارتقوا الى اسمى المراتب البشرية فلا يتهافتون على حسدهم لما نالوه

بتقدمهم واستحقاقهم وانما يفاخرون بكونهم نبغوا منهم وفي بلادهم

وتراهم يجلون قدر اولياء الامر منهم فاذا عرض ذكر الملكة على مسمع الانكليزي في اي زمن ومكان اوعزفت الآلات الموسيقية بلحنها يقفون كلهم كباراً وصغاراً ويرفعون القبعات ويطأطئون الرؤوس ويؤدون كل احترام واكرام .

وهم اطوع خلق الله لاولياء الامر فالشرطي مثلاً قادر على تفريق الجم الغفير وتسكين تيار الهياج مهما كان باشارة من عصاه القصيرة التي رسم عليها صورة تاج الحكومة .

وتراهم يقلدون كبارهم في كل امورهم ويتمثلون باطوارهم في كل الاحوال ويجلون مقامهم لدرجة تكاد تكون عبودية فاقاموا لهم التماثيل والانصاب في كنائسهم ومعابدهم تجيلاً وتخليداً لذكرهم . فمن يدخل احدى كنائسهم الكبيرة ككنيسة ماري بولس او دير وستمنستر في لوندرا يخيل له لاول نظرة ان الانصاب المشيدة في انحاءها هي تماثيل القديسين ولكن اذا تأملها رأى انها تماثيل قواد الحرب كنلسون وغوردون وغيرهم من رجال العزائم والاعمال . ولعمري ان كل نظرة يرمي بها الجاهل نحو هذه التماثيل لجديرة بان تنبه فيه قواه الخامدة كما ان مطالعة تواريخ حياتهم تبعث في القلوب حياة جديدة .

ومن الغريب ان للانكليز ولعاً زائداً بذكر مفاخرهم ومآثرهم وباتباع اخف آثارهم فمن ذلك اقبالهم على شراء اجزاء البقرة التي نحرها غلادستون باثمان عظيمة وليس اعتبارهم هذا محصوراً في من كان انكليزياً منهم بل هم

يجلون قدر رجال الاعمال الذين قاموا في كل زمان ومكان ويجيزون بهم كما يحبون برجالهم ويرغبون ايضاً في احراز آثارهم ومصداق ذلك اعتبارهم الشديد لنابوليون بونابرت الذي يكاد يفوق اعتبار امته له فقد عرضت صورته عندهم للبيع فوصل ثمنها الى مائة وخمسة وسبعين الف فرنك وهي الآن لا تكاد تقدر بثمن وبيعت ضفيرة من شعره مفرقة فبلغت قيمتها ٥٢ الفاً وخمسمائة فرنك وبيعت سنة من اسنانه بسبعمائة وخمسة وعشرين فرنكاً ويقال ان آثار نلسون وذخائره عرضت منذ مدة للبيع فلم تجمع قيمتها قيمة بعض آثار نابوليون الباقية للآن في خزائن بعض الافراد في انكلترا فتأمل .

فقراء واغنياء الانكليز

High Life & Low Life

وقد اشتهرت انكلترا بموسريها ذوي الاملاك الواسعة والاموال العظيمة والمتاجر البعيدة الصيت الوافرة الثروة غير انه ان كان فيها المثرون الكبار فان فيها فقراء معوزين لايحصى لهم عديد تراهم يقطنون في بعض انحاء المدن الكبيرة كمدينة لوندرا يتراكمون على بعضهم تراكماً غريباً في بيوت حقيرة وشوارع ضيقة يشمئز منها الغريب تتصاعد منها روائح كريهة لا يشك المار انها مصدر وباء ودار بلاء . فانكلترا اذاً بلاد الضدين ومركز النقيضين

ويقال ان ثلثمائة الف عائلة من سكان لوندرا وحدها تعيش الواحدة منها بدخل قدره ثلاثة شلينات كل يوم عدا عن الفقراء الذين يقضون لياليهم في مدة البرد والجليد يتضورون جوعاً حتى يموت اكثرهم . ويقال ايضاً انه ينام في كل ليلة في شوارع لوندرا ستة آلاف شخص لا غطاء لهم الا السماء ولا

فراش الأ الارض

وسبب ذلك الثراء المفرط والفقر المدقع ناتج في بعض الاحيان من طريقة توزيع الإرث عندهم فهم يخولون للابن الاكبر حق امتلاك جميع عقار والده وحده دون اخوته . وحجتهم حفظ كرامة بيوتهم ولذا ترى ان الاموال العقارية تجتمع في ملك شخص واحد يعظم ثراؤه دون الآخرين . وقد احصت جمعية لوندرا عدد المثرين فوجدت ان ملاكي اراضي بلاد الانكليز الاوروبية في سنة ١٨٧٧ يبلغ مائتي الف نفس منهم ١٧٠ الفاً في انكلترا و٢٠ الفاً في اسكوتلاندا و١٠ آلاف في ارلاندا

وبمضاهاة هـذا العدد الا وهو مائتا الف لعدد سكان بلاد الانكليز وهو ٣٩ مليوناً ترى عظم البون بين الفقراء وعدد الاغنياء بخلاف البلاد الأخر التي تغايرها في طرق الميراث مثل فرنسا فانها تعتبر الاولاد ذكوراً واناثاً سواء في حق الارث فتقسيم الاموال بينهم على السواء يزيد عدد الملاك ويزيد ثراء الشعب وتوزع الثروة وقد وجدوا ان عدد الملاك في فرنسا يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون

ثم إن الاحصاء دل ان في انكلترا ٤١٨٤ ؛ شخصاً يمتلكون وحدهم ١٥ مليوناً ونصف مليون هكتار من الاراضي (اي نصف اراضي بلاد الانكليز) منهم ٤٢١ لهم ٩ ملايين و ١٥٠ الف هكتار اي ان معدل ما يخص الواحد منهم ٢١٠٠٠ هكتار اولهم الدوك سوزرلند له ٤٨٢٠٠٠ هكتار في شمال اسكوتلاندا ثم الدوك اوف بوكليه له ٤٦٠٠٠٠ اكر من الارض ثم السير جمس ماتيزون له ٤٢٦٠٠٠ الخ . ثم احد عشر من ملاكي اسكوتلاندا لهم بين ٢٠٠ الف

و ١٥٠ الف اكر مثل الدوك دينفونشير ونور ثمبرلند وغيرهم .

ولهذه المناسبة يجدر بنا لان نورد اسماء بعض اغنياء الارض فقد دل الاحصاء ان اشهر اغنياء العالم جاي غلد في اميركا وقيمة مايملكه ٥٥ مليون ليرا ثم ماكي في اميركا ويملك ٥٥ مليون وروتشيلد في انكلترا يملك ٤٠ مليون وفندربلت في اميركا يملك ٢٥ مليون وجونسن في امريكا يملك ٢٠ مليون ودوق اوف وستمنستر في انكلترا يملك ١٦ مليون ويقال ان هذا الدوك سيصير بعد ٢٥ عاماً اغنى خلق الله ويصير ايراده ٧ ملايين جنيه في السنة اذ تصير اليه املاك وستمنستر وهي اغنى اجزاء لوندن ويليه في الغنى في انكلترا الدوق سوزرلند والدوق نور ثمبرلند

اما عن ثروة الممالك فان ثروة الولايات المتحدة اعظم من ثروة بريطانيا العظمى ولكن شعبها اوفر عدداً من شعب بريطانيا فاذا وزعت هذه الثروة على الشعبين لبلغ متوسط ايراد الشخص الواحد في الولايات المتحدة الاميركية ٢٤ جنيهاً في السنة وفي انكلترا ٣٤ جنيهاً . وفي بلاد الانكليز مائتا غني معدودين من الالف غني المشهورين في العالم وقد دل اخيراً الاحصاء بان نصف ثروة البلاد الانكليزية باسرها في يد الف رجل من رجالهم منهم ١٠٠ شخص يبلغ دخل كل منهم في السنة نحو ٥٠ الف جنيه في الاسبوع اي مائة واربعين جنيه في كل يوم . واغلبهم من كبار رجال المملكة .

قلنا ان انكلترا هي بلاد التناقض واول شيء على ذلك حال اغنياء لوندن المعروفين بالهاي لايف وهم اصحاب الالقاب الشريفة كاللورد والماركيز والسير واصحاب المناصب السامية كالوزراء والامراء والاساقفة الكبار وهم

يسكنون في الجهة الغربية من لوندن وليس بين الجنة والجحيم في الآخرة بين التباين كما هو بين شرقي لوندرا وغربيها فهنا الفقر المدقع والبلاء الموجع وهناك الثروة الضخمة واليسار المتناهي لان اكبر اغنياء الارض كوسقنستر وسوزرلند وروتشيلد وديفونشير وغيرهم ممن يملكون القناطير المقنطرة من الذهب وممن يبعد دخلهم بالدقيقة الواحدة مبلغاً طائلاً يسكن شرق لوندرا

اما عن حال معيشتهم فحدث ولا حرج فهم يتمادون في الشرف ومظاهر الابهة والفخر الى حد لا تدركه الاوهام وتستدرك الفكر فلهم الرياض الغناء الابنية المشيدة فيها القصور الشامخة المفروشة بالاثاث الوثير الفاخر والمتاع النفيس من بضائع اهل المشرق والمغرب وفيها التحف والصور التي تدهش البصائر وتحير الابصار مما لا يوجد عند بعض الملوك . ولهم الخدم والحشم والمواجل النفيسة والخيول المطهمة ولهم في طرق الحديد القطارات الخاصة وفي البحر الدوارق والمراكب وفيها سائر اللوازم يسيرون فيها للنزاهة حيث ارادوا ويعدون فيها المآكل والمشارب ما شاؤا الى غير ذلك من ضروب الاستبداد في العظمة والكبر والمباهاة في الشرف والفخر ويليهم في هذا العيش الرغيد الاعيان اصحاب الاملاك والتجار واصحاب الاقلام والمشترعون

ومن اخلاق هؤلاء العظام حب الشهرة العظيمة والتهافت على ايجاد الصيت الحسن فترى الغني منهم يجود بالالوف لمعاضدة الاعمال الخيرية كالمدارس والجمعيات وفي امور كثيرة تعود على الامة بالخير واذا مرّ به فقير يتضور جوعاً لم ير من داع الى مرحمته والاحسان عليه ببعض الشيء يسد

به رمقه لانه يقدم للجمعيات الخيرية مقداراً من المال فلا يهمه بعد ذلك شيء اخر .

ومن اشهر صفات الهاي لايف الترفع ما امكن عن مخالطة من هم دونهم من عامة بلادهم ولعمر الحق انهم يصيبون فيما يفعلون لان لا شيء في العالم ادل على الاطوار الشنيعة والآداب الحطيطة مثل آداب ادنياء الانكليز فهم يعيشون عيشة الهمجية في اعظم البلاد تمدناً وترى ان اكثرهم يأخذ ما يعال به ايام الاسبوع في آخره ويهرع الى الحانات فيشرب الجعة والوسكي حتى تجحظ عيناه وينعقد لسانه عن الكلام ثم ينثني الى بيته الخالي من القوت الضروري والاثاث فيقابل امرأة واولاداً يتضورون جوعاً ويحرقون الأرم من البرد القارص فيقوم اذ ذاك الخصام واللكام حتى تصل الحال الى حد يتفطر له كبد الانسانية ويتوجع لمثله الفؤاد وهذا ايضاً اكبر دليل على اجتماع الاضداد وشدة التناقض في تلك البلاد

النسب والشرف والقابه

وللانكليز اهتمام عظيم بالمحافظة على شرف الفروع النجيبة من بيوتهم الكريمة فللنسب عندهم اجلال يفوق الحد فهو مرعي ولو في الثرى ووزراؤهم وكبراؤهم متأصلون في المجد يرثون الالقاب الشريفة وراثة او يحصلون عليها بعد الجهد الجهيد والتعب الوفر في خدمة البلاد ولكن اكثرهم من الفريق الموروث لهم اما الالقاب الشريفة عندهم فهي لقب اللوردية وهذا اللقب على اقسام

اولها . الديوك وهذا اللقب عزيز المنال جداً وليس في انكلترا من

الحائزين عليه سوى افراد يعدون على الاصابع ولا يرتقي اليه الا من صاحب العائلة المالكة او من افنى العمر في خدمة الاوطان وفاز على سائر الاقران ونال رضا العباد والبلاد

واولاد الديوك يسمون عادةً لوردات ما عدا البكر فانه يسمى ماركيز في حياة ابيه ويخلفه في لقبه بعد مماته حين يصير عضواً في مجلس الاشراف فيصير حينئذ ديوكاً

ويلي الديوك في الرتبة الماركيز وهي ايضاً من الرتب الرفيعة العزيزة التي لا تنال الا بحسن الحظ او فرط الذكاء ثم رتبة الايرل او الكونت ومعظم لوردات انكلترا حائزون هذه الدرجة مثل روزبري وغيره ويسمى بكر الايرل لورداً وتسمى بقية اولاده باسم العائلة مع لفظة الشريف ثم رتبة الفيكونت ثم رتبة بارون كرتبة اللورد كرومر وهي اكثر الرتب شيوعاً بعد رتبة الايرل ومما يستحق ذكره ان الارتقاء الى رتبة اللوردية يوجب عادةً تغيير الاسماء ولذلك كانت اسماء اللوردات الآن هي اسماء الاماكن التي كان يحكمها اجدادهم او التي رغبوا في الانتماء اليها عند ترقيتهم مثلاً السير افلن بارنج الذي دعى نفسه باسم بلدته الاصلية (كرومر) فصار اسمه اليوم اللورد كرومر بارون اوف كرومر اعني امير كرومر ومثله غيره واما الذي يمنح لقب ديوك فانه يولى على اماكن معلومة شهيرة وللماركيز اماكن اصغر منها نوعاً فاذا ارتقى الماركيز الى رتبة ديوك سمي باسم امارة كبيرة من اماكن معلومة واما اسم العائلة الاصلي فيحفظ الى الافراد فيها الذين لا لقباً شريفاً وسمياً لهم

مهرجان المحافظ

ومن عوائد الانكليز القديمة العهد المتبعة عندهم المهرجان الذي يقيمه اهالي مدينة لوندرا احتفاء بانتخاب محافظ المدينة ويفوض انتخابه الى اعضاء المجلس البلدي ويكون ذلك اليوم من الاعياد العظيمة فتغص لوندرا بالالوف الذين يخرجون للتفرج ويطاف بالمحافظ الجديد في شوارع المدينة في مركبة مذهبة تجرها ستة من جياد الخيل وهو بملابسه الرسمية الفاخرة وامامه عربة أخرى مزينة وعليها آلات الحرب وما تنبت الارض وتعطل الاعمال في ذلك اليوم فيسير بمعية المحافظ ارباب المراتب السنية وامامه صفوف شتى من الناس منهم النافخون بالابواق والعازفون بآلات الطرب ويدخل المحافظ الى منزله في (السيتي) ويعرف (منشن هوس) وهذه السرايا معدة لاستقبال الملوك والامراء فيدعو تلك الليلة الى العشاء عنده الوزراء والامراء والاعيان وقوماً كثيرين ممن اختلفت آراؤهم وتنوعت مشاربهم ما بين محافظين واحرار . وينفق المحافظ على هذه الولية اربعة آلاف جنيه واكثرها من جيبه الخاص لان مرتب وظيفته لا يتجاوز العشرة آلاف جنيه وهي لا تكاد تكفيه لما ينفقه في مدة ولايته من النفقات المتنوعة التي تفوق هذا القدر ولكن جاز الطوائف الحرفية والصناعية في لوندرا تساعده على كل ما يلزم . ومن خصائص هذا المحافظ ادارة شؤون المدينة بدون معارضة البتة . وتعد هذه المأدبة عيداً من الاعياد لا يخلق بالمحافظ نقضها وموعداً للاجتماع لا يجدر بالوزراء الاحجام عنه وقد جلس عليها اللورد بالمرستون واللورد جون رسل واللورد دربي واللورد بيكونسفيلد وكان

اكثرهم يصرح بكلام كان اعظمه وقعاً في نفوس الامة الانكليزية وبالجملة فان جلوس أولئك الوزراء على تلك المأدبة في تلك الليلة صار يعد من الآثار التاريخية لان اجتماعهم حولها لم ينحصر لمحض الطعام ومعاطاة المدام بل لتبادل الآراء والافكار

ومن التقاليد القديمة المرعية للآن عند الانكليز منذ ٦٠٠ سنة تتويج ملوكهم على كرسي قديم من خشب السنديان محفوظ مع كرسي اخر في كنيسة وستمنستر ومعها ايضاً حجر اخضر من سكوتلاندا يشيرون به رمزاً الى قوتهم ويزعمون انه هو الحجر الذي توسده يعقوب ابو الاسباط

ويوم التتويج يفرشون الكرسين بالذهب ويجلسون الملك على اقدمهما .

حب الذات

وحب الذات من اخص صفات الانكليز تفردوا بهذه الصفة فكانت سبباً من اهم اسباب امتداد ملكهم من شرقي الارض الى غربيها وداعياً الى بسط اجنحة سلطتهم من اطراف اليبس الاسيوي حتى اطراف العالم الاميركي. تأصلت فيهم هذه الصفة حتى اشتد فيهم الحرص على منافعهم الخصوصية فصاروا لا يرون غنيمة الا اغتنموها ولا فرصة الا اختلسوها ولا باباً الا ولجوه حتى تم لهم ما تمنوا ونالوا ما راموا . وصارت الامم على اختلاف اجناسها تؤاخذهم على هذا الحب وترميهم بالجشع والطمع الاشعبي

على ان من يتأمل في هذا العالم يراه كله في اشتباك ونزاع لا فرق بين عساكر وصناع ومستكشفين وقسيسين وشعراء وعلماء وطبيبين وسياسيين كلهم يتنازعون ويتسابقون الى استجلاب النفع لهم ودفع الضر عنهم فمن

يسعه ان يغمض الطرف وينام خالي البال في وسط هذا التسابق العام ولا يسرع مع المسرعين يطوي النهار ساعياً ويحيي الليل عاملاً حباً بذاته وسعياً وراء نفعها .

قال احد علماء الاخلاق ما معنى السعي وراء النفع العام او خدمة الانسانية . من يرسل القول جزافاً ويقول انه يعمل عملاً ولا ينظر فيه الى منفعته الخصوصية اما بواسطة ظاهرة او مستترة . فهل من الجناح على الام التي تحب اولادها وتراهم بعينيها اكثر جمالاً واوفر ذكاء من اولاد جاراتها . وهل من النزاهة ان يترك المرء منصباً عالياً تقريبه ويحرم نفسه منه . وهل من حسن العقل ان يهمل الانسان غنيمة باردة قدمتها له معارض الصرف اومن العدل ان لا يقتطف ثمرة اجتهاده ام هل تلام الامة التي تسعى لخيرها حتى تصل الى اوج العظمة الذي تستطيعه فما يصح على الفرد الواحد يصح على الامة باكملها لانها مطبوعة على حب الذات وفيها صفات الاندفاع الى جلب النفع لها ودفع الضرر عنها . فياحبذا لو كلف الكل بحب الذات مثل الانكليز فيقوم النفع المطلوب ويسير روح الغيرة والتنافس الذي ينجم عنه من الفوائد الجزيلة ما لا يحصى فينشط حينئذ العموم على الدرس ويهجمون على الاشغال وتتنبه قواهم الى الاسفار والاكتشاف والاختراع وغير ذلك . والخلاصة ان محبة الذات من جملة النواميس الطبيعية التي اوجدها الخالق سبحانه وتعالى وجعلها من الدعائم التي تشيد عليها العمران فقادت الانسان نمواً الى الحضارة والى ترقية الهيئة الاجتماعية

الوطنية الانكليزية

يلبث الانكليزي دائماً أبداً حتى آخر رمق من حياته كلفاً بحب وطنه وأينما يسافر يغالي في مدحها ويذكر (الهوم) اي منزله متلذذاً كأنّ في ذكراها شرب مدام او مغازلة حسان واذ زار بلاداً غريبة او طاف الارض بأكملها من اقصاها الى اقصاها يختم كلامه بقوله ولكن لاشيء احسن من انكلترا بلدي وهو يشتري السلعة الانكليزية باغلى الاثمان وان تكن دون غيرها في الجودة لمجرد كونها انكليزية وان كان تاجراً فهو يفضل ان يبيعك من بضاعة بلاده الانكليزية وهو لا يتكلم بغير الانكليزية الا عند مسيس الحاجة

يقال عنه انه حر وتراه مع ذلك اشد الناس تعصباً في حب بلاده وقد كانت الامثال في حب الوطنية تضرب باهل سبارطه وقدماء اليونان والرومان واما الآن فيحق للانكليز ان يفخروا بان هم هم مثال يقتدي بهم غيرهم من الامم في حب الوطنية في كل زمان ومكان

ولا يوهن من قوتهم ما عندهم من الاحزاب التي تتنازع الرئاسة على مناصب الدولة بين محافظين واحرار فانها يختلفون على الوجهة السياسية داخلياً لافي خارجية أمورهم والجميع على رأي واحد في تعضيد الحكومة في كل امر من شأنه اعلاء النفوذ وتوسيع النطاق وكلهم على اتفاق في حفظ الوطنية والاستقلال لاتختلف آراؤهم الا في اختيار الوسائل الموصلة لها فقط والوطنية عندهم تظهر منهم في كل الاعمال . تظهر من ارباب الاقلام وأولي العلم والنهى

عما يبثونه في الشعب من المبادئ الصحيحة العائدة عليهم بالنفع ورجالهم العظام الذين نبغوا تحت سماء تلك البلاد قد تهالكوا في خدمتها واتحفوها بثمار عقولهم واعمالهم وحاموا عنها وحافظوا بالذود عن حماها بسلاح الوطنية . كانوا ولا يزالون كلما لاحت لهم فرصة تمكنهم من جلب النفع اليها اقبلوا عليها واعتنقوها حتى رفعوا شأنها وعززوا شرائعها على الشرائع الالهية والبشرية معاً . فترى الانكليزي كبيراً وصغيراً رئيساً اومرؤوساً يجري في كل اعماله ونصب عينيه تلك العبارة البليغة التي لفظ بها نلسون في واقعة ترافلغار ونقشت على العمود الذي أقيم عليه تمثاله في تلك الساحة وهي : ان انكلترا تؤمل من كل فرد من رجالها ان يقوم بالواجب عليه . والخلاصة ان الوطنية عند الانكليز حقيقة طبيعية لا تحتمل وجهين ولا يتفق فيها اختلاف اثنين . وهي التي دعت الى عظمة مملكتهم وعدم تغيير عاداتهم وتحول احوالهم رغماً عن كرور الازمنة وتقلبات الظروف .

ديانة الانكليز واعمالهم الخيرية

قال فولتير : ان بلاد الانكليز هي بلاد المذاهب ذلك لأنه لما كان المذهب السائد في البلاد هو المذهب البروتستانتي وكان من اساس هذا المذهب ان يباح لكل انسان التمتع بحرية الفكر في مباشرة فروضه الدينية ترى في بلادهم شيعاً مختلفة كثيرة العدد حتى يصح أن يقال ان كل واحد منهم يعبد الله ويخدمه حسب وحي ضميره .

اما المذهب البروتستانتي فانه اكثر المذاهب عموماً وانتشاراً في جميع المملكة وقد كان امتداده في اوروبا سبباً لحروب كثيرة سالت الدماء في

ارضها كالانهار وحسبك شاهداً مذبحة ماري برثلماوس سنة ١٥٧٢ في فرنسا .

ولا يخفى ان المذهب البروتستانتي يختلف عن مذهب الكنيسه الكاثوليكيه في العقائد الدينيه بامور كثيرة اهمها رفض رياسة البابا وعدم الاعتقاد بالاولياء والشهداء ولذلك كانت جميع الرسوم والفرائض ملغاة عندهم فلا يزينون جدران الكنائس بصور القديسين كما يفعل الكاثوليك .

وتنقسم الكنيسة البروتستنية في انكلترا الى قسمين الكنيسة الاسقفية الانكليزية اوالانجليكانية والكنيسة القسيسيه وينطوي تحت هذين القسمين مذاهب كثيرة وفرق متنوعه

اما الكنيسه الاسقفيه فهي كنيسة الحكومة رئيسها الملك او الملكة ولاساقفتها ورؤساء اساقفتها حق الانتظام في مجلس الاشراف وتصرف الرواتب لهالها من خزينة الحكومة ولها مطرانان احدهما يقيم في كنتربوري ودخله في العام ١٥ الف جنيه وهو الذي يتوج ملوك الانكليز وملكاتهم ومقامه في المملكة بعد مقام الملك ونفوذه عظيم . والمطران الثاني يقيم في يورك ودخله في العام خمسة عشر الف جنيه

ويقدر دخل الكنيسة السنوي بمبلغ (٧٥٠٠٠٠٠) جنيه

ومن القواعد المرعية في المملكة ان الملك لا يتوّج الا اذا اعتنق المذهب البروتستانتي ولذلك ترى اكثر الاعيان والاشراف من الانكليز على هذا المذهب .

ويبلغ عدد البروتستانت ١٨ مليوناً في انكلترا ومليوناً في ايرلاندا

و٧٣ الفاً في اسكوتلاندا ويبلغ عدد التابعين للكنيسة الرومانية في المملكة الانكليزية وتوابعها (٩٫٦٨٥٠٠٠) منهم النصف في بريطانيا وايرلندا ولكن الاكثر في ايرلندا ونحو ٢ مليون و٨٥٠ الف نفس في كنادا التي كانت ملجأ لهم ايام الاضطهادات الدينية والباقون منتشرون في اكثر ممالك اوروبا وفي الهند وسيلان وزيلندا الجديدة

والكنائس والمعابد كثيرة منتشرة في انحاء المملكة ففي لوندرا لوحدها (١٥٠٠) كنيسة اقدمها كنيسة وستمنستر بنيت منذ ستماية سنة ويبلغ ارتفاعها ٥٥٠ قدماً وعرضها ٢٠٠ قدم كانت قديماً ديراً للرهبان ثم وسعت وجددت وفيها تتوّج ملوك الانكليز وملكاتهم وفيها دفن الكثير من اعيانهم وملوكهم منهم هنري الثالث وماري ملكة اسكوتلاندا ووليم بيت وشاكسبير الشاعر الشهير وفيها تمثال للورد بيكونسفيلد وآخر للورد بامرستون ولكثير غيرهم ثم كنيسة ماري بولس وهي اكبر كنائس لوندن واعظمها شرع في بنائها سنة ١٦٧٥ فتمت سنة ١٧١٠ وبلغت نفقتها (٧٤٧٩٥٤ جنيه وقد جمع هذا المبلغ من عوائد ضربت على الفحم الحجري وهي مبنية على شكل كنيسة ماري بولس برومية ويبلغ طولها من الشرق الى الغرب (٥٠٠) قدم وعرضها ١٠٠ قدم . ولها اربعة ابواب في كل باب قبتان متقابلتان ارتفاع الواحدة ٢٢٢ قدماً والداخل لهذه الكنيسة يأخذه العجب اذ لا يرى فيها سوى تماثيل الملوك والمشاهير من الانكليز وابطالهم ويقام فيها في كل سنة احتفالان شائقان يخصص ايراد الاول لمساعدة ارامل القسس وايراد الثاني لمساعدة المدارس المجانية وهذه الكنيسة هي اكبر كنيسة للبروتستانت والثالثة في العالم بعد

كنيسة ماري بطرس برومية وكنيسة ميلان .

والانكليز على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم اشد الناس مراعاة لفروضهم الدينية يتمسكون بها مثل تمسكهم بعوائدهم وذلك ان لم يكن عن تعبد فهو لغرض ومصلحة . وفي لوندرا نحو ثمانية طائفة ولها مالا يحصى من اماكن الوعظ والعبادة ويجتمع الناس فيها للعبادة في الاسواق والحدائق والشوارع ومع ذلك فالذين لا يدخلون كنيسة من اهلها يزيدون على ثلاثة ملايين نفس عداً وبها ايضاً جمعيات كثيرة تسعى في نشر الديانة المسيحية بتوزيعها في البيوت الكتب والرسائل الدينية منها جمعية تسعى لنشر الكتاب المقدس وزعت منه منذ نشأتها نحو ١٢٠ مليون مجلد بلغات مختلفة وهي تصرف في سبيل ذلك في السنة الواحدة ما يربو على (٢٥٠٠٠٠) جنيه انجليزى وفي لوندن ايضاً نحو الخمسين جريدة للديانة على سائر مذاهبها وتعظ طائفة القسس الناس في المدن الصغيرة ينقاد بعضهم لهم في كثير من الامور انقياداً اعمى

ويجل الانكليز قدر ايام الاحاد وهم يخصصونها للراحة والعبادة فلا يقبل عصاري السبت حتى ترى الازدحام في شوارع لوندن وغيرها آخذاً بالنقصان فتبطل قرقعة العجلات ويقوم دوي اجراس الكنائس ولا يجن الليل حتى تعود الحركة بل تزداد عما كانت عليه قبل وتأخذ الشوارع رونقاً ومنظراً لا تراه في اكثر الليالي فتكون اكثر الحوانيت مزدانة وكلها غاصة بالرجال والنساء وبالعملة الذين يستولون على قيمة اتعابهم مدة الاسبوع فيتدفقون على الحوانيت كالسيل المنهمر ويشترون مؤنة الاحد وايام الاسبوع وتقفل الدكاكين والمخازن في ذلك اليوم وكافة المصالح حتى البوسطة وتبطل

الاعمال وتذهب الناس الى الكنائس ثلاث مرات ولا يعوقهم عن ذلك لا ثلج ولا برد ولا مطر ومن الغريب ان قطارات سكك الحديد تتعطل في اثناء الصلاة ومتى اقبل المساء عادت الحركة كما كانت فتغص المتنزهات والمسالك بازدحام الناس وهم في غدو ورواح وفرح وارتياح .

والانكليز أشد الناس ميلاً الى عمل الخيرات ليس في الارض كلها امة تنفق على عمل البر والاحسان بقدر ما ينفقون فعندهم الجمعيات الجمة في انحاء المملكة لاغاثة من حلت به نكبة او اصابته مصيبة وفي لوندرا وحدها نيف و ٨٠٠ محل بين جمعيات خيرية لاغاثة ذوي الضيق والفاقة ومحال للصدقة على العاجزين وجمعيات كثيرة تسعى بتوزيع الصدقة سراً على طبقات مخصوصة من المعوزين واخرى لمساعدة ذوي الكد والكدح وغيرها للصم والبكم والعمي

وفي لوندرا ايضاً كثير من المستشفيات لتوزيع ادوية مخصوصة مجاناً هذا عدا عن المستشفيات الخيرية المنتشرة في انحاء المملكة ويقدر عدد المستخدمين في مستشفيات لوندن وحدها بستة آلاف مستخدم منهم (١٣٠٠) اطباء شرف يخدمون المرضى مجاناً وفي هذه المستشفيات اجزاخانات تعالج المرضى وتعطي الادوية مجاناً ولهذه المستشفيات الايراد العظيم تأخذه من الوقف وقد قدرت المصاريف المتنوعة التي صرفت سنة ١٨٨٣ بخمسة ملايين من الجنيهات . فتأمل

اللغة الانجليزية وآدابها

اللغة الانجليزية مأخوذة من لغات كثيرة قديمة وحديثة . اشهرها الانجلو ساكصونية والقلطية والنورمندية والفرنساوية والدانيمركية واللاتينية

وهي لغة سمع وليست لغة نظر فقواعدها بسيطة ولكن الكتابة الصحيحة فيها صعبة فقد يكتب الانكليزي أحرفاً لا يقرأها ويقرأ أحرفاً لا يكتبها ويكتب حرفاً ويقرأ آخر وهذا ما يوجب على المتعلم سمع التلفظ بها من الانكليز انفسهم

وتتألف اللغة الانكليزية من ٤٣٠٠٠ كلمة منها ٢٩ الف من الاصل اللاتيني و ١٤ الفاً من اللغة الجرمانية ويقسم غراماطيق هذه اللغة الى اربعة اقسام . اولاً قواعد التهجئة وكلها سماعية . ثانياً الصرف وهو يبحث عن اقسام الكلم وتصريف الافعال والاسماء واشتقاقها من اللغات الاجنبية . ثالثاً النحو وتركيب الجمل . رابعاً العروض وهو يبحث عن وزن الشعر .

اما آداب الانكليز ومعارفهم فيكفي ان يقال عنها انها تشبه مصنوعاتهم من حيث الجودة والمتانة . يعتمد كتابهم وشعراؤهم ومؤلفوهم على حقائق الاشياء اكثر مما يعتمدون على التنميق وزخارف الكلام . ويطرق اكثرهم المواضيع التي يريدون الكتابة فيها بلا استهلال ولا استفتاح مقدمة مع امكانهم على التعبير عن ادق المعاني ومن وصف كل خاطر يمر بالخاطر . وقد نبغ منهم كتاب وشعراء فاقوا من سواهم في قوة التأثير على الاخلاق وتهذيب العادات . وهم يدأبون في نشر لغتهم في العالم لتكون واسطة لانتشار مبادئهم

ومتاجرهم وسطوتهم وقد تقدمت هذه اللغة من بدء القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً وكثر عدد المتكلمين بها حتى صاروا يقدرون بمائة وخمسين مليون من النفوس وهي منتشرة على مساحة اوسع من مساحة الممالك الانجليزية تمنها الولايات المتحدة الاميركية . وهي لا تزال في تقدم وازدياد وليس ببعيد ان تصير اللغة الرسمية بين المحدثين وتلي هذه اللغة في الانتشار اللغة الالمانية والروسية ثم الفرنساوية

القضاء الانكليزي

الانكليز كما علمت اشد الناس تمسكاً بعاداتهم القديمة وقد سرى هذا التمسك الى القضاء فلا ترى لهم قانوناً يتسلط عليه ودليل القاضي الى الحكم عندهم انما هو اجتهاده المبني على العرف والذمة . وهذا بخلاف الامم المتمدنة كالفرنسيس والبلجيكيين والايطاليين وغيرهم الذين لهم القوانين المطولة النصوص المفصلة الابواب . لكن عند الانكليز كما عند غيرهم القانون التجاري لان التجارة تضطرهم طبعاً الى السفر والى اكتساب ثقة الامم التي يعاملونها . اما الامور المدنية والعقوبات فلا قوانين لها عندهم سوى بعض اصول عمومية ولذلك كان القاضي عندهم في مقام عظيم وذا راتب كبير لا يحتاج معه الى الرشوة وهم لا يعينون الا ممن اشتهروا بالعلم الواسع والذمة الطاهرة .

وعندهم الجوري (المحلفون) يقضون في اكثر القضايا ويختارون من الشعب وعددهم ١٢ فيجلسون ويسمعون المرافعات ولا يتصلون بالناس الا بعد ان يتداولوا ملياً ويبدوا رأيهم في القضية مجرداً عن الاسباب ويأتي بعد ذلك القاضي ويطبق هذا الرأي على الوقائع والنصوص ويضع الاسباب

في الحكم .

وقصارى القول ان الانكليز يسيرون في قضائهم حسب ما توحي اليهم الذمة ويرشدهم اليه العقل وتعليلهم في ذلك ان الحوادث والوقائع محاطة بظروف واحوال مختلفة لا تستطيع القوانين ان تشملها كلها وتضع لكل منها حكماً خاصاً فلذلك ابقوا مرجع الفصل للضمير فانه يستطيع ان يزن كل مشكلة بظروفها ويضع لها الحكم المناسب . ومتى كان الضمير الطاهر متبناً من عدالته كان الحكم عادلاً بالطبع

الجرائد

لم تنتشر الجرائد في مملكة من الممالك او في قطر من الاقطار اوروبية كانت او غير اوروبية كانتشارها في بلاد الانكليز وليست تلك هي المزية الوحيدة التي فاقت بها الجرائد الاخرى بل امتازت عليها ايضاً بجودة طبعها وصحة اخبارها وسرعة انتشارها فمن يقلب عدداً من اعداد جريدة التيمس مثلاً يعجب من اتقان صنعها ودقة ترتيبها ورخص ثمنها وكثرة اخبارها ولا غرو اذا قال انها اعجوبة من عجائب هذا العصر وطرفة من طرائف ذلك القطر وتوخيها الصدق وثبات عزمها اكسباها ثقة الشعب فانه لا يركن الا اليها وكثيراً ما خدمت هذه الجرائد حكومتها بارشادها ولاة الامر الى طرق حل المعضلات السياسية والادارية وبهدايتهم سبل الرشاد اذا اشكلت عليهم المسائل الخارجية والداخلية فتشير الى ما يبدو لها من الخلل وتعارض الاقوال والتعليمات والاوامر واختلاف النظر فيما ينبغي ان يعمل او لا يعمل . وقد قال في هذا الصدد اللورد روزبري احد فطاحل وزراء انجلترا ما معناه :

« ان جرائد هذا القطر تهدي رجال الحكومة وتترجم افكار الامة فان
« خالفت ذلك تصير غير جديرة بثقة الشعب بها ولذا يجب ان تكون قاعدة
« اصحاب الجرائد كن صادقاً ولا تخف »

وهاك دليل على ان الجرائد الانجليزيه انما تخدم وطنها بصدق وشرف ليس لهما مثيل عند اصحاب الجرائد الاخرى ما ذكره الكاتب الشهير المسيو دوفارن في احد مؤلفاته قال :

في سنة ١٨٤٥ كثر عدد شركات السكك الحديديه كثرة عظيمة جداً لم يعهد لها نظير من قبل فانهالت الطلبات والاعلانات على جريدة التيمس من هذه الشركات العديدة لنشرها في صحائفها لتدعو الناس الى الاكتتاب او الى الاشتراك او ... الخ . حتى بلغ دخل الجريدة من نشر هذه الطلبات والاعلانات فقط ما ينيف عن ٣٠٠٠٠٠ فرنك في الاسبوع الواحد الا ان مدير جريدة التيمس اذ ذاك آثر تنبيه الامة الى عواقب كثرة هذه الشركات الوخيمة على تلك القناطير المقنطرة التي كانت تنصب في خزينته كالسيل الجارف فكلف بعض مشاهير الاقتصاديين الراسخين في العلم وبعض ذوي البنوك الذين لهم دراية تامة بالاعمال الماليه بتحرير المقالات المؤيدة بالبراهين القوية والحجج الدامغة لرد مؤلفي الشركات الحديثة النشأة اما بالعدول عنها او بالتروي والتأني لتنظر ماذا ستكون عاقبة من قبلها او لتخطيط اقوم المناهج اللازم اتباعها لئلا يلحق بهم الخراب والافلاس . نعم انه عند نشر هذه المقالات في جريدته قلت الواردات ونقص دخله الا انه في مقابل هذا النقص اكسب الجريدة شهرة عظيمة جداً لازدياد ثقة الشعب في صدق خدمتها للامة والوطن وقد

انشأت هذه الجريدة في سنة ١٧٨٨ وكان حجمها صغيراً عارية عن الاخبار وفي السنة الثانية لظهورها سجن صاحبها جون ولتر مدة ١٦ شهراً لطعنه على البرنس دي غال والدوك كلارنس الا ان الجريدة لم تتأخر ساعة واحدة عن عن ظهورها وظلت بين عواصف الاهواء وظل صاحبها يجاهد الاخصام ويناضل بعض وزراء وقته مناضلة الابطال حتى كبرت الجريدة وعظم شأنها وكثر قراؤها وصارت تصدر الآن وعدد صفحاتها نحو العشرين صفحة وكل عدد منها يعد مؤلفاً ولكل موضوع صفحة كاملة وهي الآن سيدة الصحف ورئيسة كل من تاجر بالانباء والمقالات السياسية . ومن الادلة على صدق خدمة هذه الجريدة لوطنها عدم مبالاتها بالمئة والخمسين الف جنيه التي صرفتها على تحقيق ما كتبته ضد بارنل وحزب الارلنديين الذين كانوا يتآمرون على الثورة والاستقلال ويشجعون البغاة على ارتكاب المنكرات ودس الدسائس لتقويض اركان الدولة الانكليزية ففضحت امرهم بما كتبته من المقالات الرنانة واوقعتهم في ورطة لم يروا الى الخلاص منها سوى الانكار وطلب التحقيق . فاجابت الحكومة سؤلهم وشرعت ادارة الجريدة تصرف على تحقيق ما كتبته الاموال الطائلة من مثل استدعاء الشهود من اطراف الارض حتى بلغ مجموع ما نفقته ١٥٠ الف جنيه ولم تربح من ذلك سوى تحقيق نبالة غايتها وصدق خطتها . ويدلنا على علو شان هذه الجريدة ما قاله اللورد لنيد هورست سنة ١٨٣١ : « ان بارن هو اعظم رجال المملكة سلطة وشوكة » وقد كان بارن وقتئذ مدير جريدة التيمس . ومما يحكى ايضاً انه لما جاء صاحب هذه الجريدة الى الاستانة نزل ضيفاً على جلالة السلطان

في سراي يلدز وكان ملوك الارض من مثل شاه العجم وملك البلجيك وامبراطور المانيا وغيرهم يحسبون مقابلته ومحادثته من اكبر دواعي الحظ والسرور

ولا يشك الخبير ان الجرائد الانجليزية هي صاحبة النهي والامر ليس لقولها راد ولا معارض فهي القواله الفعاله القادره القهارة لا تبيع ذمتها بارخص الاسعار فتدور كيفما دار الدينار مثل فريق من الجرائد في بعض الاقطار بل تراها دوماً تنتهج منهجاً واحداً منذ نشأتها لا تحيد عنه ولو كان دونه الموت فلا تتوخى الا صدق خدمة الشعب والوطن

ولو ان اسعار هذه الجرائد زهيده جداً فضلاً عما هي عليه من دقة الطبع وجودة الورق وكثرة الاخبار الا ان دخلها عظيم جداً فقد روى الكاتب الانجليزي سكوت ان دخل احدى الجرائد الانجليزية التي تنشر في لندره وتباع بخمسه مليمات بلغ سنة ١٨٨٤ ما يأتي : معدل مصرف السنه من ٦٥٠٠٠٠٠ فرنك الى ٦٧٥٠٠٠٠ فرنك مكسب صافي من ١٣٧٥٠٠٠ فرنك الى ١٥٠٠٠٠٠ فرنك فيكون في مدة الثلاث مائة وثلاثة عشر يوماً التي تصدر فيها الجريده في السنه الواحده هكذا مصرف يومي : ٢١٥٠٠ فرنك ومكسب ٥٠٠٠ فرنك فتامل وقد كانت جريدة الدايلي نيوز التي تصدر في لندره فاتحة الجرائد الزهيده الثمن ثم حذت حذوها جرائد اخرى كثيره

ومكاسب هذه الجرائد غير مقصورة على قيم الاشتراك لان هذه القيم قليلة جداً بالنسبه الى المصاريف التي تحملها . فان جل مكاسبها من درج الاعلانات والطلبات الخاصه بالتياترات واللوكاندات والشركات التجاريه

والمدنيه والاقتصاديه والبنوك واخبار المواليد والوفيات والمعارض والملاهي والسباق واعلانات الوابورات البحريه والبريه ونشر الاعلانات القضائيه الخاصه بالحجر والبيع وما شاكل ذلك على ان مصاريفها عظيمه وكفانا شاهداً كثرة ما تدفعه جريدة التيمس الى مكاتبيها بباريس وفينا وبرلين واسلامبول وسان بطرسبورج فان رواتبهم تزيد عن رواتب الوزراء . فراتب مكاتب باريس خمسة آلاف ليرا سنوياً مع قصر فخم يقيم به على نفقة الجريده لا يليق الا بالملوك ولهؤلاء المكاتبين مقام كبير سام لدى الامه الانجليزيه وهم يتخيرون من رجال العلم والسياسه الذين سبكتهم تصاريف الدهور وحنكتهم الامور فعرفوا اساليب الاستئثار بالقلوب واسترقاق العقول ببليغ الكلام وعظيم الدهاء وشائق التعبير .

وقد امتازت الجرائد الانجليزية بشدة العنايه باستجماع الاخبار من مواطنها وسرعة نشرها ولو كان دون ذلك بذل النفس والنفيس ودليلنا ما كان من امر مكاتب جريدة التيمس المسمى ارشيبالد فوربس في سنة ١٨٧٠ لما استوت لظى الحرب بين الامة الفرنساويه والامة الالمانيه فانه كان يرسل لجريدته اخبار الوقائع الحربيه ساعة بساعة تلغرافياً حتى لجأت الجرائد الفرنساوية الى نقل اخبار تلك الحرب المشؤومه من الجرائد الانكليزيه ودرجها باعدادها وكان الانجليز في هذه الحرب وفي غيرها يعدون ما مضى عليه اكثر من اربع وعشرين ساعه قديم العهد غير جدير بالالتفات اليه . مع انه ربما يكون الشعب الفرنسوي جاهلاً ما مضى عليه يومان او اكثر

ومن ذلك ان جريدة الدايلي تلغراف عرفت بانتصار اللورد كتشنر

سنة ١٨٩٨ على الدراويش قبل ان عرفت الحكومة الانكليزية نفسها

ومنها ايضاً ان المستر غلادستون الخطيب المصقع الانجليزي والوزير الرائع الصيت بعث في سنة ٩٢ الى جريدة امريكيه مقاله خاصه بالمسألة الايرلانديه تلك المسئله التي شغلت افكار السياسيين الانجليز فلم يستطع احد منهم حلها حلاً مرضياً (وهي الآن موضع البحث والنظر والمناقشه في انجلترا) ولما كانت جريدة التيمس من الد خصوم المستر غلادستون لا سيما فيما يتعلق بتلك المسأله رغبت في الحصول على تلك المقاله ونشرها قبل الجرائد الاخرى . ولذلك اتفقت مع مدير الجريده الامريكيه على ان يرسل لها تلغرافياً ٢٥ كلمه من مجموع كلمات المقاله البالغ عددها ٤٠٨٣ كلمة . فظهرت المقاله في اعمدة الجريده مفسرة بالقول الجلي الواضح

وليست جرائد لونده وحدها صاحبة النفوذ فان لكل بلد من المقاطعات والاقسام الانجليزية جرائد خاصه بها ربما تمتاز عن جرائد لونده في دقة اخبار المقاطعه التي تظهر فيها ولبعضها شأن كبير ومقام رفيع بين الشعب الانكليزي وهي في درجة تستطيع بها منافسة جرائد لونده ومجاراتها في استجماع شوارد الاخبار من سحيق الاقطار كجريدة مانشستر جوارديان وجريدة ليفربول كوريه . وكثير غيرهما وكلها منتشرة في البلاد الانجليزية وسائر البلاد الاوروباويه والاميركيه ولها من علو الشان ما جعلها ان تضاهي اكبر جرائد عواصم اوروبا ولجريدة مانشستر جوارديان مكاتبون مخصوصون في البلاد الاوروبية الشهيره ولها مكتب خاص في باريس عاصمة فرنسا ووكالة وسلوك تلغرافية خاصة تربطها بلونده . ولمديري الجرائد الانجليزية عناية غريبة

في صون سمعة جرائدهم تضاهي عناية اصحاب المحلات التجارية في لندن او ليفربول في المحافظة على سمعة المحل او السعي في اعلاء شأنه وازدياد قدره فيسعون دائماً في البحث عن صحة الاخبار الوارده لها من غير مكاتبيها ولا ينشرون الا ما وافق مشرب الجريده والذوق الانجليزي فينتقون العبارات ويطلونها بطلاوة تأخذ بلب القارئ خشية ان يمسه ملال او كلال والمقالات السياسية بها تكون غير ممضاة دلالة على ان ذلك كلام الجريدة ورأيها ومشربها ومطالبها. وتتحاشى هذه الجرائد نشر المقالات التي بها طعن شخصي او هجو او سباب او غير ذلك بيد انها ترى وجوب الطعن في الاراء والمناقشة في صحتها او فسادها والمناظرة في المواضيع السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية لان ذلك انما هو من متممات واجبات الجرائد وبها ينتفع القارىء كثيراً فيزداد بسطة في العلوم بالمسائل الداخليه والخارجيه التي لها عنده شأن كبير

وخلاصة القول إنّ غرض الجرائد الانجليزية انما هو الاحكام والافعال دون الاشخاص وهذا هو عين الصواب فما دامت الجريده لا تتجاوز دائرة الاحكام والافعال في انتقادها بلا تعرض للاشخاص بالذات فلا لوم عليها ولا تثريب ولا خوف ولا تأنيب

والحكومه الانجليزيه اكثر الحكومات كسباً وربحاً من جرائدها لانها اكثر جرائد العالم انتشاراً وعدداً واوفرها مواداً وعدداً فقد دلّ الاحصاء انه في سنة ١٨٩٤ بلغ عدد الرسائل التي تصدرت في داخل البلاد الانجليزية ٢٫٧٨٩٫٥٠٠٫٠٠٠ (بليونين وسبعمائة وتسعه وثمانون مليوناً ونصف مليون) اي انه يخص منها كل فرد من سكان انجلترا ٧٢ رساله

وارباب هذه الصحف من اعظم الناس ثروة فقد بلغت التركة التي توفي عنها المستر جون ولتر احد اصحاب التيمس اكثر من مئتين وسبعة وسبعين الف جنيه . وتوفي قبله المستر ادورد ليود عن تركة قدرها خمسمائة وثلثة وستون الف جنيه وبلغت تركة المستر ليفي من اصحاب جريدة الدايلي تلغراف نحو اربعمائة وخمسة وسبعين الف جنيه وقس على هذا ثروة اصحاب الجرائد الاخرى الشهيرة

ومما هو حري بالذكر عن جريدة التيمس ان البارون هرش وهو من اغنياء الارض وصاحب جريدة الدايلي تلغراف والبال مال غازت وسان جمس غازت وغيرها حاول ابتياع جريدة التيمس مراراً فعاد عنها لما رأى ان اصحابها لا يبيعونها باقل من خمسة ملايين جنيه فتأمل

ويبلغ عدد صحف الاخبار في بلاد الانجليز نحو ٢٣٠٠ جريدة . منها ٥٠٠ في لندن . اشهرها التيمس . الدايلي نيوز . الستاندرد الدايلي كرونيكل . بال مال غازت . وستمنستر غازت . سان جمس غازت . وثمن العدد الواحد من هذه الجرائد بني او نحو نصف غرش ما خلا التيمس فان ثمنه ثلثة اضعاف ثمن غيره وليس في انجلترا جريدة تضاهي جريدة نيويورك هرلد الاميركية في انتشارها وكثرة عدد قرائها فهي تبيع كل يوم ستماية الف نسخة وتصدر الجرائد في اوقات معينة من النهار فاشهر جرائد الصباح التيمس وهو ليس متشيعاً لاحد الاحزاب والديلي نيوز وهي جريدة الاحرار . والستاندرد وهي لسان حال المحافظين والمورنج بوست وهو لسان البلاط الملوكي . ثم الديلي تلغراف واشهر جرائد المساء بال مال غازت وسان جمس

اما المجلات الاسبوعيه فكثيرة العدد واكثرها يسرد الحوادث المحليه واهم اخبار الاسبوع السياسيه ثم يتبعها ببعض نوادر تاريخيه او روايات غراميه وتاتي بعدها المجلات الشهرية والغالب منها لا يبحث الا في المسائل السياسيه والاقتصاديه . ومن المجلات الانجليزية ما يظهر كل ثلاثة اشهر مرة واحدة واكثرها انتشاراً وابعدها صيتاً اثنتان مجلة ادمبورج ومجلة كوارترلي وموضوع بحثهما قاصر على الانتقاد والتاريخ ليس الا وقد مر على هاتين الجريدتين ثمانون حولاً حازتا فيها مجداً وفخراً

ميزات انكلترا

ومما هو جدير بالذكر ان انكلترا لم تهرق في سبيل امتلاك الاملاك الواسعة سوى دم القليل من رجالها فالهند مثلا ما امتلكتها الا بمساعي الشركة التجارية اعني بمساعي عدد قليل من تجارها وهي لا ترسل الى المستعمرة متى أتمت فتحها الا نفراً قليلاً من رجالها يعدون على الاصابع يتولون زمام امور البلاد واحكامها ويتعمدون الحكمه والسداد بين الاهلين وتقرير العدل والمساواة وينشرون لغتهم وآدابهم .

وانكلترا هي البلاد الوحيدة التي تسمح لكل بضاعة اجنبية بالدخول لها ولا تضرب عليها الرسوم ما عدا المواد المهربة

وانكلترا اصبحت الآن كما قال المستر بلفور سنة ١٨٩٠ منتجعاً للفقراء والمعوزين الاجانب من كافة النحل والمذاهب والفقراء الاجانب في انكلترا اوفر عدداً منهم في غيرها واكثرهم يفدون ببضائعهم التي لا أثر لها ولكن الانكليز لا يخشون منهم ضرر المباراة ولا يرون من مقتضى أسد ابواب

البلاد دونهم .

وقد اتت انكلترا منذ مائة سنة تقريباً بعمل جليل نشأ عنه تأثيراً بيناً عظيماً في حال الهيئة الاجتماعية الا وهو فسخ الاسترقاق فقد تألفت منذ مائة سنة في لوندرا جمعية عنوانها جمعية تحرير الرقيق وكان من دأبها التصدي للاسترقاق فرفعت الى البرلمان مطالب لم يقر عليها خوفاً على الهند فلم تنحط عزائم تلك الجمعية وساعدتهم الاقدار فكان لهم ظهير ونصير خطيبان مصقعان من اعضاء البرلمان وهما فوكس وبورك فكانا يتفننان في الخطابة على تلك التجارة ويلتمسان النهي عن تعاطيها ولم يزلا حتى استمالا القلوب وصدرت الارادة بفسخ الاسترقاق في بعض الجزائر الانكليزية سنة ١٨٠٧ وسيرت السفن الحربية الى بحر الهند تقطع الطريق على المراكب الحاملة للرقيق واشتهرت خطباء اعلام نادوا بالاخاء الانساني وبدوا سوء حال الرقيق وضنكه وجور التجارة عليه وسوء معاملة النخاس له فوقع الخطاب بمجامع القلوب واهتز البرلمان رأفة وحناناً ففسخ الاسترقاق من جميع المستعمرات وتم اعلان ذلك رسمياً سنة ١٨٣١

ثم تخابرت انكلترا مع باقي الدول الاخرى وحثتها على فسخ الاسترقاق من مستعمراتها ايضاً برسائل تهيج القلوب على الارقاء وسوء حالهم وسوء معاملة الجلابين لهم فهاجت الدول واجابت دعوة انكلترا بالتلبية وعقدت معها المعاهدات في تحريم تلك التجارة وكانت مصر من الدول المعاهدة ايضاً فهذه اعظم حسنة يحفظها التاريخ لانكلترا الى الأبد وهي لا تزال تسعى في فسخ المظالم والشرور التي تحل بالجنس البشري فتنصر كل امة مظلومة

برنس اوف ويلس

Prince of Wales

هو البرنس البرت ادورد امير ويلس ولي عهد الملكة فيكتوريا ملكة المملكة الانكليزية وامبراطورة الهند . ولد في قصر بكنهام بلندن في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٤١ ونشأ في ظل والدته وتربى احسن تربية وتهذب اكمل تهذيب في كليتي اكسفورد وكمبريدج ونال منهما لقب دكتور في الشرائع المدنية وهو بمثابة دكتور في العلوم كلها ونال ايضاً مثل هذا اللقب من مدرستي دبلين وكلكوتا الجامعتين .

وفي سنة ١٨٦٣ اقترن بالاميرة الكسندرينا كريمة ملك الدانمرك . وقد ولدت هذه الاميرة في سنة ١٨٤٤ وما بلغت السادسة عشرة من سني حياتها الزهراء حتى اشتهرت ببهاءها وجمالها كما اشتهرت بمحامد صفاتها وسمو آدابها وكانت تسوح مع ابيها في عواصم اوروبا فاتفق ان تقابلت بالبرنس اوف ويلس مراراً فاحبها وخطبها الى ابيها . وقد سر كثيراً الشعب الانكليزي والدنمركي بهذه الخطبة ولما آن اوان الزيجة قوبلت العروس بمزيد الرعاية واللطف ورحب بها الشعب الانكليزي اعظم ترحيب الا ان الملكة لم تشارك شعبها في افراح الزفاف بل اكتفت بحضور حفلة الاكليل في كنيسة وندزور بثوب بسيط من الحرير الاسود مراعاةً لحدادها

واعترى البرنس في سنة ١٨٧١ حمى تيفوسية فشمل القلق الانكليز كلهم واعتراهم الخوف على حياته التي ظلت مدة بين اليأس والرجاء فاقاموا الصلوات

في الكنائس والمعابد حتى منّ الله عليه بالشفاء فعابقت البشائر انحاء المملكة في الرابع عشر من شهر دسمبر وهو اليوم الذي توفي فيه والده البرنس البرت وكان يتشاءم منه الانكليز فانقلب الكدر في ذلك اليوم سروراً والتشاؤم تفاؤلاً بالخير وتم الفرح بظهور البرنس للشعب بجانب والدته في عربة ومروره في اكثر شوارع لوندرا التي زينت بزينات نطقت بما كان يخالج افئدة الرعية من الاخلاص والمحبة ، ثم توجه في ختام ذلك الى كنيسة القديس بولس حيث اشترك مع الملكة ١٥ الف نفس من اعاظم المملكة بتقديم الشكر لله وقد كتبت الى شعبها تقول انها تجعل ذلك اليوم تذكاراً ابدياً لتوثيق عرى المحبة بينها هي وبين عائلتها وبين شعبها

ورزق البرنس من زوجته بولدين البرنس فكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٨٩٢ وجورج دوك يورك ولد سنة ١٨٦٥ وهو ولي عهده ، وسوف تأول ولاية العهد من بعد هذا الدوك الى ابنه البرنس البرت بن دوك يورك ولد سنة ١٨٩٤

ورزق ايضاً البرنس من زوجته بثلاث بنات بارعات في الجمال كامهن ومحبات للبر والاحسان مثلها

وساح البرنس في الهند والولايات المتحدة الاميركية وكندا والشام ومصر وهو يتنقل على الدوام في عواصم اوروبا .

وله القاب كثيرة منها « برنس اوف ويلس » « وايرل تشستر وكرك ودبلين » « وهيرمان اسكوتلاندا » « ودوك كرنول » « وبارون رنفرو » « ولورد الجزائر » « وشفاليه الكارتر » « وقومندان كوكب الهند العظيم ومنعم عليه

بصليب سان ميخائيل وصليب سان جورج وله القاب كثيرة عسكريه

وقد جعل في سنة ١٨٧٤ الاستاذ الاكبر للمحافل الانكليزية فاستعزّت به الماسونية وناب عن ابيه بعد وفاته في رئاسة اكثر الجمعيات العلمية الادبية والصناعية وينوب مع قرينته عن والدته في اكثر الاعمال فيفتح الخطوط الحديدية والجسور الكبيرة ويضع حجر الاساس في كل بناء عظيم . ومعلوم ان في رئاسته هذه اكبر واسطة لترقية الصناعة وتنشيط العلوم وتوسيع نطاق التجارة

وقد جمع احسن الصفات على اجمل ذات وتوفّرت له اسباب الترف واحاطت به دواعي العظمة والكرامة . يتفانى الانكليز في مرضاته وينظرون له كزعيم الشرف وقائد الهيئة الاجتماعية ويتغالون به في كل اطواره . واشتهر عنه التواضع واللطف وطيب القلب والميل الى المحاضرة والمؤانسه وكان يتتبّع مدارج السياسة خطوة خطوة ويراقب اعمال الحكومة بعين ساهرة لا تنام وهمة امضى من حد الحسام واخذ في هذه السنين الاخيرة يبسط نفوذه ويقول كلته في كل أمر حتى اصبح الملك الحقيقي . وسيرث بعد أمه اعظم الممالك ويحكم اقدر الامم .



الديوك اوف يورك

ولي عهد البرنس دي غال



مشاهير الانكليز

« Great Men »

ان مشاهير الانكليز رجال نبغوا بين اقرانهم جازوا حدود المهارة والبراعة فكان نبوغهم سبباً لارتقاء ممالكهم وامتهم فتفرد السياسي منهم بدهائه وبعد نظره واصابة فكره واحكام رأيه وعلو كلمته وجمع القوة في يده فاتخذها نصيراً لحكمته فنال معها مراده وفاز بمبتغاه وترك كل سياسي ينظر الى عمله نظر المتعلم منه المقتبس من طرقه • وتفرّد عالمهم بانصبابه على علمه وابغاله في مجاهل كل مكنون محجوب من العلماء الاخرين فجاء بالحقيقة تنير الافكار وتبهر الابصار وتؤيد العمران وتعلم الانسان • وتفرد اديبهم بالادب الناصع • والفضل اللامع • وكاتبهم بالفصاحة • وخطيبهم بالبلاغة • وساحهم بالايغال والمباعدة • وبحريهم بركوب الاخطار • وجنديهم بثبوت الجأش والجنان وقائدهم بالمهارة • وصانعهم بالحذق وتاجرهم بالدقة حتى اجتمع لهم من هؤلاء النوابغ ما لم يجتمع للامم الاخر التي اذا عز جنديها ذل عالمها واذا نبغ اديبها بكم خطيبها واذا ضحك لها الدهر يوماً عبس اياماً • فالانكليز اذا مات منهم نابغة قام نابغة برثه ويتم عمله وهكذا حالف نشاط ابنائهم وثباتهم ايام الدهر والعصور • واتمدادنا على ذكر اعاظم الرجال في خلال حديثنا عن هذه المملكة واشرنا الى ما لهم من الفضل في العالم وعلو المكانة عند امتهم التي اقامت التماثيل تخليداً لذكرهم وعملهم وتذكيراً للسلف بفضل الخلف ونذكر هنا ترجمة حياة بعضهم في فصل على حدة نختم به الكتاب اتماماً للفائدة واذا فاتنا الاحاطة

بالجميع اجترأنا على البعض

« كرمويل »

« Cromwell »

هو حامي حمى جمهورية انكلترا واصل الثورة الانكليزية .

ولد في الرابع والعشرين من ابريل سنة ١٥٩٩ في مدينة هانتجدون وكان ابوه من ذوي اليسار واصحاب الاملاك وامه من العائلة الستيارية الشهيرة فدرس اولاً في مدرسة بلدته واتم في مدرسة كمبريدج

ثم قدر له ان يفتح عيني رشده بين الناس لاهمّ لهم سوى التعصبات الدينية فأثرت هذه المبادىء في افكاره تأثيراً عظيماً ونشأ متعصباً واخذ يتردد على قسس الطائفة الانجيلية حتى اشتهر امره مع حداثة سنه في قريته والبلاد المجاورة لها وانتخب في سنة ١٦٢٧ عضواً في البرلمان فظل فيه حتى حله وقتئذ الملك ثم عين قاضي صلح لبلدته وما يجاورها .

ولما شرع كارلوس الاول يثير الاضطهاد ويكره اكثر الكاثوليك الى هجر الاوطان والتماس حرية الدين في امريكا كان كرمويل مع غيره من اعاظم المملكة على اهبة الرحيل فصدهم الملك عنه فاضمروا له الشر وكان ايضاً النزاع قائماً على قدم وساق في داخلية البلاد والامن مفقوداً منها والملك في خصام مستمر مع اعضاء البرلمان الذين كانوا يحاولون نزع السلطة المطلقة عنه واستمر الحال على هذا المنوال حتى تألفت الاحزاب المختلفة فتمكن كرمويل في ذلك الوقت من اتخاذ الوسائل لبلوغ آمال كثيراً ما هجس بها في

عالم الخيال فعرض نفسه لشر العواقب والاخطار وانضم الى حزب البرلمان الذي كان مؤلفاً من بعض وجهاء المملكة وغيرهم من عامة الشعب وارباب الحرف والصنائع واخذ يحرك على العصيان ويضرم نار الفتنة حتى ثارت الحرب الاهلية فرأى ان حزب البرلمان لا يستطيع الثبوت امام جيش الملك فترك لوندرا وطار الى اقاليم انكلترا الشرقية التي ربي فيها واخذ يسعى بكل جهد وحمية بين فلاحيها حتى جمع منهم رجالاً اشداء اقوياء كون منهم جيشاً فدربهم في اقرب وقت على كل ما تهم معرفته من طرق الحرب واطاعوه طاعة عمياء وفاز بهم على الملك وجيشه في موقعتين عظيمتين احداهما في مارستين مور سنة ١٦٤٤ والاخرى في ناسبي سنة ١٦٤٥ . ثم ضايق الملك حتى اضطره لان يسلم نفسه اذ لم يجد له مناصاً للخلاص ووضعه في قصره تحت الحجر ثم طلب من اعضاء البرلمان الحكم بقتله فقاومه البعض منهم فقهرهم وانتدب غيرهم ممن يوافقونه واقام امامهم محاكمة الملك فظهر لهم انه خائن يستحق الموت فاضطرب الكل من هذا الحكم ولكن لم يستطع احد ان يحرك ساكناً لان هيبة كرمويل وقوة جيشه منعتا كل عصيان وشقاق وهكذا قطع رأس الملك امام قصر ويتهول . فلما ان خلت سدة الملك من ملك تألب حوالي كرمويل الاشراف واكابر المملكة ونادوا بالجمهورية واقاموه مديراً ورئيساً لها واطلقوا عليه اسم حامي حمى جمهورية انكلترا وكانت الحفلة لارتقائه ذلك المنصب عظيمة تقرب من حفلات تتويج الملوك فقال له احد اصدقائه : ألم تر هذا الاحتفال من العامة بك ايها الحامي فقال ان هؤلاء الرعاع لا يلتفت الى تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فهم تبع للغالب فلو اخرجت في مثل هذا اليوم للقتل لكانوا خرجوا

الى التفرج علي مثلما خرجوا الى الاحتفاء بي الآن . ولم يَغُل كرمويل من هذا الفوز العظيم بل استمر محافظاً على ما كان عليه من اصالة الرأي والحزم يدير زمام الاحكام ورئاسة الجيوش فارتفع قدره وانتشر ذكره ووقعت هيبته في قلوب الشعب وما زالت سطوته تمتد في البلاد حتى استولى على زمام المملكة فآثر اذ ذاك الاستبداد في الاحكام وساس البلاد كما قال احد المؤرخين بعصا من حديد واخمد الثورة التي اثارها هو بنفسه وكان من اهلها الأولين ولآخرين وروى بعض المؤرخين ان خصومه كانوا وقتئذ عديدين ولذا كان يلبس درعاً من الحديد تحت ثيابه حذراً من غدرهم . وقد اعترضه بداءة بدء على استبداده في الاحكام اعضاء البرلمان ولكنه لم يصغ الى اعتراضهم بل اقالهم من مناصبهم واقام غيرهم ممن كان يأتمنهم ويعول عليهم . ولبث مصراً على عزمه متثبتاً بغايته والسعد والتوفيق يخدمانه حتى مال الى التسلط المطلق وطمح الى التاج الملوكي ليجعله لذريته من بعده بيد انه تخلى عن هذا القصد لما كان يحدق به من الاخطار ولعلمه بان اوربا انكلترا الذي لابد لها منه ان تكون محكومة من البرلمان بحسب الطرق والرسوم .

وقال بعض المؤرخين : ان القلوب لم تتعلق بكرمويل بل اعتبره الجميع كواسطة غير مرضية لم يكن لهم خير منها ولو تخلى يوماً عن السلطة التي حازها بقوته واقتداره لاضطر ان يعود اليها في الغد لانه لم يوجد اذ ذاك مثله من يصلح لادارة الاحكام ولاجراء النظام والعدالة بين جميع الاحزاب وقد بلغ من التفنن في ضروب السياسة والمكر ما يعجز الواصف عن وصفه وكانت آية في اصالة الرأي والعزم والاقتدار في مدة الاربعة اعوام التي

حكم فيها جمهورية انكلترا ومات محموماً سنة ١٦٥٨ وهو في التاسع والخمسين من العمر .

وقد عده المؤرخون في مرتبة رجال الدهر العظام وقال عنه العالم الفرنسوي الشهير جيزو ما معناه : قد قدر لهذا الرجل حظ الرجال العظام ثم انه لم يكن بمقام ميرابو (خطيب الثورة الفرنساوية والمظهر لها بثبات جنانه وطلاقة لسانه سنة ١٧٨٩) ولا اشتهر اسمه في السنين الاولى في البرلمان مع كل ما كان يظهره من الحركة العظمية في الاعمال ولكنه يشابه في حكمته واقتداره نابليون بونابرت

*
* *

يحفظ التاريخ الانكليزي بشذا اعمال والد وابنه نبغا تحت سماء بريطانيا العظمى في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر فكان كلاهما في الذكاء وفي الفصاحة والخطابة غاية وفي بعد الهمة ومحبة الوطنية قدوة بيد أن الابن فاق اباه في امور كثيرة فمثل في مشاهد السياسة فصولاً طبق ذكرها الفضاء وبلغت بشهرته حد الاشتباه حتى قيل انه آية من آيات العالم ومعجزة من بدائع معجزاته وكان ايضاً كلاهما شديد الوطأة على فرنسا بذلا كل جد وهمة في سبيل اسعاد الأمة الانكليزية حتى خيل للعالم انهما ما خلقا الا ليكونا دعامة تقدمها وركن سعادتها فاتخذت حياتهما واعمالهما مثالاً يقتدي بهما الانكليز بعدها ويطربون بذكراهما قرناً بعد قرن

اما الاب فبيت ويعرف في التاريخ باسم اللورد شتام واما الابن فوليم بيت (وبيت هو حفيد تومابيت الذي استحضر من الهند الالماسة الشهيرة وهي اجمل واكمل الماسة في اوروبا وتدعى بالماسة نائب الملك لان تومابيت باعها الى الدوق اورليان بقيمة مائتي الف ريال ولكنها تساوي في الحقيقة مليون ريال وهي الآن بين جواهر الحكومة الفرنساوية النفيسة) وهاك ملخص تاريخهما واعمالهما

❊❊❊

« اللورد شتام »

« Lord Chatham »

ولد في الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٧٠٨ من عائلة كريمة وتربى في مدرسة ايتون ثم تخرج في كلية اكسفورد الشهيرة وتركها ونفسه تحدثه ان اقتداره الذاتي جدير ان يرشحه لمكان علي في العالم الانساني فاتقن فن الانشاء علما ومزاولة وانصب بأكمله على مطالعة خطب السياسيين الرنانة ثم زار فرنسا فايطاليا ولدى عوده لبلاده اصيب بفقد والده ولم يترك له من حطام الدنيا شيئاً فاضطر ان يبقى لدى والدته ليعولها وتقلب معها ردحاً على حالتي عسر ويسر وما بلغ السابع والعشرين من العمر حتى استنابته عمالة اولد ساروم نائباً عنها في دار الندوة

وكان طويل القامة اهيف القد بهي الشارة مهيب الطلعة حاد النظر جهوري الصوت بليغ العبارة فصيح اللهجة وجملة القول انه كان جامعاً بين تصورات الرجل السياسي ومزايا الخطيب المصقع ولدى دخوله البرلمان كان على رئاسة الوزارة الانكليزية روبرت ولبول وقد اتى وقتئذ هذا الوزير عملاً كان عليه وصمة عار في تاريخه الى الابد وذلة لم يغتفرها له التاريخ الانكليزي فكان نقطة سوداء بين اعماله البيضاء ذلك لانه كان يهب المال ويجود بالوظائف والالقاب ليسد افواه الراغبين في التنديد بوزارته او المنتقدين لاعماله فحصل هكذا على انصار واحزاب يعززون كلمته ويشددون ازره ولما آنس من بيت اقتدارا قريباً رام ان يدرجه في عداد انصاره وان يبهر نظره بما يطمح اليه كل من

كان في عمره من النضار والوظائف والالقاب قصدا ان يصير تحت رايته غير ان بيت رفض بشهامة كل ما عرضه عليه وجاهر بمناوأته فشدد عليه والبول النكير وكاد يذيقه من مرارة التحامل عذاباً اليماً قتيا لمكافحته ولبث ثابتاً متجاراً يخطب كلما سنحت له الفرصة الخطب الرنانة التي وطأت له عرانين الشهرة منددا ومجاهرا بمساوي وزلات تلك الوزارة حتى اثرت سهام اقواله في جسمها فقوضت اركانها وقضت عليها قضاء باتاً

فقام بعدها وزاره اخرى عرضت على بيت منصباً فيها فرفضه وامتنع عن قبوله لانه توفق بدقة ملحوظاته الى كشف اسرار الخطة السياسية التي كانت الوزارة معولة على اتباعها واوضح للشعب الانكليزي ان تلك الوزارة ما وجدت الا لخدمة مصالح جورج الشخصية لا لخدمة الوطن الحقيقية فخفقت له القلوب اذ ذاك ذكراً جميلاً وارتفع شأنه لدى اعضاء البرلمان لما آنسوا فيه من الاخلاص المحض للوطن . واظهاراً لرفعة منزلته في قلوبهم تألبوا حواليه بعد انقضاء اجل الوزارة وقلدوه رئاستها فظل فيها مدة اربع سنوات سعى اثناءها في خفض شأن فرنسا التي كانت تعوق انبساط الاستعمار الانكليزي في اكثر بقاع الارض

وقد تكلل مسعاه هذا بالنجاح ففاز به فوزاً عظيماً ثم أيد سطوة انكلترا في اكثر ممالك اوروبا ووطدت دعائم حكمها في مستعمراتها الاميركانية واستخلصت من فرنسا الكنادا ولويزيان وافقدتها مستعمراتها الهندية

وكان له الكلمة النافذة بلا معارض في عهد جورج الثاني فلما توفى هذا الملك وخلفه ابنه جورج الثالث اعتزل الوزارة في سنة ١٧٦١ ورتب له ٧٥

الف فرنك مرتباً سنوياً يستعين به على معاشه ثم عاد اليها في سنة ١٧٦٦ فزاولها حتى اذا انتابت جسمه العلل ولم يعد يستطيع القيام بعبء الاعمال لزم منزله مضطراً وتوجه اليه وقتئذ لقب لورد شتام الذي عرف به تمييزاً عن اسم ابنه .

وقد عز عليه السكوت في عزلته هذه فاستمر على الحضور في قاعة الاوردة عند البلاد بارائه السديدة ولا يغادر من وسائط اسعاد الامة كبيرة او صغيرة الا ويعرضها على قومه وجاهر وقتئذ بعدم مداومة الحرب مع الولايات المتحدة وكان يهتف في قاعة البرلمان بصوت جهير رنان قائلاً .

« كيف يحق لنا محاربة اقوام تربطنا بهم علاقة الجنسية اليس الاميركان منا « اليس الدم الذي يسير في عروقهم هو من الدم الذي يسير في عروقنا « الم نرثه كلانا عن اجدادنا اليس فيهم مثلنا اعصاب تتأثر فتثير فيهم النخوة « والحمية وتدعوهم الى محبة الحرية كما نحبها والتهالك في سبيل الحصول عليها « كما تهالكنا في سبيلها هل تبغون ان نسومهم الخسف والذل ونعبث بحقوقهم « ونطلب منهم ان يكونوا حجارة صماء فليس من رأيي اشهار الحرب وانما « ارى ان نقف عند هذا الحد وان نمنحهم منة وكرماً منا الحرية والاستقلال « لئلا نضطر الى ذلك رغماً عنا »

بيد ان الحكومة الانكليزية لم تسر وقتئذ بمقتضى آراء هذا الشيخ الجليل حتى تفاقم الامر كما هو مشهور ولما علم ان البرلمان يعقد جلسته ليعترف باستقلال البلاد التي حامى عنها وكان وقتئذ قد بلغ السبعين من عمره واستفحل داؤه حتى اعيا اطباءه شعر اذ طار اليه الخبر وهو في برحاء الحمى

الى ذكريات دمه تجيش في عروق جسمه كما لو كان في ريعان شبابه . ولما تم اجتماع اعضاء البرلمان اذا به يلج الباب يسنده ولداه جون ووليم نحيفاً هزيلاً شاحب اللون وعليه حلة ثمينة فالقى بدخوله الدهشة على وجوه الحاضرين والرهبة في قلوبهم فقاموا له تعظيماً واجلالاً وفتحت له صفوفهم ليصل الى المحل الذي عين له بجانب الرئيس وريثما استراح هنيهة وانتهى الدوق دريشموند من خطابه بدأ هو بالكلام بصوت كأن يتهدج في لهاته فقال .

« يسرني ان القبر لم يفغر للآن فاه ليبتلعني فشكراً للموت الذي ابقى علي لهذه الساعة لارفع صوتي وادافع على مسمع منكم عن حقوق هذا الملك العظيم فانا كما ترونني والآلام قد احنت ظهري والاوجاع تتناوبني والموت يدني يده مني ليجتذبني لا قبل لي على نفع بلادي في اوحال هذه الاحوال التي آلت اليها »

ثم خاض طويلاً في المقال بما يناسب المقام الى ان قال « كيف نغض الطرف عن حقوق هذا الملك الحائل الذي قام رغماً عن غزوات الدانيين وتعديات الاسكوتلانديين وهجمات النورمانديين وخابت امامه ارمادا اسبانيا فلبث ثابتاً على حوادث الزمان ولم يزعزعه تصريف حال من الاحوال اترضون بخفض شأنه والحط من قدره امام بيت بوربون ألستم على ما كنتم عليه منذ سبعة عشر عاماً . اذاً ما لي اراكم تضطربون خوفاً لدى عدوكم الالد وفرائصكم ترتعد من ذكراه ارتياعاً وكلكم على اهبة الاستسلام له والركوع على قدميه والطلب منه ان يأخذ منكم كل ما لكم ويجود عليكم بالصلح فقط

« يأذلنا ان كنا نحني الرؤوس استسلاماً . فبالله استحلفكم ان تبذلوا »
« الجهد بما تصل اليه اليد وان تكونوا كالبناء المرصوص القائم امام عوادي »
« الايام والمشيد لدى حوادث الزمان واذا كان لا بدّ من السقوط فلنسقط »
« كابطال الرجال » .

وكان قصده من خطابه التعجيل باشهار الحرب على فرنسا لانها تجاوزت الحد بعداوة انكلترا وساعدت الولايات المتحدة على العصيان كما هو معلوم فاجاب وقتئذٍ الدوق ريشموند على ما يحول من الموانع دون الشروع في تلك الحرب واذ رأى الشيخ المريض مجالاً للاعتراض على مقاله تحفز للنهوض لاستئناف المقال ولكنه لم يكد ينطق باول كلمة حتى تلعثم لسانه من الضعف واخذته هزة شديدة فوضع يده على قلبه وسقط مغمياً عليه فنقلوه الى منزله وبعد شهر قضي عليه فناح الانكليز لموته وواروه التراب بدموع سخينه لما كان له من الايادي البيضاء في خير المملكة وكاد يفرز له التاريخ المقام الاول بين وزراء انكلترا لو لم يفقه ابنه وليم .

ومات عن ولد آخر يدعى جون وهو الاكبر ورثه في القابه وماله فتلقى الفنون الحربيه وصار قائداً ثم حاكماً على جبل طارق واما الثاني وهو وليم فقد ورثه في مقامه وسياسته وفاقه في فصاحته ودهائه وطول خدماته

« وليم بيت »

« William Pitt »

هو السياسي العظيم ولد في مدينة هاي من مقاطعة كنت في ٢٨ مايو سنة ١٧٥٩ فكان مثل ابيه نحيف البنيه اهيف القامه جذاب الملامح حاد البصر يقرأ في وجهه شدة التصورات الفائقه . ربي في مهد النعم وتلق العلوم الابتدائية تحت ظل والديه وكان من صغره مطبوعاً على الاجتهاد وحب الاعمال جامعاً بين حسن البداهه وتوقد الذكاء

ولما ارسل الى كلية كمبريدج اضطر مراراً لترك المدرسه لما كان يعتريه من الضعف في صحته ولكنه بلغ مع ذلك بين اقرانه المقام الأعلى . وكان كلفاً بدرس دقائق الفلسفة فلم يدع مؤلفاً لاتينياً ولا يونانياً بليغاً الا قرأه وحفظ خطب ديموستين الشهيره وكان يكررها غيباً وصار من عادته اذا قرأ كتاباً اجنبياً ان يترجم عباراته الى اللغه الانجليزية ويدقق في مطالعة البليغ منها تدقيقاً عقلياً مما جعله قادراً على التعبير عن افكاره منذ حداثة سنه بابلغ عباره وافصح لهجه فسر به والده سروراً لا يوصف ووجه اليه كل آماله دون اخيه الا انه توفي قبل ان يتمكن من اعداده للمناصب الكبيرة ولما توفي الاب ورثه اكبر اولاده حسب الشرائع الانجليزية وكان من نصيب وليم دخل قدره ثلثمائة جنيه انجليزي فقط على ان عزيمته لم تتكل عن الاعمال للوصول للغاية التي كانت نفسه تطمح اليها فقراء علم القوانين سنة ١٧٨٠ وما جاء شهر يونيه من تلك السنه الا وكان مقبولاً للمحاماة عن ارباب القضايا وهو في

العشرين من عمره . وعكف ايضاً على مطالعة ما يدور في البرلمان من الخطب واصدار الحكم العادل في نفسه على اقوال المتناظرين . وحدثت في ذلك العام انتخابات عموميه فاخذ يسعى لينال عضوية مدرسة كمبريدج التي تخرج منها ولكن المفوض اليهم أمر الانتخابات رأوه صغيراً عن مثل ذلك المنصب .

وبعد شهر من ذلك العهد اتيح له ما كان يطير اليه باجنحة المطامع والاماني بتعيينه في البارلمان نائباً عن احدى المقاطعات وذلك بعد ان اشتهر بقوة المعارضه وطول الحجه وطلاقة اللسان في المحاماه وظل من يوم دخوله البرلمان يترقب الفرص للكلام حتى اذا سنحت تسنم لاول مرة منبر الخطابة وهو في الواحد والعشرين من العمر فوقف بثبات جنان واقدام منتصراً لمذهب برك بشأن الاصلاح الاقتصادي وتدفق بالكلام البليغ الذي كان ينقاد له مسخراً حسب مقتضيات الاحوال واطال في خطابه واعضاء المجلس يصغون له بانتباه ويستوعبون اقواله باندهاش حتى اذا انتهى من المقال ادميت له الاكف تصفيقاً ومالت اليه اعناق العظماء عجباً وذاع صدى اقواله الرنانه بين قومه وقال وقتئذ اللورد نورث رئيس المجلس « كأن هذا الشاب ولد وزيراً وخطيباً » وقال « فوكس » وهو من اعظم عظماء البرلمان ان خطاب بيت يفضله على كل ما سمع لذلك الوقت . اما برك الذي انتصر له بيت فانه رفع صوته مندهشاً وقال ليس هذا فرعا من تلك الشجرة (يعني بالشجره اللورد شتام) بل هو الشجرة باكملها وقال احد اعضاء البرلمان لفوكس سيصير بيت من اعضاء البرلمان العظام فاجابه فوكس . بل هو الآن منهم وخلاصة

القول ان بيت عدّ من تلك الساعة من ابلغ الخطباء وكان خطابه الاول دليلا الى ما وصل اليه فذاع صيته وهو دون الثانية والعشرين من العمر

ولما تغيرت وزارة اللورد نورث في اوائل سنة ١٧٨٢ استدعى الملك جورج الثالث المركيز روكنهام وكلفه تأليف وزاره جديده فعرض هذا على بيت منصباً ثانوياً فيها فرفضه بدون تردد وصرح جلياً بانه لا يرضى الا المنصب الذي يعهد له سبيل الانتظام في مصاف الوزراء رغماً عن كونه لم يعرف في البرلمان الا منذ اشهر . ولعمري لو كان غيره في عمره ورفض مثل ذلك المنصب لعد معجباً بنفسه ولكنه بدا من بيت امراً طبيعياً وهكذا فانه طمح الى المعالي بسرعة واعجاب وآثر العزلة في تلك الوزارة ولم يتحزب لاحد الاحزاب وانما جنح الى نهج خطة عقلية تكسبه ميل العالم الانجليزي ورضاه عنه . فلم يخطب الا قليلا وفي امور مختلفة تلائم مصلحة الامه حتى بدا بها حراً اكثر من الاحرار مع كونه ولد من المحافظين الاشراف

ولما عهد زمام الوزارة الى اللورد شلبورن بعد موت روكنهام وكان انفصل عنه فوكس اصبح في حاجة الى خطيب مصقع ذي فكر ثاقب وحجة قويه يقاوم به معارضات نواب الامه . فعرض على بيت ذلك المنصب الخطير فقبله الا ان حياة تلك الوزارة لم تطل لما كان يتناوبها من المنازعات الشخصية .

ولما احس الملك جورج الرابع بدنو اجلها ظل يستدعي بيت مدة من الزمن ويعرض عليه الرئاسة الفعلية لاعتقاده انه فرد تفرد بالحكمة والذكاء وبعد النظر . فما كان من بيت الا ان اعتذر عن قبولها لاسباب كثيرة ولثقته انها لا بد ان تأته بمجردة اذيالها آجلاً او عاجلاً . واضطر وقتئذ الملك جورج

الى تأليف وزارة اخرى رئيسها الاسمي الدوق بورتلند ورئيسها الحقيقي فوكس فسعى هذا جهداً لدى بيت ليقنعه بالبقاء في وزارته ولكنه اعتزلها كما فعل في عهد وزارة روكنغهام واخذ يعرض الى البرلمان مشروعات الاصلاحات الجديدة وكلها لمصلحة الامة جعلت له مقاماً عظيماً في نفوسها ومكانةً في قلوبها الا ان بعضها لم يصادف قبولاً لدى البرلمان فخبأها في ضميره لمستقبل الايام .

ثم عمد لزيارة فرنسا لدرس احوال تلك المملكة والاطلاع على ما كانت تجهله معرفته فتعلم في سياحته لغة البلاد ونزل ضيفاً على ملكها وكان رجال البلاط واعاظم المملكة يتهافتون على التقرب منه والتكلم معه وهو يجيب الجميع بفصاحة وبداعة لا مثيل لها . وروى احد اصدقائه من الذين كانوا معه ان كثيراً من ربات الجمال الفرنساويات سعين ليجتذبنه اليهنّ برشاقة حركاتهنّ ولطفهنّ المعتاد ولكنهنّ خبن مسعى

ولما عاد الى انجلترا في شهر نوفمبر سنة ١٧٨٣ كان البرلمان يسعى لنزع سلطة شركة الهند عن تلك البلاد الواسعة الارجاء وفصلها ايضاً عن سلطة الملك نفسه وجعلها تابعة للبرلمان في كامل شروطها . فآنس بيت ان الملك والشعب متحدان على عدم تسليم تلك السلطة للبرلمان ولكنهما كانا عاجزين عن قضاء لبانتهما . فانبرى معترضاً على ذلك المشروع بفصاحة وحكمة كان يدخرها لمثل ذلك الحين . ثم اخذ يجتمع بالملك سراً ونصحه على ان يوعز الى بعض المقربين اليه بان يصرّح لكل وزير او عضو من اعضاء البرلمان أنّ من يقبل بمشروع فوكس يعده الملك عدوه الشخصي . فصادف هذا الطلب اذاناً صاغية وقلوباً واعية ورفض ذلك المشروع ولم ينفذ باغلبية الاصوات

وهكذا اجبر الملك الوزارة في اليوم الثاني الى الاستعفاء وقلد بيت زمامها وذلك في ١٨ دسمبر سنة ١٧٨٣ وليس له من العمر الا نحو اربعة وعشرين عاما

وهنا نترك للعقل مجالاً فسيحا ليتصور بقوة المخيله اقتدار شاب في زهرة الحيوة ونضارة الشبيبة في صدر محفل حافل كبرلمان لوندره ضم الشيوخ والامراء والحكماء والعلماء والعقلاء والخطباء الذين نبغوا في ايامه . وذاك الشاب في الصدر يعارض ويجادل في اهم المسائل . قيل انه خطب مرةً في استهلاك الدين العام فظل على المنبر نحو ست ساعات متوالية يتدفق بالكلام حتى ادهش السامعين وابكم المعترضين وهكذا انتصر على معارضيه بقوة الذكاء والفصاحة واصبح مقتدراً على استمالة الملك والامة كيف شاء

وكان من الد خصومه في البرلمان برك الخطيب الايرلندي الشهير والفيلسوف السياسي العظيم ولكن اخصمهم كان شارل فوكس ابن اللورد هولاند . وكان اللورد شتام والد بيت واللورد هولاند والد فوكس يرأسان الحزبين المتناظرين في انجلترا قبل ولديهما الا ان الاول كان يرأس الاشراف والثاني يرأس الاحرار فورثا عنهما عداوة المناظرة وكلاهما رغبا في ان تدوم الى الأبد بين عائلتيهما غير ان الادوار اختلفت وقتئذ فابن رئيس النبلاء تقلد رئاسة الاحرار وابن رئيس الاحرار تقلد رئاسة الاشراف وقد استمرت المناظره بين هذين البطلين مدة سبع عشرة سنه اي المدة التي تولى فيها بيت رئاسة الوزاره . وقد جمعت اقوالهما وخطبهما في اربعين مجلداً ضخماً هي موضوع اجلال واعتبار الامه الانجليزيه .

وشرع يسوس البلاد منذ تولى رئاسة وزارتها بهمة الشبان وحكمة الشيوخ ولبثت وزارته سبعة عشر عاما وهي اطول وزارة قامت في انكلترا ولما اصيب الملك جورج بالبله والجنون ظل قابضاً على زمام الاحكام يدير رحى السياسة بما فيه خير الامة حتى قالت وقتئذٍ انها لم تهنأ بالحرية الا في عهد جنون ملكها ووصفها احد مؤرخيها فقال انها كانت عبارة عن صورة بيت وهذا ما يعني به بعض المتشرعين من ان حكومة الشعب تظهر في صورة افراده فاحرِ بتاريخ حياة صاحب الترجمة واعماله ان يكون تاريخ الامة الانكليزية في ذلك العهد .

وكان اول شيء اهتم به اصلاح مالية بلاده لان خزينتها رزحت تحت اثقال الدين بما تحملته من نفقات حروب امريكا

ثم اصدر الاوامر بتخفيض رسوم الشاي فامتنع تهريبه وزاد دخل الحكومة منه واجاز لشركة الهند حق التمتع بحكم املاكها تحت مراقبة الحكومة فوطَّد دعائم سلطة الحكومة في تلك الاصقاع البعيدة . واستعمرت في عهده جزيرة سيلان وجزءاً من الولوك وحكومة الكاب ثم ضمَّ ايرلندا الى انكلترا ضماً وثيقاً والغى المجلس الخاص بالايرلنديين وضمه الى برلمان انكلترا حتى جعل البلاد مملكة واحدة عاصمتها لندن .

وفي عهده ظهرت الثورة الفرنساوية سنة ١٧٨٩ وثملت الحكومة الجمهورية الجديدة من الفوز الذي نالته فنشرت تعرض مساعدتها لكل امة ترغب في ان تنهج خطتها فاوجس بيت ان تصبح بلاده عرضة لنار الثورة فاتفق مع ملكه على استئصال روحها من البلاد عاجلا ولم يعد له من ذلك

العهد الا قصد واحد وهو محاربة فرنسا . وكان قد رفض ادخال انجلترا في اول معاهدة دولية ضدها فلما اشهر مجلس الكونفسيون الحرب على انكلترا وهولاندا اخذ يجاهر بوجوب المحاربة الى النهاية فألف ضد فرنسا ثلاث معاهدات متتالية حتى اوجدها في مركز حرج وتكللت كل مساعيه بأكمل نجاح وعادت بأعظم فائدة على بلاده

وقد اشتهر أيضاً بعداوته الشديدة لنابوليون بونابرت اذ كان في أبان مجده واقتداره فكان يهتف دائماً في البرلمان على ان نابوليون يحب الحروب ويسره ان يجري من الدم انهاراً في اواسط اوروبا وان الطمع هو المحرك الاول لكل اعماله ولبث يناوأه حتى أخمد سطوته

وقد رفض ما كان يعرضه عليه الملك من القاب الشرف والمال ومات مديناً بأربعين الف جنيه فاصلح مالية بلاده ولم يهتم باصلاح ماليته ولكن الخزنة الانكليزية دفعت ديونه عن طيبة خاطر وقيل ان احدى السيدات الانجليزيات اعجبت به وباعماله فاوصت له بعشرة آلاف جنيه واوصى له السير وليم بنسن بمال دخله السنوي ثلاثة آلاف جنيه لانه رأى ان بين حياتهما مشابهة شديدة

وقد اختار بيت العزوبية لئلا تصرفه العلائق الزوجية عن خدمة بلاده حتى انه لما عرض عليه بعضهم على ان يقترن بآية عصرها المداموزيل نيكر (التي صارت فيما بعد مدام دوستايل وهي الكاتبة الفرنساوية ذات الثروة الوافرة والجمال المفرط التي بثت روح الحرية في صدور قومها فنددت

بسياسة نابوليون حتى اوجس منها شراً وخاف من سياستها فنفاها الى سويسرا) لم يدع مجالاً لمحادثه معه في ذلك الشأن واجاب مبتسماً كفاني انني مقترن بانجلترا اقتراناً لا انفكاك منه

ومما يروى انه لما وافى الى انكلترا خبر انتصار الدونانمه الانجليزية في واقعة ترافلغار وكان هو الذي اشار بها وقلد الاميرال نلسون قيادة الاسطول فانتصر ذلك الانتصار العظيم سرّ الشعب الانجليزي سروراً لا يوصف واولم له المحافظ وليمة دعا اليها اكابر المملكه ولوردانها وعظماءها . ولما جاء الوقت المحدد ونزل ليركب المركبه المعده له على الباب اخذه الذهول اذ رأى جماهير الانجليز الغفيرة محتشدين صفوفاً والوفاً يحيّونه بالهتاف مسرورين ليحيى بيت . ليحيى مخلص انجلترا الحبيب وقد جر العربه رغماً عنه جياد القوم بدلاً من جياد الخيل ووصلوا به الى سراى المحافظ باحتفاء واجلال يذكر احتفالات الرومانيين بابطالهم .

ولما استقر به المقام قدّم له المحافظ كأساً من الخمر وشرب نخبه قائلاً : ادعوك بلسان حال الامه الانجليزيه بأسرها مخلص انجلترا الحبيب لان نجاة الامه كانت بك واليك يرجع أمر استتباب راحة اوروبا بل العالم بأسره وبحسن سياستك كانت سعادتنا فشكراً لك ثم شكرا

فاجاب بيت : بل الشكر لكم على ما تحبوني به من الاخلاص والشرف العظيم على انه لا فضل لي في ما فعلت بل الفضل انما هو لانجلترا بلادى التي انقذت نفسها من آفة الحرب فاقتدى بها العالم اجمع

ولم يهنأ بيت كثيراً بهذا النصر لان العلة كانت ألفت جسمه الرطيب

ولما شعر بدنو الأجل انتقل الى بيته القروي بقرب لوندرا لخضره وهو على فراش الموت المطران الذي كان استاذه في صغره وعرض عليه ان يشترك معه في الصلوة فقال اخاف ان اكون مثل الكثيرين الذين يهملون الواجب عليهم في حياتهم ولا يذكرونه الا عند آخر ساعة فهانا استسلم الى رحمة ربي وهو يفعل ما يريد واشترك بالصلوة مع الكاهن بكل خضوع وخشوع ثم قال : اذا كانت بلادي تعتقد اني خدمتها فلتهتم من بعدي بالنيابة عني بشأن بنات خالي بنات اللورد ستانهوب وطلب ان يعين لهن مرتباً سنوياً من الف الى الف وخمساية جنيه واسلم الروح وهو يذكرهن ويذكر بلاده في ٢٣ يناير سنة ١٨٠٦

واقيم مأتمه على نفقة الحكومة وشيد له ضريح في وستمنستر ثم تسابق خصومه في احيائه الى المجاهرة بعظيم امتنانهم لاعماله منهم فوكس فانه قال عنه . انه مع صغر سنه كان كاعظم عظيم حنكته تجارب الايام وقال انه ليندر وجود رجل يضارعه في عفته ونزاهته وانه كان بامكانه لو رنا بعينه يمنة او شمالا او لفظ لفظة ان يصبح من اكبر اغنياء الارض لانه كان قابضاً على مفاتيح ثروة المملكة وكنوزها لكنه اهتم باصلاح مالية بلاده واسعاد امته ولم يهتم بشأن نفسه بل مات وهو مدين . فوآسف القلب عليه وارحمة ربي على ضريحه .

وقد كتب الكتاب عن غرائب اعماله ما يملأ مجلدات كبيرة واتخذت حياته مثالاً يقتدي بها اعاظم الانكليز مدى الدهر .

« فوكس »

« Fox »

أحد مشاهير خطباء المملكة الانكليزية ورجالها العظام

ولد في لوندرا سنة ١٧٤٨ وتوفي سنة ١٨٠٦ ، وهو ثالث اولاد اللورد هولاند عدو اللورد شتام السياسي والد بليت ، وقد ورث الولدان كما ذكرنا العداوة السياسية عن والديهما الا ان فوكس لم يجد منه في صغره ما يدل لخصمه بيت من الادلة على ما وصل اليه في كبره . لكنه كان ممن سالمهم الدهر فاحرزوا من المكارم ما تنزع اليه النفوس الابية وتتمناه : النباهة ، والجمال والمال .

وكان يسر والده بحسن طلعته فجعله موضع حبه وأمل ان يجعله وريثه في مقامه من بعده فأوصى به معلميه ومرشديه بان لا يقتضوا منه طاعة عمياء ولذلك كانوا كثيراً ما يضطرون الى اطاعته اكثر مما كان يطيعهم فنشأ صبياً وهو لا يخاف زجراً ولا يحذر غضباً وشاباً مال مع نزق الصبا وغضارة الشبوبية فكان يتأنق في ملابسه تأنقاً يخرج به الى حد الزهو والبذخ حتى لم يستطع احد من ابناء البيوتات الكبيرة مجاراته وقتئذ في ملبسه وركوبه الجياد ولعبه وملاهيه . ولما استصحبه معه أبوه الى باريس وكان حراً في غدوه ورواحه تمكن منه الميل الى اللعب وتعذر عليه الانقطاع عنه طول حياته

واشتهر في آخر سنة اقامها في اكسفورد بالميل الى الخطابة وفصاحة اللسان ثم زايل هذه المدرسة بعد امتحان باهر لم يكن ينتظر ممن قضى اكثر

اوقاته في اللهو واللعب .

ثم ساح في عواصم اوروبا بناء على رغبة والده فانفق في سياحته كاعظم الاغنياء حتى اضطر والده ان يستقدمه اليه اذ بلغه انه انفق وهو في نابولي كل ما كان معه وبلغ دينه ستة عشر الف جنيه .

ولما عاد الى انكلترا في سنة ١٧٦٨ استنابته بعض المقاطعات نائباً عنها وظل من ذلك العهد يتقلب في المناصب الكبيرة حتى توفي والده وكان قد دفع ديونه التي بلغت (١٤٠٠٠٠) جنيه فاضاع نصف الميراث الذي تركه له في اقرب وقت في اللعب واقتناء الخيول وكل انواع الترف

وبدأت شهرته في الخطابة منذ تصدى لمعارضة اللورد نورث رئيس الوزارة فحرم من المنصب السامي الذي كان يتولاه فاشتدت فيه الاميال الى مقاومته واقدم على مصادرته بقلب من حديد وشهر اعماله وبين ما كان في خطته السياسيه من الخطأ والخلط وقال مرة في حرب المستعمرات الاميركية عبارة لا تزال مأثورة عنه الى الآن . وهي : « ان الاسكندر الاكبر لم يفتح من البلاد في حروبه كلها بقدر ما اضاع نورث في حرب واحد .

وما زال يرشق بأسهم بلاغته تلك الوزارة حتى قوض اركانها وقضى عليها في ١٧٨٢ وتلتها وزارة اللورد بكنهام فتولى فيها فوكس زمام الامور الخارجية واكتسب ميل الشعب وحبه بما اتاه وقتئذ من ضروب الاصلاح وتوفي بكنهام بعد وقت قريب فأسندت الوزارة من بعده الى بيت

فقام الخصام بينه وبين فوكس وظلا على طرفي نقيض في اكثر المسائل سيما فيما يتعلق بعداوة فرنسا ومحاربة نابوليون واستمر بينهما النضال مدة

السبعة عشر عاماً التي تولى فيها بيت الوزارة حتى توفي سنة ١٨٠٦ فخلفه فيها وكانت اول مساعيه تحسين العلائق بين انكلترا وفرنسا ولكنه توفي وهو آخذ في ذلك .

وكانت بلاغة خطبه وفصاحته تختلب الالباب لم يقدر احد سواه على مناضلة بيت والاخذ معه في اساليب الجدل وقد جمعت هذه المناظرات في اربعين مجلداً كبيراً كما ذكرنا في ترجمة بيت

وقد اسف نابوليون على موته كثيراً وقال : ان موت فوكس كانت من طوالع النحس عليَّ . وقد شبه المؤرخون بدموستين انكلترا كما شبهوا بيت شيشرون

بالمرستون

Palmerston

هو من مشاهير وزراء الانكليز وكبار رجال السياسة

ولد في العشرين من شهر اكتوبر سنة ١٧٨٤ في بيت قديم عريق في المجد يتصل نسبه بوليم الظافر وتلقى دروسه الابتدائيه في مدرسة هارو مع كثير من نوابغ الرجال مثل بيرون وابردين وروبرت بيل الخ ثم اتم دروسه العاليه في كلية كمبريدج الشهيرة وتركها وله من العمر احدى وعشرون سنه واخذ يسعى لينال عضوية مجلس النواب ولكنه خاب اولاً في سعيه ونال فقط العضوية في مجلس العموم فوقف خطيباً مراراً واعجب السامعين بفصاحته وطلاقة لسانه حتى اشتهر امره ونال العضوية التي كان يطلبها في وقت قريب وظل نائباً عن مدرسة كمبريدج الى سنة ١٨٣٠

ودخل لاول مرة في خدمات الحكومة سنة ١٨٠٧ وعين في منصب عال في وزارة اللورد بورتلند ثم عين سنة ١٨٠٩ كاتم اسرار نظارة الحربيه وظل في هذا المنصب الى سنة ١٨٢٨ وكان يخطب في هذه الاثناء في البرلمان الخطب الرنانة معضداً اعتاق الكاثوليك ومجاهراً بعبادة الحرة • ولما توفي الوزير كانين استعفى من منصبه وعكف على درس السياسة الخارجيه وعلاقة انكلترا مع ممالك الارض عموماً فاستوعب في وقت قريب كل ما يهم معرفته وشرع يوالي الخطب النفيسه منددا بسياسة الوزير ولنتون الشهير لرغبته في التقرب من الحكومات المطلقة والتباعد عن موالاة الحكومات

الدستورية فقام لمبادئه هذه كثير من المعترضين ولكنها اظهرت فضله المظيم واعدت له رئاسة نظارة الخارجيه في وزارة جري وملبورن وبقى متقلداً زمامها الى سنة ١٨٣٥ وعضد بلجيكا بسمو مداركه وفصاحته وساعدها على استقلالها الذي نالته بمعاهدة فينا وهذه حسنه يحفظها له التاريخ الى الابد ويشكره عليها البلجيكيون

وفي مدة وزارته شغلت المسأله الشرقيه ممالك اوروبا حتى كادت تتشب نار الحرب بسببها وعظم وقتئذٍ شأن المغفور له محمد علي باشا حتى شق عصا الطاعه على الباب العالي كما هو معلوم وتقرّب من فرنسا مما جعل لهذه المملكه شأناً ونفوذاً في الديار المصرية فعظم قلق بامرستون من ذلك وكان ينظر من وجه اخر بعين الناقد البصير الى نفوذ الروسيا في الاستانه العليه وكان شديد الحزم غير هياب في المسائل الخارجية فبذل جهده لهدم نفوذ هاتين الدولتين في تلك الانحاء فطلبت انكلترا بناء على الحاحه في مشورته من الحكومة الفرنساوية اتحاد اسطولها ومهاجمة الدردنيل والاستيلاء عليه قبل الروسيا فرفضت فرنسا هذا الطلب واوجس بامرستون من عاقبة هذا الفشل وحذر أن يستمد الباب العالي مساعدة الروسيا في بعض الامور ولذلك اسرع فعرض عليه كل مدد ومعونة لمقاومة محمد علي باشا والى مصر ثمَّ اخذ يسعى جهده حتى احيا في فينا وسان بطرسبورج العلاقات التي حلت عراها بعض الوزارت قبله فنجم عن هذا السعي الاتحاد الرباعي الذي تمَّ اتفاقه في لوندرا في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انكلترا والروسيا والمانيا وهكذا انتقم بامرستون اشد الانتقام من الحكومة الفرنساوية بحمله على عزلتها عن

اتحاد دول كانت احرى بصداقتهن من انكلترا

ثم سعى بحسن تدبيره واصالة رأيه على تأييد سطوة انكلترا في الشرق بتوسطها في كل الامور وفي قوانين الممالك بما يلائم مصلحتها حتى حصلت على الكلمة النافذة والسطوة النافذة لدى دول الارض عموماً

وقد اعلت سياسته هذه مقامه لدى الشعب وعظمت مكانته في القلوب وذاعت شهرته في الآفاق وبقي متقلداً زمام الامور الخارجيه حتى استقال سنة ١٨٥١ ثم تعين ناظراً للداخليه فاتمّ اصلاحات شتى حتى تقلدّ زمام الاحكام واصبح كبير الوزراء راضياً عن الامة والامة راضية عنه الى ان حدث ما اضطره الى الاستعفاء فرجع الى الوزارة سنة ١٨٥٩ وبقي فيها الى آخر حياته يدير شؤونها بحمية ونشاط لا مثيل لهما

وكانت قواه الجسديه الى ذلك الحين تضاهي قواه العقلية ودفن في دير وستمنستر سنة ١٨٦٥ واقيم له تمثال في رمزي وآخر في لوندن تخليداً لذكره لما كان له من الايادي البيضاء على انكلترا في الداخل والخارج وقد ترك مؤلفات كثيرة من رسائل وخطب نفيسه نشرت بعد وفاته

« دزرائيلي »

« Disraeli »

هو بنيامين دزرائيلي اول ﻟﻮﺭﺩ بيكونسفيلد وزير انكلترا الشهير والمؤلف الكبير ولد سنة ١٨٠٥ من اب يهودي كان مشهوراً فنشأ تحت ظله وتلقى العلوم على مدرسين خصوصيين ودرس فن المحاماة في مكتب محام شهير صديق والده وهو دون التاسعة عشر من العمر . وكان ولوعاً بالأدب كلفاً بالدرس والطلب فغادر المحاماة بعد القليل من الزمن ونشر رواية تعرف بفيفيان غراي وصف فيها نفسه وكثيرين ممن اشتهروا في عالم الانكليز في ذلك الحين وقد اودع صفحاتها الرقة والانسجام فأعجب به بنو جلدته وحسن وقع روايته في اوروبا فترجمت الى اكثر لغاتها . وساح سنة ١٨٢٩ في ايتاليا فاليونان فالبانيا فمصر فالحبشة فسوريا وعاد الى انكلترا سنة ١٨٣١ فنشر رواية ضمنها ذكر البلاد التي رآها وعادات اهلها واخلاقهم فعظمت شهرته ونزعت نفسه الى الاستئثار بمنصب في المجلس الأعلى فحاول الوصول اليه كثيراً ولكنه صادف فشلاً فاستأنف تحرير الروايات والف منها عدة احدها رواية « الروي » وهي شرقية الموضوع وغاية في بلاغة عباراتها وانسجام كلامها وصف بها اميرا من بيت داوود ادّعى في القرن الثاني عشر انه المسيح وسافر الى بلاد فارس وقد ظهرت هذه الرواية سنة ١٨٣٣ وتلتها رواية اخرى عنوانها ثورة « اسكندر » قصد بها اسكندر بك الصربي الذي عصا الدولة العلية في القرن الخامس عشر . واتبع هذه الرواية برسالة سياسية عنوانها « من هو » اوضح

فيها آرائه السياسية وكان ينشر في ذلك الوقت شذرات في السياسة كان الاقبال عليها عظيماً

وفي سنة ١٨٣٧ نال ما كان يتمنى من تعيينه في البرلمان نائباً عن مقاطعة ميدستن . ولما رقي منبر الخطابة وخطب في الاعضاء خطبته الاولى باغته اكثرهم بالصفير والاستهجان وضحكوا على كلامه فاسرع باتمام خطبته ونزل عن المنبر وهو يقول : اني لا اعجب من المقابلة التي صادفتها منكم الآن فقد شرعت في امور كثيرة وبالمزاولة نجحت فيها وسوف يأتي زمن تتسآءلون مني الخطب فتصغون لي وكلكم آذان

وقد كانت جملته هذه اشبه بنبوة عن مستقبله ففي سنة ١٨٣٩ خطب خطاباً انيقاً ادميت له الاكف تصفيقاً فاعجب له النواب وتحول ضحكهم منه الى احترام له وعقد في تلك السنة قراناً سعيداً على ارملة « وندهام لويس » الشهيرة بثروتها الطائلة وجمالها الفتان

واخذ يترقى الى ذرى المجد ويصعد الى مدارج الرئاسة حتى صار عام سنة ١٨٤٩ زعيم حزب المحافظين وفي وزارة دربي سنة ١٨٥٢ وجهت اليه عضوية المجلس الخاص ونظارة الماليه ولما استقال دربي تربع في دست الوزارة الانكليزية ثم عرض خلاف بين الوزراء واعضاء المجلس فانحلت وزارته وخلفه المستر غلادستون .

ونشر سنة ١٨٧٠ رواية عنوانها « لوثير » وهي ذات مغاز سياسيه دينيه ضد رهبنة اليسوعيين راجت اعظم رواج وبيع منها في الولايات المتحدة وحدها ٨٠ الف نسخة

وعاد بيكونسفيلد للوزارة سنة ١٨٧٤ بفوز حزب المحافظين وظل يتولى الرئاسة الى ١٨٨٠ حيث كان الفوز للاحرار تخلفه المستر غلادستون زعيمهم ومرض في السنة التالية مرضاً عضالاً كان سبب منيته

وكانت حياته من اغرب حياة الرجال العظام في تاريخ المملكة الانكليزية فانه رقي مراقي السؤدد والمجد ومثل في مشاهد سياسة مملكة هي اعظم الممالك الحديثة ادواراً اذاعت صيته واعلت شأنه فصار قادراً بكلامه على تحريك الدنيا باسرها فنال ما ناله بجده وحزمه وكان اصحاب المطابع ينقدونه ثمن الكتاب الواحد عشرة آلاف جنيه فيطبعونه على نفقتهم ويربحون منه الاموال الوافرة ٠

وكان من همه تأييد الدولة العلية وحفظ مصالحها واملاكها ٠ وقد ابتاع اسهم ترعة السويس فجعل بذلك لانكلترا شأناً عظيماً في الديار المصرية

« غلادستون »

« Gladestone »

السياسي المحنك الشهير والخطيب المصقع والعالم العامل والكاتب البليغ نصير الحرية والانسانية وزعيم الاحرار والاصلاح واعظم رجال القرن التاسع عشر المستر وليم اوارت غلادستون

ولد في التاسع والعشرين من شهر دسمبر سنة ١٨٠٩ بلفربول من عائلة اسكتلندية عريقة في الثروة والشرف وكان ابوه من مشاهير التجار ومن اعضاء البرلمان فلم يفطم حتى ظهرت عليه مخائل النجابة واثرت فيه مؤثرات التربية الحسنة ولما ترعرع ارسله ابوه الى مدرسة اكسفورد الشهيرة فتلقى فيها العلوم واشتهر بالذكاء المفرط وقوة العارضة والبلاغة في الخطابة وطلاقة اللسان تلك الوسائط المقلية التي آلت الى ارتقائه مراقي السودد والمجد ولم يبلغ الثالثة والعشرين من العمر حتى انتخب عضواً من المحافظين واشار في اول خطبة القاها الى وجوب تحرير الارقاء تدريجاً والغاء النخاسة شيئاً فشيئاً ودافع عن والده الذي اتهم بامتهان العبيد لما كان له من الاملاك الواسعة في الهند فلم يترك في خطابه لاحد مقالاً ولا ابقى لناقد مجالاً فظهرت هناك نجابته وعرفت في الخطابة فصاحته واشتهر بتوقد ذهنه وسداد رأيه حتى عرف ذوو النهي قدره فقلدوه منصباً في الخزينة سنة ١٨٣٤ ورقي في السنة التالية الى منصب اعلى منه في وزارة المستعمرات وفي سنة ١٨٤١ عين نائب رئيس لديوان التجارة وهو اول منصب تولاه في حكم الملكة فكتوريا ثم

رقي الى منصب الرئاسة ولم يلبث فيه الا القليل حتى انتخبته مدرسة اكسفورد الجامعة نائباً عنها في مجلس الاعيان وزار نابولي سنة ١٨٥٠ ورأى الفظائع التي كانت تجري في سجونها فوصفها بعد عوده الى لوندرا بالخطب البليغة التي اهتزت لها اوروبا كلها فطبقت شهرته اطرافها واشتهر من ذلك العهد بالشفقة والرأفة على الانسان ثم انعزل عن جماعة المحافظين واخذ يحرر للجرائد الفصول السياسية الحرة وانضم الى جماعة الاحرار وشرع في الدفاع عنهم بخطب رنانة اطارت شهرته في البلاد حتى عُدّ من ابلغ الخطباء وبدأ من ذلك الحين النضال بينه وبين دزرائيلي الشهير ودام اربعاً وعشرين سنة بلا انصرام

ولما اسندت رئاسة الوزارة الى اللورد بامرستون عين وكيلاً للمالية ثم رئيساً لمجلس النواب في وزارة اللورد رسل واهتم بعد توليه هذا المنصب بانقاذ ايرلندا مما كانت فيه من الضيق ولما تغيرت الوزارة ١٨٦٩ واعيدت الانتخابات كان الفوز فيها للاحرار فالوا اليه بعد رئيسهم المتوفي واتخذوه زعيماً لهم وجرى على السياسة الحرة التي نوّه بها مراراً وحفظ العهد ورضيت الامة عنه

واتسع في ايام وزارته نطاق الاصلاح في انجلترا عموماً وفي ايرلندا خصوصاً وقد الف الوزارة اربع مرات وحدثت الثورة العرابية في اثنائها سنة ١٨٨٠ واحتل الانكليز مصر وكان هو اول منادٍ بوجوب جلائهم عنها آجلاً او عاجلاً وهو الوحيد الذي اشتهر بميله الى منح ايرلندا حريتها واعطائها بعض ما تريد من الاستقلال الاداري وقد ساء طلبه هذا بعض اعوانه من مشاهير الاحرار فانفصلوا عنه واتفقوا مع المحافظين على اسقاط

وزارته .

ولو كان غيره نطق بما رغب في تنفيذه لعدَّ خائناً للمملكة والمصلحة العمومية بيد ان ثقة الشعب الانكليزي بخلوص نيته واعتبارهم الشديد له جعله يفوز بالعود الى الوزارة سنة ١٨٩٢ وهي المرة الرابعة وفي اول مارس سنة ١٨٩٤ خطب خطبته الاخيرة في مجلس النواب ثمَّ استقال من منصبه الخطير لضعفه وتقدمه في السن ولانه اصيب بعينه فعملت له فيهما عملية بالكتركتا وقد اهتزَّ الانكليز لاستعفائه وسيبقى ذكره مخلداً الى الابد

وقد كان واسع الاطلاع بسياسة الممالك المختلفة بصيراً بامور السياسة الداخلية شديد الحب لوطنه انفق العمر في خدمته مقدماً مجتهداً ملتهباً حمية وغيرة وقد اطبق عظماء الارض على انه لم يفقه احد في الخطابة والجدل فهو الخطيب الذي كانت تهتز له المنابر ويذيع البرق صدى اقواله الرنانة فيهتز لها الملاحم ويأتيه الخطاب مسخراً وينقاد له القول البليغ مذللاً فيتكلم ساعات بلا تردد

وكان نصير الانسانية وملاذ كل امة مظلومة ومآثره الغراء على اليونان والبلغار والارمن والارلنديين اشهر من ان تذكر وكلها تشهد جلياً انه لم يقم بين اعاظم رجال الانكليز من هو اشد اشفاقاً منه على الانسان

ومما هو خليق بالذكر انه كان شديد العداوة للدولة العلية خطب ضدها الخطب الرنانة وربى في قلوب الشعب الانكليزي بغضاً شديداً لها وربما كان مبالغاً في بعض اقواله عنها لفرط تأثره بما كان يترامى اليه من اخبار الارمن وغيرهم وكان شديد الاعراض عن مظاهر الفخر والتباهي بالقصور

العظيمه والثروة الطائلة مثل اكابر الانكليز فقد عرضت عليه الملكة فكتوريا عدة رتب عاليه منها لقب لورد اوف ليفربول فاعتذر وامتنع عن قبولها ورغب في ان يكون لقبه فقط مستر تشلاً بعامة الشعب الذي قام بنصرته

ومن مزاياه انه كان حسن الخلق والخلق اذا كلف الحكم في امر حكم فيه حكماً عادلاً ولو كان مرجع ذاك الحكم على نفسه وقد زاول بعد تركه الوزارة على الاشغال العلية والكتابات الجدليه في الجرائد الشهيرة مناظراً اكابر العلماء والمشهور عنه انه كان شديد الحرص على صحته كثير التمسك بنظام معيشته لا يخل بها وكان يتنزه بالرياضه في حديقته او بتنظيم الكتب في مكتبته ويتابع كل مؤلف جديد يظهر في عالم الوجود ولا يضيع لحظة من وقته بغير العمل بها بحكمة الشيوخ ونشاط الشبان واذا استلقى على فراشه ينام على الفور وكان يقرأ دائماً اربعة كتب انتخبها من زمن مديد فصار يرتاح لقراءتها ووافقت ذوقه ومشربه وهي كتاب ارسطاطاليس وكتاب القديس اوغسطينوس ودنت والاسقف بتلر ويقال ان هذه الكتب أثرت في اخلاقه تأثيراً بيناً حسناً وكان له اطلاع واسع ومعرفة فائقة في اللغة اللاتينية واليونانية القديمة والعبرانية وقد اتقن من اللغات الحديثه الافرنسيه والايطاليه والاسبانية واليونانية الحديثه والالمانية

وتوفي سنة ٩٨ فاحدثت وفاته رنة حزن واسى في قلوب الامة الانكليزيه باسرها واقيم له مشهد فخيم على نفقة الحكومة وارسل جميع ملوك الارض رسائل التعزية الى اسرته . وذكرته جرائد العالم بثناء لم يذكر بمثله رجل في القرن التاسع العشر .

« سلسبري »

« Salisburry »

هو الرجل العظيم القدر الرائع الصيت زعيم حزب الاحرار ومدبر حركة السياسة الانكليزية ورئيس وزارتها عند وضع هذا الكتاب

وهو روبرت ارثر تلبث غسكوين سسل مركيز سلسبري . ولد في الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٨٣٠ في بيت سسل الشهير العريق في المجد والشرف وتلقى العلوم في مدرسة اكسفورد الشهيرة وكان ميالاً من صغره الى العلوم الرياضيه والطبيعيه اكثر من غيرها فبلغ فيها المقام الاعلى ولما خرج من المدرسة وجد نفسه في ضيق من العيش تأبى سمو مداركه البقاء عليه لان والده لم يكن يسمح له بغير القليل من المال فشرع يحرر الى الجرائد المقالات النفيسة ويأخذ اجرته عليها ثم سار على وجهه يطوف البلدان وزار الشرق والغرب وساح في امريكا واوستراليا فلقي مر العيش في سفره ثم عاد الى وطنه وهو شديد الاهتمام بأمر مستقبله فانتخبته احدى الولايات نائباً عنها ودخل مجلس النواب سنة ١٨٥٤ وبدأ يشتغل بالسياسة وهو في الرابعة والعشرين من العمر وكان اول خطاب القاه بشأن مدرسة كسفورد التي تخرج منها فاختلب الالباب بفصاحته وقوة برهانه واعجب به السامعون ونهض غلادستون من منصبه واقبل عليه وهنأه ومدحه مدحاً جميلاً وبشره بمستقبل عظيم

ولما توفي اخوه الاكبر آل اليه لقب فيكونت كرنبورن وعين سنة ١٨٦٦ وزيراً

للهند فاشتهر بمزيد الخبرة وقوة العارضة والاقدام على الامور ولكنه لم يلبث في هذا المنصب حيناً من الزمن حتى وقع الخلاف بينه وبين زملائه على بعض الامور فاستقال منه واتفق ان توفي والده في تلك السنه فانتقل اليه لقب مركيز سلسبوري مع ثروة عظيمة وصار في مصاف الاعيان

ولما تعين دزرائيلي على رئاسة المحافظين سلمه زمام الوزارة الخارجيه فاخذ يدير زمام السياسة بحزم ودراية حتى اذا مات دزرائيلي انتخب بدله زعيماً لحزب المحافظين

ولما خذل الاحرار سنة ١٨٨٥ دعته الملكة فيكتوريا لتأليف وزارة المحافظين برئاسته فألفها واستلم هو زمام الامور الخارجيه ولكن وزارته هذه لم تطل كثيراً لان الانتخابات العمومية التي حصلت وقتئذ رجحت النصر لجانب الاحرار فساد غلادستون ثم سقطت وزارته لميلها الى استقلال ايرلندا فدعت الملكة ثانية اللورد سالسبوري لتشكيل الوزارة فشكلها عام ١٨٨٦ وظلت ستة اعوام وحدث في اثناءها عيد الخمسين سنه لجلالة الملكة وزارته في قصره وهذا فخر عند الانكليز قلما يناله احد ثم سقطت وزارته سنة ١٨٩٢ فخلفه غلادستون ثم روزبري وعادت اليه في صيف سنة ١٨٩٥ فنال في هذه الانتخابات ظفراً مبيناً لم يحصل عليه وزير في اوروبا وخرج باكثرية لم يفز بها احد قبله وكان لرجوعه دوي عظيم ووقع حسن عند جميع الدول الاوروبية وذلك لما له من المقام الرفيع والنفوذ الكبير وهو معروف لدى الجميع بانه واسع الاطلاع طويل الباع لا سيما في المسائل الخارجية وهو اول المتعصبين الآن في الشرق واول المساعدين للارمن

والسلافيين واليونان على الاستقلال عن حكم الدولة العلية وهو كثير البحث في العلوم الطبيعية سيما فيما يتعلق بالكهربائية وقد حاز فيها شهرة تقرب من شهرته في السياسة وله خطب نفيسة ورسالة علمية وسياسية وله مقالات علمية كثيرة يحررها وقت الفراغ

وهو ضخم الجسم عريض الكتفين اسود الشعر كثيف اللحية

ومما يستحق الذكر من اعماله في هذه المدة سياسته مع فرنسا في مسألة فشودة التي قامت بسبب مسألة وادي النيل فانه مال الى الفرنساويين في اول الامر ولكن زملاؤه اضطروه الى التشديد وكادت تنشب الحرب بين الدولتين لولا جلاء الفرنساويين عن فشودة . ولكنه بعد ان ضربهم تلك الضربة السياسية عقد اتفاقاً افاد دولته كثيراً وانال الفرنسويين اكثر مما كانوا يؤملون



« روزبري »

« Rasehery »

هو نابغة من رجال السياسة في البلاد الانكليزية ومن آيات البلاغة والنباهة والعزم والاقدام

ولد في ٧ مايو سنة ١٨٤٧ بلوندرا في بيت نبالة وشرف وهذب اكمل تهذيب وربي احسن تربية في مدرسة اتون وفي كلية اكسفورد

ودخل مجلس الاعيان بعد موت جده وابيه وكان لا يتجاوز الواحد والعشرين من العمر فعرف بطلاقة اللسان في الخطابة واشتهر بسمو مداركه مع صغر سنه واشتهر عنه انه تمنى وقتئذ لو انقادت له امور ثلاثة اولاً ان يصير غنياً وثانياً ان يفوز جواده في رهان دربي المشهور وثالثاً ان يصير رئيساً للوزارة الانكليزية

وبدأ يترقى في مدارج المجد حتى انتخب في شهر اغسطس سنة ١٨٨١ وكيلاً لنظارة الداخلية وبقي متقلداً هذا المنصب الى شهر يونيه سنة ١٨٨٣ ثم انتخب في السنة التالية ناظراً لنظارة الاشغال وكان شديد الميل الى حزب الاحرار فاعتنق مبادئهم واخذ يجاهد في الجدال والنضال معهم حتى اشتهر امره وعين في وزارة المستر غلادستون وزيراً لنظارة الخارجية

ثم اقترن بابنة روتشيلد فاخذ معها الثروة الطائلة وكان مهرها يبلغ ٣ ملايين من الجنيهات الانجليزيه ثم فاز جواده في رهان دربي ولحظه التوفيق فنال من الانتخابات بعد انعزال غلادستون مانال جواده من الفوز في السباق

وجعل زعيماً لحزب الاحرار ورئيساً للوزارة الحرة مع حداثة سنه لانه لم يتجاوز الواحد والاربعين من عمره . وهكذا قد نال ما تمنى ولم يعد له من بعد هذا المنصب مطمع لامنية

وهو موافق حزب المحافظين فيما يختص بالمسائل الخارجية و لكنه شديد الاهتمام لان يضع حداً لسلطتهم وهو يزعم ان مثله في ذلك كمثل بطل يهاجم معقلاً حصيناً وانه بقوة غريبة سيصدم ذلك الحصن صدمة تدك اسسه وسمع دوي سقوطه في انحاء العالم

وهو سمح البديهة قوي المعارضة كثير التأمل صعب المراس لا يضحك الا قليلاً شديد الولع بالخيل والسباق نابغة في الدهاء والذكاء واصالة الرأي ذو فصاحة لا يتكلفها وهو ينوي التدابير العظيمة لمستقبل الايام وقد قال عنه أكبر رجال العالم ان امره سيكون عظيما بين الانام

وقد اظهر الاقتدار الغريب في الامور الكثيرة التي عرضت في ايامه منها مسائل مصر ومسألة الحرب في الشرق وله حسنات كثيرة يذكرها له التاريخ الى الابد وهو اول من اعطى الرتب الرفيعة والنياشين لرجال العلم وكبار المؤلفين والممثلين

وهو اعظم كبار الانكليز استعدادا لارضاء الاحزاب المختلفة فقد اقنع هذه الاحزاب بان سياسة الانكليز مع غيرهم يلزم ان تكون واحدة مهما كان نوعها .



تشمبرلن وزير المستعمرات الانكليزية

* *

وقفنا على هذا الحد في تراجم نوابغ الانكليز الذين بعدت شهرتهم وذاع صيتهم في السياسة والخطابة . ذكرناهم ونحن على يقين بأنه ظهر في البلاد الانكليزية غيرهم ممن يجل الانكليز قدرهم ويفتخرون بهم . وما حملنا على الاكتفاء بمن تقدم الا اعتقادنا بانهم كافون لان يكونوا عنوان الوطنية الانكليزية وقدوة رجال السياسة والخطابة .

هذا وان من الذين يردد الانكليز ذكراهم بكل تجلة واحترام . وليول . وكانين . وشريدن . وهيسكيسون . وبروم . وجري . وملبون . وبيل . وابردين . ورسل . ودربي . الخ .

اما كبار الانكليز العصريون الذين ذاعت شهرتهم وعظمت مكانتهم فكثيرون منهم . بلفور وهو خليفة سالسبري على رئاسة المحافظين وقائدهم الآن في مجلس النواب . واللورد رندلف تشرشل . وهو من فحول الخطباء واشهر المحافظين . والمستر تشامبرلين وهو اهم اعضاء الاحرار المعتدلين وقائدهم في مجلس النواب ووزير المستعمرات

« اللورد كليف »

« Lord Clive »

هو البطل الهمام ، واضع اساس السلطنة الانكليزية في الهند ،

ولد في سنة ١٧٢٥ من عائلة متوسطة الحال وارسل الى مدارس كثيرة كان فيها مثال الشقاوة وعنوان الكسل ، يروى عنه نوادر كثيرة منها انه كان ينظم اقرانه كالجيش ويسير بقربهم معجباً بقده وحسن بنيته كالقائد الذاهب الى حومة الوغى فيلزم اصحاب الحوانيت أن يقدموا لهم الهدايا ليأمنوا على ابواب حوانيتهم وشبابيكها من الكسر وقد ادهش معلميه بما كان يأتيه من التفنن في الشقاوة حتى قال عنه بعضهم : إن شأنه سيكون عظيماً في مستقبل الايام ،

وكان الكل يشكونه الى اهله حتى دفعوهم الى اليأس من نجاحه وفلاحه فارتأوا ان يخلصوا منه بالحاقه بوظيفة كاتب في شركة الهند التجارية الشرقيه ،

وهكذا ابعدوه عنهم صبياً الى تلك الاصقاع البعيدة فظل المركب الذي كان مسافراً فيه عدة اشهر في البرازيل تعلم في اثنائها بعض الشيء من اللغة البورتوغالية وانفق المال الذي كان معه ولم يصل الى الهند الا بعد سنة من خروجه من انكلترا وقد رأى فيها اهوالاً كثيرة ،

وكان مركز الشركة في مدراس فحصل قبل خروجه من انكلترا على توصية لتاجر فيها ولكنه لما وصلها كان ذلك الرجل قد عاد الى انكلترا فأبت عليه كبرياؤه التقرب من غيره فصرف اشهراً ينام في محل حقير ولا يعرف

ابداً ولا يتناول الا راتباً قليلاً لم يكن ليكفيه حتى وقع تحت اثقال الدين وأثر طقس البلاد في صحته وصار يتقلب على حالة من شظف العيش وتولدت فيه الشوق الى بلاده فكتب لأهله وكرر لهم قوله « آه لو رجعت يوماً الى مانشستر حيث منتهى آمالي ورغبتي » .

وما زال يردف اليهم الرسالة بالرسالة ولا ينال جواباً حتى اذا يئس لجأ الى مكتبة الحاكم يصرف فيها ساعات الفراغ بالمطالعة حتى تولد عنده بعض الميل الى العلم والدرس .

على ان الدرس والفقر والشوق الى الاوطان وتأثير الطقس كل هذه الطوارئ الجديدة لم تكن لتخفض من كبريائه او تلطف من عتوه بل ظل كما كان يصارع ويبارز ويعامل رؤساءه كما كان يعامل معلميه حتى تهددوه بالطرد .

وقد أدى به القنوط الى البطش بنفسه ولكن الغدارة خانته مرتين ولما أعدها في المرة الثالثة وصوبها الى صدره لمع امام عينيه بارقة أمل فتأمل هنيهة وقال : اشعر بأني أعددت لاعمال كثيرة فلماذا أعدم نفسي ثم رمى الغدارة ولعبت به الآمال وصار يجس بها في عالم الخيال .

وحدث وقتئذ ما مهد له سبيلاً للعمل غير فحص الرزم وتقييدها ذلك ان لا بوردونا حاكم المورتيوس حمل بجيشه على مدراس ثم حاصرها ودخلها والقى القبض على حاكمها وعلى نفر من وجوه المدينة ورجال الشركة الانكليزية وضبط مخازنهم دية للمتمصرين فالتجأ كليف بنفسه الى حصن القديس داوود من الاماكن الخاضعة للانكليز . وكان وقتئذ في الحادي والعشرين من عمره فانتظم في العسكرية تحت رئاسة الماجور لورنس

الانكليزي ولما تقلد سيف الجندية وجد لاقدامه مجالاً وبدت منه شجاعة في المناوشات التي كانت تقع بين الافرنسيس والانكليز لم تنتظر ممن كان في سنه حتى دهش به لورنس وقربه منه وظل معه بضع اشهر الى ان تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا وبموجبه اضطر دوبلكس الى اعادة مدراس للقومبانية الانكليزية فعاد اليها كليف وظل ينتقل من الاعمال العسكرية الى الاعمال التجارية حتى عين وهو في الخامسة والعشرين من العمر بوظيفة ضابط ملاحظ في الشركة .

ولما جاءت سنة ١٧٤٨ كانت رايات الفرنسيس تخفق في اكثر انحاء الهند ونفوذ دوبلكس يمتد شيئاً فشيئاً بغياب لورنس في بريطانيا حتى صارت له الكلمة النافذة في تعيين الحكام وعزلهم وكان كليف ينظر الى ذلك ويتميز غيظاً فجمع حواليه زملائه واعوانه وعرض عليهم السعي في اماتة سلطة الفرنسيس وكسر شوكتهم فوافقوه على ذلك واتحدوا مع اعداء الامراء الذين تحالفوا معهم والف اولاً كليف من مائتي انكليزي وثلثمائة هندي جيشاً تولى قيادته مع ثمانية من التجار اعجبوا بنشاطه واقتدوا به . وزحف بهذا الجيش القليل العدد على اركوت قصبة كارانتيك في وقت شديد الزوابع كثير العواصف وافتتح المدينة وهزم المدافعين عنها وبينما كان آخذاً في تحصينها تجمع من الجهات المجاورة عدد لا يقل عن ثلاثة آلاف مقاتل واحاطوا بالمدينة للهجوم عليها إلاّ انه صبر عليهم بعد ان دبر لهم مكيدة عظيمة ذبح فيها عدداً عظيماً منهم وهزم الباقي شر هزيمة دون ان يفقد رجلاً واحداً من رجاله

ولما بلغ ذلك شوندا صاحب من الامراء الموالين للافرنسيين ألف جيشاً جراراً ضم اليه المهزومين والحق به دوبلكس مائتين من عسكره حتى وصل عدده الى عشرة آلاف مقاتل زحفوا على اركوت وحاصروها لاعتقادهم بعدم مقدرة المحاصرين على الثبات طويلاً دون التسليم ودام هذا الحصار خمسين يوماً كان كليف يراقب في اثنائها الاعمال بعزم غريب وقلب اشد من الحديد وقد وثق به اعوانه الهنود ثقة شديدة فاحبوه حباً يقرب من العبادة ولما رأوا ان المؤونة التي كانت مع الانكليز قد نفدت وصار يموت بعضهم من الجوع قدموا بين يديه مؤونتهم وقدموها له قائلين : اننا نكتفي نحن الهنود بمشاركة الخيل في غذائها لنقدم هذا الزاد لك وللانكليز . قال ماكولي المؤرخ الشهير . لاريب في أن اخلاصاً كهذا من قوم لم يعرفوا التمدن من اغرب النوادر التاريخية

ولما مل المحاصرون هاجموا المدينة بالافيال فردهم عنها كليف بمهارة ثم انجد من مدير الشركة الانكليزية بثمانمائة هندي ومائتي انكليزي

وكان دوبلكس قد استولى على ارض في الهند اكثر اتساعاً من ارض فرنسا فطلب كليف النجدات المتواصلة من مدير الشركة الانكليزية فنظمها على احسن ترتيب وهجم بها على ما دوره بشجاعة عظيمة واكره الفرنساويين على رفع الحصار عنها

وقد كان لصدى هذه الهزيمة في اوروبا وقع عظيم حمل الحكومة الفرنساوية على عزل دوبلكس من منصبه واسترجاعه الى وطنه على الفور فزاول كليف على الفتح والنصر حليفه حتى توفى حاكم الهند وبويع من بعده

سراج الدولة . وكان الى ابتداء الانكليز فشن الغارة على املاكهم واستولى على قلعة وليم واخذ يقاتلهم فصادمه كليف حتى اكرهه على طلب الصلح ثم استولى على ميناء شندرناجور التابعة للشركة الفرنساوية وطرد الفرنسيس من قسم البنغال ولم يكتف بذلك بل اصر على ابادة ملك سراج الدوله كي لا تقوم له قائمة بعد فأم ملكه قاصداً محاربته فالتقى الجيشان عند بلاسي ودارت الدائرة على سراج الدولة ومن ذلك الحين صارت الانكليز الكلمة النافذة في بلاد البنغال كلها فعزلوا سراج الدولة وولوا مكانه الامير جعفر وجعلوه تحت حماية الشركة الانكليزية

ولما رأت الحكومة الانكليزية النصر العظيم الذي ناله كليف خولت له السلطة المطلقة في كل اعماله وقد ايدها المغولي الاكبر باعترافه بها اعترافاً رسمياً بمعاهدة ابرمها معه في الهباد فتيسر وقتئذ لكليف اخضاع امراء البنغال واوريسا ورتب لهم مقداراً معلوماً من المال يقبضونه سنوياً وظل في الهند ساعياً باخضاعها لسيطرة الامة الانكليزية

وكانت الاموال تنهال امامه كالسيل ولكنه كان يأباها بنفس عفيفة ولم يقبل هدية الا ممن لم يكن يرجُ منه مساعدة ولو اراد ان يتناول منها شيئاً لفاق روتشيلد في غناه

وقد تيسر له في حروبه الكثيرة انتهاز الفرصة لزيارة بلاده والتزوج فيها فقوبل بالاحتفالات الباهرة ورقي الى مراتب الاشراف

وقد وصفه ماكولي المؤرخ الشهير بقوله : كليف كاكثر الرجال الذين نشأوا من العامة بقوى عقلية عظيمة ابرزتها التجارب واظهرتها الحوادث .

رغب في النجاح وسعى وراءه حتى ركب جناحه . وما زال يخضع المصاعب حتى استعبدها وصار يقيدها امامه تزيد انتصاره عزاً وذكره فخراً واشتهاراً ، فدل لوطنه كما فعل غيره من نوابغ السياسة وقواد الحرب على انه لم يسمع بمن ضم مثله الى بلاده ولايات عظيمة الاتساع كثيرة السكان وافرة الثروة مثل الولايات التي اخضعها لحكومته ، فاليه يعزى الفضل في غناء تجار الانكليز واصحاب المصانع والمعامل الذي كانوا يرسلون سلعهم الى الهند فيعودون منها بالاموال الكثيرة ،

فالانكليز يذكرون كليف بالشكر ويعدونه بين اعاظم القواد واشدهم ركانةً وفراسةً واقداماً واشرفهم صفاتاً ،

« الاميرال نيلسون »

« Nelson »

هو البطل المقدام واشهر قواد البحر على الاطلاق

ولد في التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٧٥٨ في مدينة برنهام تورب من اب قسيس وبدت عليه مخائل الشجاعة والاقدام صغيرا فتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة نورويش وتركها وله من العمر اثنا عشرة سنة فاخذه عمه في بارجة حربية كان يقودها الى جزائر الانتيل واخذ يرعاه بعنايته ويدربه على الاصول العسكرية اذ توسم فيه شجاعة لم يعهدها بمن كان في سنه

ولما عاد الى انكلترا بعد سفر زار فيه اكثر مرافئ الهند الشرقية وجزائر الهند الغربية واساكل البحر الابيض المتوسط فاز في الامتحان العسكري ثم رقي الى رتبة ملازم وأرسل في بعض المهام الى الهند وما زال يسافر في البحر يخوض عبابه ويذلل صعابه حتى ازداد خبرة في الفنون الحربية وفي قيادة البوارج . وما جاءت سنة ١٨٧٨ حتى عينه اللورد هوَّ ناظر الحربية وقتئذ رئيسا لمركب حربي كان مسافراً الى جزائر تحت الماء . وحدث في تلك الجهات ان بعض التجار من الانكليز وفدوا بمراكب مشحونة ببعض الاشياء الممنوع بيعها فنعهم اولاً فلم يمتثلوا فعرض امرهم على حاكم الجزيرة فاستصغره واجابه مزدريا به . لم تسبق العادة ان جنرالاً وحاكما مثلي يخاطب شاباً في سنك فاجابه وقد تأثر من كلامه . ان رئيس الوزراء عمره

كمبري وهو مدير سياسة البحرية الانكليزية فلما قابل منه على قيادة بارجة (ويعني برئيس الوزارة وليم بيت)

وخرج للحال غضباناً وخيم على بضاعة التجار وضبط مراكبهم فغضب منه حاكم الجزيرة وسكانها ولكنه لم يظهر بهم اقل اهتمام بل سافر الى انكلترا ورفقته شابة ارملة كانت غاية في الملاحة والجمال علق بهواها فاقترن بها ورفقته ايضاً المراكب التي ضبطها حتى اذا وصل انكلترا قوبل فيها بالاكرام والترحاب

ولما حدثت الحرب بين فرنسا وانكلترا في سنة ١٧٩٢ عين في نابولي لايصال الاخبار والتلغرافات الى حكومته وعرف في تلك الاثناء اللادي إما هملتون زوجة سفير انكلترا فعلق بهواها واحبها حباً مفرطاً لانها كانت آية في جمالها وغاية في حسنها وكانت ملكة نابولي تودها مودة لامزيد عليها .

وأُرسل الى الكورسيكا في سنة ١٧٩٤ لمساعدة قائد الجيش الانكليزي على ادارة رحى الحرب فاظهر في تلك الواقعة من الشجاعة والاقدام ما حير العقول فعين في السنة التالية رئيساً للاسطول الانكليزي في البحر الابيض المتوسط فانتصر على الاسطول الفرنساوي انتصاراً تاماً ثم ظفر بالاسطول الاسبانيولي سنة ١٧٩٧ فظهر للملا قدره واعطي نيشان الحمام وفي شهر يوليه من تلك السنة كسر ذراعه الايمن في موقعة مع مراكب المكسيك وقد اشير عليه بالرجوع عن الحرب فابى وسحب قطعة من الحرير الابيض كان يلف بها قميصه فلف بها ذراعه ليمنع مجرى الدم ولم يرجع عن الحرب الا بعد ان فاز عليهم فوزاً عظيماً واسرع فكتب الى ناظر البحرية بانكلترا يقول انه اضحى بذراع

واحد آلة غير مفيدة للجيش واستأذنه بالعود الى انكلترا ليتيسر له معالجة نفسه وهناك قوبل باحتفاء عظيم وعينت له الحكومة راتباً سنوياً كبيراً ونفح بلقب امير البحر مع بارون برنهام تورب (وهي البلدة التي ولد فيها) وثمل من خمرة هذا النصر فحدا به حادي التذكار الى مرأى حبيبته التي اودعها قلبه في نابولي فسار اليها واستسلم لهواها فطلق اكراماً لها امرأته الاولى وانقاد لها انقياد الاسير الى الآسر لا يعمل الا ما به رضاها فجلب عليه هذا الحب عاراً لا يمحى وفي سنة ١٨٠٠ ولدت منه إبنة دعتها هوراسيا تيمناً باسمه الاصلي

وفي سنة ١٧٩٨ ظفر بالعمارة الفرنسوية عند ابي قير عند ما زحف نابوليون بجيوشه الى الديار المصرية لافتتاحها والتقدم منها الى الولايات الانكليزية فوافاه هذا البطل واصطلت نيران الحرب بين الاسطولين وكانت القوة متساوية وفي اقل من ست ساعات انتصر نلسون بعمارته على العمارة الفرنساوية وضعضع احوالها ولم يسلم من السفن الافرنسية التي كانت سبع عشرة بارجة غير اربع فقط فازت بالفرار واصيب نلسون برصاصة في جبهته لكنها لم تكن قتالة وكانت هذه المعركة اشهر معركة انتصر فيها

ولما اتحدت دولة الدانمرك مع دولة اسوج ونروج باتفاق روسيا وفرنسا على محاربة انجلترا بحراً جهزت انجلترا عمارة بحرية وارسلتها الى بحر البلطيك تحت رئاسة السير هيد باركر وكان نلسون متقلداً الرئاسة الثانية فلما اشرفت المراكب الانكليزية على خليج كوبنهاجن كلفه السير باركر بادارة رحى الحرب فرتب المراكب على نسق منتظم ثم أمر بالهجوم فاحتدم القتال بين

الفريقين واضطرمت نيران الحرب حتى كادت السفن الانجليزية تمس قاع البحر . وكان نيلسون يتمشى على ظهر بارجته يحيي همم الجيش ويقابل كرات المدافع التي كانت تمر فوق رأسه وتتساقط حوله وهو رابط الجاش ثابت الجنان وقد اصاب اثناء وقوفه عمود السفينه رصاصة فسقط بجانبه وكاد يقتله الا انه استجمع كل قواه وقام كالاسد ونظر الى الويل المحدق به وقال لعل هذا اليوم من آخر ايامنا فاشار عليه باركر بالابتعاد عن ذلك المكان فأبى قائلا لا ارتضي ان اكون في غيره ولو اعطيت المبالغ الوافرة من الذهب

ولما اشتد القتال لحق ببوارج الدانمرك الفشل فرفع رئيسها راية الرجوع وهي علامة كف الحرب فاشار ايضاً السير باركر على نيلسون بالرجوع واخبره من كان حوله بذلك فاضطرب وصاح باعلى صوته : الموت احب اليّ من ذلك واني اعور فهبوا اني اعمى . ثم انتزع النظارة ووجهها الى عينه الصحيحة ونظر الى الاشارة وقال : لا أرى شيئاً مما تقولون فابقوا راية الحرب وشددوا القتال وهذا هو جوابي ورفع بدل راية الرجوع راية مكتوب عليها (ان انجلترا تتوقع من كل فرد من رجالها ان يقضي الجواب عليه) واستجمع كل قواه وواظب على ماكان عليه من تشديد الحرب بعزم شديد وقلب اقوى من الحديد ولم يرجع الا بعد ان نكس راية الاعداء وضعضع احوالهم ثم عقد معهم الصلح على شروط معلومه

وقد قال لولي العهد عند اجتماعه به انه حضر اكثر من مائة معركة ولم يشاهد معركة اشتد ويلها كمعركة كوبنهاجن ذلك لاضطرار المراكب الى التقدم نحو العدو وعدم وجود عمق كاف في البحر .

وقد عظمت مكانته من ذلك العهد لدى الامة الانكليزية ووقعت محبته في قلوب رجال المملكة فاعطي لقب لورد وقاد رئاسة البحرية وسمي باميرال البحر

وآخر انتصاراته واشهرها واقعة ترافلغار (أو طرف الغار) حين اتحدت فرنسا واسبانيا ضد انجلترا فالتقاها بسبع وعشرين بارجة حربية بينما كانت عمارتهما تبلغ الاربعين بارجة . وكأنه اوجس شراً من المنيه في تلك الواقعة فدخل غرفته في المركب وكتب وصيته الى خليلته ثم خرج واخذ يصدر لظباط المراكب الاوامر اللازمة ويشدد عزائم الجنود ثم امر باطلاق المدافع فاطلقت في الحال واشتبك القتال بين الفريقين وبعد حرب عنيفه اسر اميرال الفرنسيس بعد ان تلف من بوارجه ١٩ بارجة وفاز الانجليز في تلك الحرب فوزاً مبيناً لم يروا مثله من قبل . وامتلكت انجلترا من ذلك العهد ناصية البحر وصارت السيده عليه لا ينازعها في سيادتها احد وتلاشت قوة نابوليون البحريه ولم يقم لها قائمة من بعد . وكان نلسون في تلك الحرب لابساً ملابسه الرسميه ومزيناً صدره بالنياشين التي منحها . ويقال انه كان يباشر كل الحروب بفاخر اللباس . فجلب ذلك عليه في تلك الواقعه مراقبة الاعداء واطلق عليه احد الجنود من بارجه فرنساويه رصاصه اصابت ظهره وكسرت العظم فجرحته جرحاً بليغاً ونقلوه الى غرفته فاقد الصواب وبعد قليل افاق على دوي عظيم فاستدعى قبطان المركب وسأله عن نتيجة القتال فاخبره بالنصر التام فانسر وانشرح وسكر بخمرة الانتصار وهو يقاسي سكرات المنون وصاح قائلاً اني اموت الآن مسروراً بعد ان قضيت الواجب على لوطني واوصى باعطاء سيفه لخليلته اللادي هملتون ثم اسلم الروح وهو يذكرها ويذكر وطنه وذلك

في سنة ١٨٠٥

وقد قدرت الحكومه ما ناله الوطن من الفوز على يده فعينت لشقيقه راتباً سنوياً قدره مائة وخمسين الف فرنك ووهبت لشقيقتيه ٥٠٠ الف فرنك

وكذلك نقلت جثته الى لندره ودفنت فيها باحتفال عظيم على نفقة الحكومه واقيم له في ساحة طرف الغار تمثال فاخر على عمود من الرمر بلغت نفقته خمسة واربعين الف جنيه وكتب على هـذا العمود عبارته التي نطق بها في المعركه الاخيره وهي : ان انجلترا تتوقع من كل فرد من رجالها ان يقضي الواجب عليه

« الدوق ولنتون »

« Wellington »

هو البطل الهمام والقائد الشهير وزير انجلترا الكبير

ولد بمدينة دوبلين (عاصمة ارلندا) في بيت كريم في ٢ مارس سنة ١٧٦٩ وتلقى دروسه الابتدائية في مدينة اتون واتمها على مدرس خصوصي في مدينة برتون ثم انتقل الى فرنسا وتخرج في مدرستها الحربيه وانتظم في خدمة الجيش الانكليزي وشرع يرتقي فيه رويداً حتى نال سنة ١٧٩٣ منصب مساعد كولونيل • وفي سنة ١٧٩٤ كان يقود فرقة من الجيش الانكليزي المحاصر لمدينة اوستاند فاستفاد في تلك الحرب مما الم بالجيش من المصائب ما يجب على القواد من الاداره واظهر من البساله والاقدام ما اوجب ترقيته الى منصب كولونيل وارسل الى الهند في سنة ١٧٩٧ فانتصر على الامير تيبوصاحب من كبار حكام الهند ومن الد اعداء الامه الانكليزيه واجتهد في ترقية شأن الجنود الذين كان يقودهم فنال مدح رؤسائه ورقي الى منصب جنرال •

ولما حدثت في الهند حرب المهرات الشهيرة سنة ١٨٠٣ عين رئيساً للحمله الانجليزيه وكان جيشه لا يتجاوز الثمانية آلاف مقاتل بينما كان جيش المهرات مؤلفاً من خمسين الفاً من نخبة الرجال منهم نحو عشرة آلاف منظمون على نظام الجيوش الاوربية يقودهم ضباط وقواد من الافرنسيس وقد هاجم بجيشه القليل العدد تلك الجيوش الجراره فقاتلوا قتال الابطال وقاموا باعمال

لا يجدر الانسان ان يأتي باعظم منها وطال وقوف ولنتون في تلك الحرب في دائرة المنون فجابهتها وكان يقتحم صفوف جنوده ويشدد عزائمهم ويحيي هممهم متعرضاً لرصاص البنادق خائضاً بحار المنايا ببسالة وثبات خلد له في بطون التاريخ احسن ذكرى حتى انتصر في تلك الحرب انتصاراً عظيماً وقد سكر جنده من خمرة ذلك النصر فتورط البعض منهم في الفحش والمسكرات فجازى المرتكبين اشد جزاء . وقلد بعد ذلك امارة بعض الولايات الكبيره فصرف همه لتحسين حالها وترويج حركة الاعمال فيها فبدت في الاداره مهارته كما ظهرت في حومة الوغى بسالته ثم طلب من حكومته العود الى انجلترا لمعالجة صحته مدعياً ان هواء تلك البلاد يضر به كثيراً . وحقيقة الامر انه كان يرغب في معالجة مطامع نفسه لانه لم يعد يرى في الهند بعد ذلك الفوز العظيم من مجال لبلوغ ذروة المجد التي كان يطمح ببصره اليها فصادف طلبه قبولاً وغادر الهند باحتفال شائق وقدمت له اعيان مدينة كلكوتا هدايا ثمينة منها سيف ثمين قبضته مرصعة بالالماس والاحجار الكريمة . وقد قوبل في انجلترا بالترحيب والتكريم وانعم عليه بنيشان الحمام . ثم عين كاتم اسرار حاكم ايرلاندا وارسل تحت قيادة اللورد كاتكارت لغزو مدينة كوبنهاجن فلم تطأ قدمه تلك البلد بالجيش القليل الذي كان يقوده حتى بدد شمل الدانيمركيين وانتصر عليهم انتصاراً مبيناً . ورقي سنة ١٨٠٨ الى رتبة وكيل جنرال وارسل بعشرة آلاف جندي لتحرير اسبانيا والبورتغال فقصدها وحارب العدو وانتصر في واقعتين عظيمتين وامضى معاهدة سنترا

ومما يروى عنه ان منظر الحبس والتفكر كان يلوح دائماً على وجهه في تلك البلاد

فسأله بعضهم مرة بماذا انت مفكر . فاجاب نابوليون التي دوخ ممالك اوروبا ولم اره الآن . فانا افحص بأمر تدويخه والظفر عليه لانقاذ اوروبا والعالم بأسره الامن والسلام والحرية التي يعبث بها . وقد تم له ما تمنى وتسنى له الفوز عليه في واقعة واطرلو الشهيرة بعد ان عين قائداً عاماً للجيوش الانجليزية في اسبانيا وكان موقفه في تلك الحرب من اصعب المواقف تحيط به الصعوبات من كل جانب فعانى المشقات بهمة هرقلية وقام باعمال تدهش العقول وكان يرفع صوته بين جيشه مع صوت المدافع التي كانت تدوي كالرعود مثبتاً عزائمهم بعد ان كاد يتشتت شملهم مولداً فيهم الحمية والحماسة بقوله اثبتوا يا اولادي . الوطن الوطن ! ماذا يقول عنا الوطن اذا عدنا اليه مغلوبين . وكانت واقعة واطرلو هذه من الوقائع الهائلة لم ير العالم اشد منها اذ تغطت تلك السهول الرحيبة باربعين الف جثة . وبعد قتال ثماني ساعات اخذت جيوش نابوليون تنثني وتهرب باضطراب وخوف حاملة اخبار الانكسار ففاز نابوليون بنفسه مع قليل من حرسه . ولما تم النصر الى ولنتون أمر جيشه جرياً على عادته الكريمة في ساعة الفوز بالانتشار في ميدان القتال حاملين المنعشات للجميع معتنين بجرحى اعدائهم كاعتنائهم بجرحاهم .

وكانت هذه الواقعة الضربة القاضية على نابوليون والانجليز يجلون قدرها ويطربون باسمها ويحيون تذكارها ويعدونها من سواطع البراهين ودوامغ الحجج على ان فيهم من فطاحل الرجال وصناديد الابطال ما يكفي لرغم انوف الملوك الجبابرة والاسود والاكاسرة . قال ولنتون في نهايتها . اني لا اقال بخمرة النصر الذي تم لبلادي على يدي ولكنني اعني ان تكون هذه

الواقعة خاتمة الحروب

ولقد طار صيته في الآفاق واتجهت اليه عواطف الامة وحامت عليه البشائر من ملوك اوروبا وقدمت له هديه مائتي الف فرنك ونحه اسكندر ملك روسيا بنيشان القديسه حنه من الدرجه الاولى مع مليون فرنك واقبه ملك هولاندا باسم واطرلو ومنحه ٢٠٠ الف فلورين ونال غير ذلك من الالقاب العظيمه والهدايا الثمينه وعكف بعد تلك الواقعة على السياسة فحول قواه الجسديه الى فكره وتقلد بعد مدة من الزمن منصب الوزارة فظهر ايضاً غاية في اخلاص وطنه وآية في جلده وثباته وعاش ٨٤ سنة وظل متمتعاً بقواه الجسدية والعقلية الى آخر دقيقة من حياته وكان من نوادر الخلق في الوجود حكمة وشجاعة واقداما لقب بالدوق الحديدي لثباته الذي لم يفارقه قط . وكان مع ذلك عنوان الصداقة والامانة والشفقة وكان مثالاً في علم السلوك قال عن نفسه انه بعد ان ناهز الستين من عمره لم يخاصم احدا في حياته قط . وقد قاسى هذا البطل من كبرياء الاسبانيين وعدم تشتهم به ومن عادات عساكره السيئه ومن مضادة اعدائه السياسيين في بلاده صنوف العذاب . وقد كانت شجاعته ارقى من شجاعة غيره . لانه لم يكن ليتعرض لشر العواقب الا متروياً ولم يكن ليقدم على امر الا قاصداً وعازماً ولذلك قلما اخطأ في اعماله الكثيرة وكان النصر حليفه اينما سار . فهو كما وصفه بعض المؤرخين من طبقة نابوليون خبرةً وتروعاً الى المعالي وكرمويل حكمةً وخبرةً ودهاء وواشنطون عفةً ومحبةً لوطنه

« الجنرال ولسلي »

« General Wolseley ».

هو البطل المقدام قائد الجيوش الانكليزية العام (عند وضع هذا الكتاب) ولد في بيت كريم من ايرلندا . وربي صغيراً في مدارس انكلترا الحربية وانتظم في خدمة الجيش الانكليزي في التاسعة عشرة من عمره وأرسل اول مرة الى الهند وهي البلاد التي كانت ميداناً للنشاط الانكليزي فبدا فيها ايضاً نشاط ولسلي وهو في اول العمر ورقي الى رتبة ضابط . ثم اشتهر امره شاباً في حرب القرم وجرح جرحاً بليغاً في حصار سباستبول شفي منه ونال جزاء اقدامه نيشان القرم واللجيون دونور والمجيدية ثم عاد الى الهند وحارب في حصار مدينة لكنوا سنة ١٨٧٥ ورقي بعد الاستيلاء عليها الى رتبة ماجور ولما اشترك في الدفاع عن مدينة الومباغ وحارب بكل بسالة واقدام علا شأنه وذاع صيته فارتقى الى منصب مساعد كولونيل . وفي سنة ١٨٦٠ قاد الجنود الانكليزية التي اشتركت اذ ذاك مع الجنود الفرنساوية في محاربة الصينيين فاستظهروا عليهم حتى وصلوا الى مدينة باكين عاصمة ملكهم وظل هكذا وقوته تعظم بالحروب وشهرته تزيد بها حتى وصل الى منصب كولونيل في سنة ١٨٦٥ وعقد له في ١٨٧٠ على جيش لاخضاع العصاة على ساحل البحر الاحمر في كندادا ومما يستوق العجب في هذه الحلة انه ركب النهر فر بجنادل صعبة المرتقى وشلالات دافعة شديدة مثل شلالات النيل وذلك في قوارب شراعية ومقذافية وغيرها شحنها على السفاين وسكك الحديد الى

فم النهر وأمر بأن يركب في كل قارب عشرة رجال يتزودون بالمأكول الكافي لثلاثة أشهر وهكذا اجتازوا ستمائة ميل اعترضهم في اثنائها خمسون حاجزاً تغلبوا عليها ووصل واسلي الى العصاة واخضعهم وكان الظاهر الظافر واستحق بعد هذا النصر العظيم صليب سان ميخائيل وسان جورج ومنصب ادجوتانت جنرال في الجيش

ولما استعرت نار الحرب بين الانكليز والاشنتيين في جنوبي افريقيا تولى قيادة الجنود الانكليزية وسار بها مسافة بعيدة في طرق حرجه كلها مكامن وغابات دغلة ووعور ومضايق ضد اعداء لم يكن يعرف استعدادهم ففرق ضباط الجيش وامرهم ان يختلطوا بهم وهكذا حمل بجنوده عليهم حملة غريبة الظروف والاحوال واظهر من التفنن في الهجوم والدفاع مالا مزيد عليه وظل يحاربهم مدة سنة حتى شتت شملهم وهزم ملكهم كوفي كالكالي عند اكرمبو وحرق هذه المدينة ودخل قوماسيا عاصمة الاشنتي ولم يعد عنها الا بعد ان اوجب الغرامه الحربية على ملكها ولما وصل بجنوده انكلترا قوبل باجل اكرام واستقبل اعظم استقبال واعدت له الحفلات الباهرة ورقي الى منصب ماجور جنرال ونفح بالوسامات والالقاب الشريفة وقرر البرلمان ان تصرف له مكافأة ٦٢٥٠٠٠ فرنك ومنحه مجلس بلدية لوندرا سيفاً عظيم وانهالت عليه التهاني من كل صقع ومكان

وفي سنة ١٨٧٥ عين حاكماً على جمهورية ناتال في جنوبي افريقيا وكلف باخضاع البويرس ثم عاد الى انكلترا في سنة ١٨٧٧ ورقي الى منصب مارشال وتعين في ١٨٧٨ حاكماً لجزيرة قبرص

ولما ظهرت الثورة العرابية المشهورة في مصر سنة ١٨٨٢ قاد ولسلي الجنود الانكليزية وانتصر انتصاراً باهراً على الجنود المصرية في واقعة التل الكبير واخضع العصاة وعاد الى انكلترا وصار ينظر اليه الانكليز كما ينظرون لاعظم ابطالهم وقوادهم وشكروه ما استطاعوا الى الشكر سبيلاً وصار لقبه اللورد ولسلي اوف كيرو

ولما شاع امر حصار الخرطوم وكتب غوردون الى حكومته يستغيث بها اعتمدت ارساله ثانياً بسبعة آلاف جندي لخلاصه وخلاص الكولونيل ستوارت واشارت عليه قبل خروجه عدم التوغل في السودان ولكنه وصل اليها متأخراً لان الخرطوم كانت اخذت وقتل غوردون فاخلت انكلترا السودان من عساكرها وفي الحال امر ولسلي الجنود الانكليزية ان تنسحب وبعد عودته الى انكلترا وصل الى ذرى المجد والشرف بتعيينه قائداً عاماً للجنود الانكليزية وهو لا يزال يتولى هذه الرئاسة

وقد اشبه هذا القائد العظيم اعاظم الابطال عزماً واقداماً وهو غاية في الرزانة والفراسة كان يمكنه جمع افكاره وتوجيهها الى اي امر اراده في ميدان الحرب والوغى وقد غلب طالع سعده كل المصاعب التي قامت امامه وسار النصر بركابه اينما سار وانتصر في كل حروبه بلا استثناء .

« اللورد باكون »

« Lord Bacon. »

من اعاظم فلاسفة الانكليز ومن اشهر مؤلفيها وقطب الفلسفة الحديثة وابو الفلسفة العصرية ، وجد في ايام الملكة اليصابات وكان ابوه السير نيقولا باكون من ذوي الوجاهة واليسار في بلاده وكانت امه من نوابغ النساء في الذكاء ولما بلغ الثالثة عشرة ارسله ابوه الى مدرسة كامبريدج الشهيرة فاتم فيها علومه ثم ارسله الى اوروبا فزار اكثر ممالكها وكان في هذه الاثناء ينقب عن احوالها ويبحث عن قوانين الممالك في البر والبحر ويكتب ما يتصل به حتى جمع من هذه الشوارد شيئاً كثيراً ضمها الى كتاب سماه حالة اوروبا وهو وقتئذ في التاسعة عشرة من عمره واشتهر امره وهو في فرنسا بحله بعض مسائل الملكة اليصابات على احسن اسلوب فوّض اليه حلها سفير انجلترا ثم عاد الى بلده حين وفاة والده فرأى ان ثروته غير كافية للازم على العيش الذي تعوده فانعكف على درس القانون ليلاً ونهاراً ليتخذ صناعة المحاماة وسيلة لكسب المال وسلماً للمراتب العالية فحصل في اقرب وقت على ما كان يتمنى وامتثل مراراً بحضرة الملكة اليصابات فاعجبها ما كانت ترى في اقواله من البلاغة والفصاحة فعينته في سنة ١٥٨٧ مع صغر سنه مستشاراً خاصاً لها إلا ان ايراد هذه الوظيفة لم يكن ليكفيه ، ولولا كرم اللورد اسكس وزير انجلترا الذي حباه وقتئذ باراضٍ يعيش من ريعها لوجد نفسه في فقر مدقع

وفي سنة ١٥٩٣ انتخبته مقاطعة مدلسكس نائباً عنها في مجلس الامه

واول خطاب القاه كان في تعضيد ما تتمناه الرعية من اصلاح القوانين وكان في كلامه من الفصاحة وحرية الفكر ما ادهش الحاضرين وبعد ايام قلائل وقف خطيباً يحض على ايقاف بعض الرواتب التي كانت تصرف من الخزينة العمومية وقد اظهر من الجرأة في المقال ومن التهييج في الخطابة ما ساء اكثر الحاضرين والملكة خصوصاً وكان شديد الولع بالتأليف فنشر في سنة ١٥٩٩ اول تآليفه السياسيه واتبعه بتآليف آخر في مواضيع شتى بين دينية وادبية فصادف المؤلفان اعظم قبول وترجما الى اكثر اللغات وكان مبذرا الاموال فتراكمت عليه الديون وارتبكت احواله كثيراً فسجن مرتين ولبث مدة في فقر مدقع وبلاء موجع يصارع الدهر والدهر يصارعه ولما جلس تشارلس الاول على سرير الملك وكان محباً للعلوم وتعضيد العلماء احيا امال هذا الفيلسوف التعيس وقربه منه وعينه في وظيفة المحامي العمومي وهي الوظيفة التي كان يتطلبها في ايام البصاليات ثم اخذ يرقيه الى المناصب العالية حتى جعله حافظاً للاختام . واقترن في تلك السنة بابنة احد اغنياء لوندرا فصار دخله السنوي ثمانية آلاف جنيه ونشر في هذه الاثناء عدة كتب في الفلسفة والتاريخ احدثت تغييراً عظيما في اداب اللغة الانجليزية ونال بها شهرة عظيمة في كل اوروبا ورقي ايضاً في سنة ١٦١٤ الى منصب مستشار خاص للملك وقام باصلاحات جزيلة النفع عظيمة الفائدة وساعد الملك على ضم اسكوتلاندا الى انجلترا ضما وثيقاً فرقاه الى مرتبة اللوردية وصار اللورد باكون فيكونت سان اولبان . ومازال اسمه ينتشر حتى وصل الى ذرى العظمة وصار في مقدمة كبار المملكة فعاد الى الاسراف والاتلاف يتباهى بمظاهر الابهة والفخر ولكنه ما عتم ان عاد الى ما كان عليه

من الحال الاول من الضيق والارتباك فلجأ الى كسب المال بواسطة وظيفته واستعمل خدمه لذلك فكان لا يقضي حاجة احد بدون اجرة وصار يبيع الالقاب والوظائف بيعاً حتى علم هذا الامر وشاع واخذ التنديد يشتد عليه يوماً فيوماً فرفع عليه ٢٤ قضيه امام مجلس النواب حولها كلها الى مجلس الاشراف وطلب محاكمته وكان بعزمه ان يدافع عن هذه القضايا بصدر رحيب وجنان ثابت لكن صحته لم تساعده على الجدال فحكم عليه بغرامة قدرها اربعون الف ليرا انجليزيه وبالحرمان من الوظائف الاميريه ومن النيابه عن الامة في مجلس النواب وبالسجن مدة تتوقف على رغبة الملك فسجن مدة يومين ثم اطلق سبيله وعفي عنه عفواً تاماً لما كان له من الايادي البيضاء في خدمة المملكة وصرف بعد ذلك باقي ايامه في المباحث العلمية وتأليف الكتب الفلسفية العظيمه . وكان غزير المادة متوقد الذهن سريع الخاطر . وكانت الاصول الكنائسية لحين بزوغ آرائه متسلطة وسائدة على العلم لحد ان اخضعت لها العلوم الحسابية والطبيعية . ولم يكن ليراعى في جميع الآراء الفلسفية والسياسية والوقائع التاريخية سوى الوجه اللاهوتي حتى صار روح العلم والعالم اللاهوت فأثر بتعليماته وتآليفه المفرغة في قالب فلسفي تأثيراً حسناً نتج عنها تحويل مجرى الافهام عن السبل اللاهوتية الى الحقائق الفلسفية وعن النمو بعد الضغط والتوسيع في العلوم بعد التضييق

وبالجملة فان مذهب تعاليمه وارشاداته نشأ عنها حركة عقلية كانت اعظم وافضل ما شوهد في العالم القديم فاجمع العلماء على انه كان استاذ الفلسفة الحديثة .

« نيوتون »

« Nowton »

هو الفيلسوف الكبير رئيس جيش العلماء والمكتشفين الحديثين

ولد في مدينة (ولثرب) من مقاطعة لنكولن في انكلترا في الخامس والعشرين من ديسمبر (وهو يوم ميلاد المسيح) في سنة ١٦٤٢ (وهي السنة التي توفي فيها غليله الشهير).

كان ابوه فلاحاً فاصيب بفقده صغيراً وربي في حجر امه يتيماً وارسل في السنة الثانية عشرة من عمره الى مدرسة جرانتهام وكان في اول امره متوانياً بليداً خاملاً وقد اتفق ان التلميذ الذي كان يعلوه درجة في الصف عيره بكلام أثار غضبه وانهض همته فدفعه الى الدرس بكامل قواه ولم يمض عليه اليسير من الزمن حتى سما على اقرانه وصار اولهم بعد ان كان آخرهم .

واشتهر عنه وهو في المدرسة الميل الى استعمال القدوم والمنشار والمطرقة فكان يقضي اكثر اوقاته منعزلاً في حجرته يعمل الآلات الميكانيكية فصنع عربة تسير وحدها بمجرد بعض حركات يقوم بها الجالس عليها . ومطحناً هوائياً له تمثال فارة يدير محوره . ومزولة لمدينته وأشياء أخرى كثيرة كان يهديها للتلامذة أصدقائه . وهكذا تمكن منه الميل الى الآليات منذ حداثته حتى أداه ذلك الى أعمال مجيدة واختراعات مفيدة

والتحق في سنة ١٦٦١ في مدرسة كمبريدج فعكف على درس القواعد التي وضعها الفيلسوف كبلر المشهور في علم الهيئة وتعمق في درس النور

ثم رغب في الفلك فبدأ أولاً في توسيع نطاق معارفه بالعلوم الرياضية وشرع في البحث والتنقيب حتى ابتدع أوجز طريقة لترقية الكميات الثنائية في الجبر وأوجد طريقة التربيع الفلكي وبحث عن طفاوات القمر وهالاته ونال في سنة ١٦٦٥ شهادة بكالوريوس في الفنون وسقطت امامه في السنة التالية تفاحة سقوطاً منحرفاً فانتبه لهذا السقوط وافتكر فيه ملياً ولكن أشكل عليه الامر فتركه ليعاود البحث فيه . ثم عين في مدرسة كمبريدج استاذاً للفنون فقضى فيها ستة وعشرين عاماً مواظباً على التدريس وقد درس الكيمياء وعين في سنة ١٦٧٢ عضواً في المجمع الملوكي في لوندرا واشتهر بالمنظار العاكس المسمى باسمه وبعلم السوائل الذي وضعه وتجاري بينه وبين بعض العلماء من المناظرة على طبيعة النور ومازال يواصل التفكر والبحث بشأن التفاحة حتى ظهر له في سنة ١٦٨٠ ان الارض كرة مسطحة القطبين ولكنها ليست تامة الكروية وحسب مقدار تسطحها عند قطبيها وانتفاخها عند خط الاستواء بدورانها على المحور الوهمي وتجاذب دقائق حجمها وتكلم عن المد والجزر وقال انهما مسببان عن جاذبية القمر. واوضح المد الاعظم والمد الاصغر. وتعمق في البحث عن النور الشمسي فحلله الى الوانه السبعة المعروفة ثم ركبها واستخرج الثقل النوعي للسيارات . وابان سبب دورانها حول الشمس . وكانت اعظم الاسباب لشهرته اكتشافه قوانين الجاذبية العامة وكتابه المعروف بالفلسفة الطبيعية والاصول وهو يشمل معظم ما افاد به العلم . ولما طار صيته وعظمت شهرته عين عضواً في البرلمان غير ان السياسة لم تثنه عن مواصلة البحث والاكتشاف ولم يتكلم كل الزمن الذي جلسه في البرلمان سوى مرة

واحدة اشار فيها على الحاجب بان يغلق شباكاً كان يدخل منه هواء يمكن ان يضر بالخطيب

ولما استلم اللورد هاليفكس زمام الوزارة وكان من تلامذته عينه مراقباً في مضرب النقود براتب سنوي قدره ٣٠٠٠٠ فرنك . وفي سنة ١٦٩٣ رمى كلبه شمعة متقدة سقطت على ورق احرقته وكان شديد الحرص على هذا الورق لاشتماله على عمليات طويلة من الحساب قضى في استخراجها الايام الطويلة وقد حزن من جراء ذلك حزناً شديداً أثر في صحته تأثيرا بليغاً حتى ضعف فهمه وكاد يختل رشده ولكنه شفي ولاذ بالصبر وعاد الى ما كان عليه من الجدال والنضال مع معاصريه من العلماء ونشر مؤلفه الشهير المعروف بالبصريات . ومؤلفاً اخر على الحساب العام واربع رسائل اثبت فيها وجود اله حكيم . وما زال يتدرج في معارج الشهرة والفخر وتواصل أفكاره السامية على الاكتشاف والتأليف بالنشر حتى منح من الملكة حنه بلقب كافليير وتوفي في كنستون في ٢٠ مارث وله من العمر ٨٥ عاماً فناح الانكليز لموته ونقلت جثته الى لوندرا وحمل نعشه الامراء ومشى في مشهده اكابر المملكة وعلماؤها وواروه في ضريح رخامي في اعظم موقع من كنيسة وستمنستر وقد شيد ضريحه هذا على نفقة ورثته ونفقة الخزينة العمومية فبلغت نفقاته خمسمائة جنيه وقد نقش عليه رسمه وصورة اطفال يحملون اشكالاً مختلفة عليها اكتشافاته بعبارة لاتينيه واقيمت له تماثيل في بعض انحاء المملكة وخلف ٣٢٠٠٠ جنيه انكليزي رغماً عما كانت يجمعه في عيشة من مظاهر الابهة والترف

ويروى عنه انه لم يفقد سوى سناً واحدة ولم يستعمل النظارة قط وكان متوسط القامة مليح الجلة حاد النظر قليل الكلام في مجتمعاته ولم يكن في كلامه ولا في كتابته ادنى عذوبة وطلاوة شأن الفيلسوف السامي التصور

وكان كغيره من العلماء كثير التفكر شديد التذكر يروى عنه انه كان يلبث عند استيقاظه صباحاً من النوم بضع ساعات جالساً على سريره شارداً عن وجوده وغائصاً في لجج افكاره بكل قوى عقله فيذهل عن الاكل اذا لم يجد من ينبهه لذلك وقد سئل يوماً بماذا اكتشفت كل هذه الاكتشافات فأجاب بالتأمل المستمر فيها ويروى انه لم يخضع لغير ابة عادة كانت وكان كريماً محسناً شديد المواظبة على اعماله لم يتزوج خوفاً من ان تصرفه العلائق الزوجية عن اتمام مباحثه وتآليفه وقد وصفه بعض المؤلفين بانه كان كثير الانفة شديد الوطأة على العلماء يعاملهم بالعجب والخيلاء . بيد انه كان يقول دوماً اني لاادري لماذا يجري علي المدح لهذا الحد فلا فضل لي في كل اعمالي لاني اشبه نفسي بطفل يلعب على شاطئ البحر فيلتقط من وقت لآخر صدفة جميلة او قوقعة يلقطها بحر الحقيقة بينما يظل غامضاً عن الابصار ماحواه من جواهر الحقائق

ووصفه مؤلف بقوله : ان الطبيعة ونواميسها كانت محتجبة في ليل دامس حتى قال الله ليكن نيوتون فاستنارت كلها

« هربرت سبنسر »

« Herbert Spencer »

هو الفيلسوف الكبير من مشاهير فلاسفة العصر الحديث .

ولد سنة ١٨١٠ في مدينة دربي وربي في حجر والده وعكف منذ نعومة اظفاره على درس العلوم الرياضية فلم يبلغ السابعة عشر من عمره حتى اتقن فن المساحه وفي الثانية والعشرين تجلت بنات افكاره الفلسفيه والاقتصاديه في رسائل شتى موضوعها « مدار الحكومه » ثم لما رأى ان اقتداره الذاتي جدير بان يرشحه لتبوء مكاناً عالياً بين علماء عصره ترك المساحه واقتصر في بحثه على المطالعه والتأليف فصنف كثيراً من المؤلفات الجليله الشامله لكل معارف البشر في علم الحياه والاحياء والعمران والفلسفه العقليه والآداب والسياسة والاخلاق عدا عن الشذرات التي كان يتحف بها الجرائد العلميه فجمعت وطبعت في ثلاثة مجلدات

واشتهر كثيراً بمذهبه الفلسفي الذي ايده بالحقائق والبراهين العلميه وقد شار فيه الى ان الارتقاء يعم كل ما في الكون فانفتح بسببه ميدان الجدال والمناظرة بين العلماء ثم شهد له بصحته معظم أضداده وسلموا به

وهكذا اشتهر سبنسر بين العلماء حتى طبق صيته الآفاق وناظره بعض المعاصرين له اخصهم هريس زعيم حزب كونت في جريدة القرن التاسع عشر وكانت اشهر الجرائد الشهيرة تلتقط اقوالها وتزين بها صفحاتها

وزار هذا الفيلسوف في اواخر سنة ١٨٨٢ الولايات المتحدة الاميركية

وقد تقاطر عليه العلماء من كل مكان لالتقاط درر اقواله ونشرها في جرائدهم ولما عزم على الشخوص لبلاده اعدوا له مأدبة فاخرة تخطب فيهم خطاباً انيقاً على حالة بلادهم كان له اعظم وقع في نفوسهم واعتبروه اعظم دليل على الدرجة التي وصلوا اليها من العمران وقد سار سبنسر بمباديه العلميه وارائه الفلسفيه على مذهب ابن خلدون (الفيلسوف العربي الشهير) فطرق كل المواضيع العلميه والطبيعيه والرياضيه التي طرقها ابن خلدون معتمداً كل منهما على ماعرف في عصره محاولاً ابداع تاريخ العمران

« اللورد كلفن »

« Lord Kelvin »

هو وليم طمسن اكبر فلاسفة هذا العصر واعظم علماء الكيمياء والكهربائية .

ولد في سنة ١٨٢٤ في مدينة بلفاست من اعمال ايرلاندا وتلقى علومه في مدارس اسكوتلاندا واتمها في مدرسة كمبريدج وقد اولع صغيراً بالعلوم الطبيعية فبرع فيها كبيراً ولما ترك المدرسة ذهب الى باريس وزاول العلم والعمل بها على احد علمائها المشهورين حتى اشتهر امره فاستقدمته مدرسة كمبريدج ليكون استاذاً للعلوم الكيماوية والطبيعية ومنذ ذلك الحين اوقف كل اوقاته بالتأليف والتدريس والبحث والاختراع حتى صارت مؤلفاته واكتشافاته واختراعاته لاتعد ولا تحصى على ان اعظمها مد الاسلاك البرقية تحت الاوقيانوس الاطلانطيقي لايصال امريكا بانكلترا وتبادل الاشارات بينهما بسرعة البرق بعد ان كانت تستغرق الساعات وقد صرف في هذا العمل الايام والاعوام يستنهض الهمم ويحث ذوي الثروة على المساعدة والاكتتاب حتى توفق لنوال مراده ونجاح مسعاه واقيم الاحتفال العظيم بمد هذه الاسلاك وكانت اول اشارة ارسلت عليها هي : « اتصلت انكلترا وامريكا بالتلغراف فالمجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة » وانعم عليه عقب ذلك برتبة « سير » وانهالت عليه التهاني والانعامات من اكثر ممالك اوروبا .

ومن اختراعاته الشهيرة الابرة المغنطيسية واجود انواع البطاريات

الكهربائية وغيرها كثيراً ويؤكد الخبيرون ان كل مشتغل بطب او بصنعة دقيقة لا يقدر على العمل بحرفته من غير استعمال ادوات هذا الفيلسوف فهو لحين وضع هذا الكتاب لم ينقطع عن الاختراع والاكتشاف اسبوعاً واحداً حتى صار مرجع ثقات العارفين في كل امر يتعلق بهذه العلوم .

وقد رقي في سنة ١٧٩٢ الى رتبة الاشراف واعطي لقب لورد وصار يعرف بلورد كلفن وانتخب لرئاسة جمعية العلوم الانجليزية . وقد احتفل في هذه السنين الاخيرة بلوندرا احتفالاً باهراً بمرور خمسين عاماً على اشتغاله بالتدريس والتأليف فحضر الاحتفال العلماء ومندوبو الجمعيات العالية من كل انحاء انكلترا وبلدان اوروبا واميركا

« شكسبير »

« Shakespepre »

اشعر شعراء الغربيين على الاطلاق وامام شعراء الانكليز ونسيج وحده في الروايات التمثيلية

ولد سنة ١٥٦٤ في مدينة ستراتفورد من مقاطعة واروبك ، وهو اكبر اولاد جون شكبير الذي على مايقال كان فلاحاً يعيش من ريع ارضه وقد اختلف المؤرخون في شهرة ابيه وحرفته لان شهرة ابنه حملتهم على ان يحثوا مدققين عنه فمن قائل انه كان جزاراً ومن قائل انه كان راعياً وقصاباً وكان ابنه يساعده في حرفته ومما لاخلاف فيه انه نشأ من اصل دنيء وتعلم مجاناً في مدرسة صغيرة في بلدته فاخذ عنها اللغة اللاتينية وقليلاً من اليونانية ولما أتى لوندرا تعلم الافرنسية والايطاليانية والاسبانيولية ثم وقع بابيه فقر مدقع اضطره ان يخرجه من المدرسة ويبقيه عنده ليكون عوناً له في صناعته فعلق في ٢٨ نوفمبر سنة ١٥٨٢ بحب حنه هاتوي من احسن عائلات بلدته وكانت تكبره ثماني سنوات فاقترن بها وعمره نحو التسعة عشر سنة ورزق منها ابنين وولداً

وقد مال شكسبير منذ نعومة اظفاره الى نظم الشعر فلما استقدمه اليه ابوه نظم قصيدتين شهيرتين ضمنهما شرح حاله والفقر الذي آل اليه والده وكيف ترك المدرسة غير متمم دروسه فطبعتا في لوندرا مراراً وانتشرتا في انحائها انتشاراً نال به بعض الشهرة بمدة وجيزة

وقد تقلب بعد ذلك ردحاً على حالة عسر وكان يزاول على حضور

التمثيل في بلدته فتاقت نفسه الى الاهتمام بهذا الفن لما كان له من الميل الى النثر والنظام ورأى بالتمثيل اشرف صنعة لتحصيل عيشه وعيش عائلته فاندمج في سلك مشخصي جوق البلدة ونال شهرة عظيمة بما بدا منه بحسن التوقيع فاستبشر به مدير الجوق وحزم ان ينتقل برجاله الى لوندرا فاجمع الممثلون ان لا يرحلوا اليها الا وشكسبير معهم فعزّ عليه اولاً فراق قريته واهله ولكن ضيق حاله اضطره الى اجابة طلبهم فترك ستراتفورد وهو دون الثالثة والعشرين من العمر ونزل لوندرا وقام فيها على التمثيل بلسان فصيح مبين وكان يمثل على الخصوص ادوار الملوك لتناسب هيئته وجمال طلعته فكان يؤثر على السامعين بحركاته ونظراته وصوته تأثيراً عظيماً وتوج ملك التشخيص بوقت قريب وظلّ يمارس هذا الفن الى سنة ١٦٨٩ فألف في اثناء هذه المدة اجواقاً عدة كان يرأسها بنفسه وروايات كثيرة كان يمثل اهم ادوارها وقد دهش بوقائعها بنو جلدته وانتشر امرها في اوروبا فترجمت الى اكثر لغاتها .

وهكذا فقد احيا شكسبير فن التمثيل وذاع صيته حتى طبق الفضاء وزادت شهرته حتى بلغت حدّ الانتهاء وانبعث يتدرج في معارج المجد والفخر حتى رأى ان المنزلة التي نالها بين الشعب لا تخول له البقاء بين الممثلين فانعزل عنهم سنة ١٥٩٠ وعكف على التأليف واخذت بنات افكاره الفتانة تواصل تمثيل كل ما يلم من الحوادث بالانسان فوضع روايات كثيرة لا يسعنا حصره لان اكثرها لم تطبع في حياته ولانه لم يكن يقصد بها سوى تحصيل ما يساعده على القيام بشؤون عائلته بيد انه ربح منها مالاً وافراً بمدة قصيرة حتى قدر دخله بمائة وعشرين الف فرنك سنوياً . واكثر الروايات التي كانت تظهر في حياته

كان يهتم بنشرها اصحاب المطابع دون التصريح منه بطبعها كما انهم كانوا يطبعون روايات كثيرة باسمه وهي ليست له فكانت تروج اتم رواج

وكان يذهب سنوياً لزيارة بلدته ويشتري فيها الاملاك الكثيرة حتى صار معظمها له ونزعت نفسه فيما بعد الى الولوج في زمرة الاشراف الا انه توفي في اليوم الذي ولد فيه من شهر مايو سنة ١٦١٦ ولا يزال بيته الى الآن موضع اعتبار كبير عند الانكليز

ومهما بالغ الكاتب في وصف ذكاء هذا الشاعر واقتداره على ابتكار الحوادث والمعاني فانه لا يبلغ الحقيقه ذلك لما بدا من مهارته الفائقة في تمثيل احوال بني البشر احسن تمثيل فسبر غور القلوب وابصر ما ثوى فيها واستقر ومثل الانسان على اختلاف اهوائه واطواره وكشف النقاب عن اسرار طبيعته واكتشف غوامضها . فمثل الاطوار الدنيئة والاميال المنحرفة : مثل الضغينة والمكر في روايته المسماه (بدوي ولا شيء يعني جعجعة ولا طحن) والحسد باشد احواله في رواية « اوثللو » والطمع باجلى مظاهره في رواية « مكبث » ثم الجنون في رواية الملك لير والعظمة والرزانة بشخص يوليوس قيصر . وغير ذلك .

وقد بلغت به (التراجيدي) الروايات المحزنة حداً لم يتجاوزه للآن ولا خلاف بان اعظم الروايات التي تمثل على المراسح الآن هما هملة وروميو وجوليت اما في هملة فقد مثل بمظهر يلين له قلب الجماد ويتفتت لمثله الفؤاد ثورة الابن وقلق باله واضطراب افكاره بعد موت والده فجعله يرى ضياء الدنيا ظلاماً ونور الشمس قتاماً اذ عرف من طيف والده الذي ظهر له من بين الاموات

[illegible] فيه روح العزم لاخذ الثار [illegible] طلبات شبابه وبمثل ادوار المجنونين ووصف عيش الدنيا وباطلها بوصف يبلغ به منتهى الابداع واقوال حماسية تصلب قلب الجبان وتثير ثائر الشجاعة في قلب الضعيف .

ولا غلو اذا قلنا بان رواية روميو وجوليت تفوق ما مثل للآن عن الحب من الروايات في لغات العالم اجمع وقد ترجمت الى كل اللغات ومثلت على مراسح الارض طراً . مثل فيها مؤلفها شاباً وفتاة في سن الصبا وزهرة العمر كلاهما في الحسن آية وفي الجمال غاية واوجد العداوة بين اهليهما وذويهما ثم سلط عليهما عشقاً عنيفاً قوياً ختم على عقلهما وبصرهما واوقفهما مواقف حرجة تبادلا فيها الوجد والهيام بمنتهى ما يكنه فؤاد الشاب بكلام جرى بين العشاق مجرى الامثال ثم جعل حبهما سبباً لهلاكهما فانقض عليهما كالصاعقة انقضاضاً سريعاً فلم يفترق قلباهما في الحياة كما ان البين لم يقدر على التفريق بينهما في الممات بل ذهبا بعد وقائع فظيعة يقشعر لها الانسان شهداء الغرام وقتلى المحبة الخالصة وساد عليهما سلطان الحب في الدارين .

وقد أجاد هـذا الشاعر بتمثيله النساء تمثيلاً حسناً فجعلهن بشخص جوليات وكورديا واوفليا وميراندا ودسدومنا ملائكة هبطت من الجنان وانسلت الى أماكن البشر .

وجملة القول ان شكسبير نهج في رواياته منهجاً جديداً لم يسبقه اليه أحد من الكتبة والمؤلفين جعل به شأناً عظيماً للغة الانكليزية وجاء لقومه معلماً يهذبهم وراوية يحدثهم بما اتوه من الاعمال من عهد

ينتسبا الى هنري الثامن . واظهر لهم على منصة المشاهدة من تيارو بيلا كليوباترا صورهم الصلبة والحاضرة وحالة التوحش والهمجية التي كانوا عليها والكبرياء والاناة المتصفين بهما وكثيراً من الاحوال التي لا تستقيم معها احوالهم ولا تثبت جوازهم في ثبوتها فاودع بذلك من اقواله الظاهرة في عقولهم نوراً واثر عليهم تأثيراً فعل في نفوسهم فعل السحر فعرفوا للحال حقيقة أنفسهم وادركوا قدر الشاعر الذي نبغ بينهم وترنحت باقواله اعطافهم عجباً فاخذوا يتناشدون معانيها في كل سفر وحضر وسارت بها الركبان مسير الشمس والقمر ودعوا عصره بالعصر الذهبي للشعر الانكليزي وامتاز على غيره من الاعصر كما امتاز عصر الجاهلية عند العرب وعصر هوميروس عند اليونان وعصر فرجيل عند اللاتين .

ومن الغريب عند الانكليز ان الشاب لا يصير في عرفهم جنتلمان اي أديباً ولا يظهر في العالم ظهوراً تاماً ولا ينال ما تطمح اليه نفسه الا اذا قرأ أشعار هذا الشاعر وعرف استعمال ضروب الاستعارات والكنايات التي اشتملت عليها . ولذلك ترى كتاب الانكليز تعمد في كتاباتهم واقوالهم لتزيدها رونقاً وبهاء بتحليتها بما جاء من المعاني المتبكرة البديعة في رواية هملة او رواية روميو وجوليت او غيرهما من الروايات . فآدابهم كما قال احد المؤلفين تجري مع اقواله وبها ولاجلها وهم يفاخرون به ولا تراهم في اية بقعة من بقاع الارض الا وهم يقولون لبعضهم بعضاً « شكسبير انما نبت في ارضنا ونما تحت جو بلادنا فدمه من دمنا نقول اقواله ونفاخر به الارض ولا نرضى عنه بديلاً من شعراء العالم اجمع » .

وقد وصفه اسكندر دوماس القصصي الفرنساوي الشهير بقوله : ان شكسبير هو الرجل الفرد الذي أبدع في الكون بعد الله .

« جون ملتن »

« Milton »

هو الشاعر المشهور « صاحب الشعر المعروف بالفردوس المفقود »

ولد بمدينة لندره في ٩ ينابر سنة ١٦٠٨ وتلقى مبادىء العلوم في بيت ابيه ثم تخرج في كليه كمبريدج الجامعه وكان ميالاً من صغره الى الشعر فنظمه وهو في الخامسه عشره من العمر . ولما عاد الى بيت ابيه بعد ان اتم دروسه عكف على البحث والاستقراء في كتب الآداب فصنف روايه شعريه اودعها آيات البلاغه ودرر المعاني حتى صار الناس يتداولون عباراتها كما تتداول الامثال فاعيد طبعها وكرر تمثيلها وترجمت الى اللغات الاورويه وجمات له شهره عظيمه ثم اتبعها باربع قصائد كان ايضاً الاقبال عليها عظيماً

وعمد في سنة ١٦٣٨ الى السياحه في أوروبا وبعض مدن ايطاليا وقابل في روميا غاليل الطبيعي الشهير وكثيراً من علماء عصره وشعرائهم وفلاسفتهم واذاع هناك آراءه الدينيه الحره واطلع على الكتب النفيسه التي اشتملت عليها مكتبة الفاتيكان . ولما بلغه حدوث الثوره العظيمه في بلاده آب اليها ليخدمها بآرائه فاشتهر قلمه ضد خدمة الدين المتطرفين في التعصب . ولما تشيدت دعائم الجمهورية عين كاتباً لها في اللغه اللاتينيه لانه كان الوحيد القادر على الانشاء بها . وصنف مؤلفاً على سلوك الملوك والحكام كان غرضه منه تسكين ثورة الخواطر

التي عمت طبقات الشعب

ولما تولى تشارلز الثاني على انكلترا رغب في الاقتصاص من الذين عملوا على قتل ابيه فكلف احد علماء مدرسة ليون ويدعى سلماسيوس بتأليف كتاب يدافع عنه . فانبرى ملتن للاعتراض عليه فزرق حجته بادلة قاطعه في كتاب سماه دفاع الانكليز تنبهت له الافكار وكان له الوقع الشديد في كل اوروبا وذهب دفاع سلماسيوس كان لم يكن شيئاً مذكوراً وقيل انه قضى كمداً وهو يحاول الرد عليه . فاقبل سفراء الدول على ملتن يهنئونه بما ناله من النصر المجيد والمكانة العليا وقد عمي وهو يؤلف هذا الكتاب من كثرة الدرس والسهر ولكنه ظل على التأليف يملي الكتاب وهو متكئ على مقعد . فألف على هذا الكيفيه ثلاثة تآليف كبيره وهي قاموس في اللغه الانكليزيه وتاريخ عام لبلاد الانكليز وبارادیس لوست أي « الفردوس المفقود » .

ولما شرع الملك تشارلز الثاني في قتل زعماء الجمهوريه خاف على ملتن بعد أصدقائه فاشاعوا موته واعدوا جنازة حافله ساروا بها الى القبر وواروها في التراب . ثم بلغ الملك امر تلك الحيله فضحك منها وعفا عن دمه بشفاعة الكثير ولكنه أمر بحرق كتبه التي حامى بها عن حرية الانجليز . ولا ريب في ان اعظم قصائده وابلغها واطولها هي قصيدة الفردوس المفقود المشتمله على عشرة آلاف وخمسمئة واربعة وستين بيتاً . وقد مكث على نظمها مدة خمس سنوات كان ينظم اكثرها في فصول الشتاء حيث كان يهب من نومه ويبرز عرائس افكاره لامرأته وهي تكتبها . ولما فرغ من تدبيجها بالعبارات البليغه والحكم البديعه عرضها على احد اصدقائه فاجابه بعد مطالعتها . لقد

اسهبت في وصف الفردوس المفقود ولم تذكر الفردوس المردود فاستصوب ملتون رأيه وعكف على نظم قصيدة ثانية وسلمها له بعد قليل من الزمن قائلاً اني مدين لك بها . ويروى انه بينما كانت القصيدة الاولى تطبع حمل (المرجون دسمر) بعض ملازم منها ودخل مجلس العموم قائلاً « هاكم ابلغ شعر نظم للآن » .

وقد امه في عزلته كثير من العلماء والشعراء منهم اخو الملك كارلوس وقال له : الا تظن ان فقدك بصرك هو قضاء من الله بسبب الكتابات والرسائل العديدة التي اذعتها ضد المرحوم والدي الملك . فاجابه اذا كان كل مصاب يعتبر قصاصاً الهياً فاعتبر اذاً ان قطع رأس والدك المرحوم هو من هذا القبيل . فارغى اخو الملك ساعتئذ وازبد وخرج تواً ولاقى اخاه الملك وطلب منه قتل ملتون فقال له الملك : او رأيته . قال نعم . قال وكيف رأيته . قال في فقر مدقع وبلاء موجع هرماً ضريراً . فقال الملك اذ اقتلناه ارحناه من هذه البلايا . غير انه توفي بعد قليل بعد ان لاقى اشد الآلام فتأثر الشعب الانكليزي لموته ومشى عظماؤهم واكابرهم في حفلة جنازته

ومن غريب الاتفاق ان هذا الشاعر العظيم اشبه ابا العلاء المعري الشاعر العربي المشهور في عمى بصره وتوقد بصيرته وحرية فكره وسرعة خاطره وليس بين شعرهما اختلاف يذكر بل قد توارت خواطرهما في امور كثيرة .

وقد ضمن ملتون قصيدة الفردوس المفقود الطويلة المعاني البديعة عن معارف القدماء المحدثين الحقيقية والوهمية واودعها الخطب الحماسية والمسامرات

الحية ووصف الحروب والخطوب والسهول والاوعار والجبال والرياض والملائكة والابالسة بابدع وصف وابلغ عبارة

« اللورد بيرون »

« Byron »

هو احد مشاهير شعراء الانكليز وآية عصره في فن القريض ومهبط اسرار خيال الطبيعة ومخرج ابكار المعاني من خدورها

ولد في مدينة دوفر في الثاني والعشرين من شهر يناير سنة ١٧٨٦ من بيت قديم عريق في المجد يتصل نسب ابيه بالنورمنديين ونسب امه بجمس الاول ملك ايقوسيا . ولم يكن بين ابويه ائتلاف فهجر الرجل امرأته بعد ان ولدت منه هذا الشاعر وذهب الى فرنسا وبدد ماله وما لها في الخلاعة ومات غير مأسوف عليه . فانتقلت الام بطفلها لفقر حالها الى مدينة ابردين حتى اذا ترعرع وبلغ الخمس سنوات من العمر ادخلته مدرسة صغيرة وقدّر ان مات عمه وورثه فآل اليه لقب اللوردية مع ميراث عظيم وانتقل الى مدرسة هارو .

وكان من صغره شديد التأثر كثير التفكر سريع التذكر تلوح على وجهه دلائل النباهة والذكاء وتنبعث من عينيه تصورات الشاعر وتبرق اسرته بانوار الجمال . وما بلغ من العمر اشده حتى اولع بالنظر الى جمال الطبيعة كما صبا الى جمال الخليقة . فكان يقضي فصل الاجازة المدرسية بين جبال اسكوتلاندا ومناظرها الطبيعية . فرأى مرةً في مدينة آناندال بالقرب من نيوكاسل فتاة

خسيئة كالبدر حسنًا تدعى (ميس ماري شاورث) فمال اليها بكل عواطفه وعواطفه وعمد الى الوصول اليها والتقرب منها وكانت تكبره سنًا فكان يرمقها بنظرات الحب الاولية الصادرة من القلب ومن كل الحواس . واما هي فكانت ترمقه بنظرات الاستئناس بنباهته والاعجاب بجماله لا بنظرات حب وعشق كما كان يرغب . حتى اذا تزوجت خامره بلال البال وانقباض النفس فعمد الى الخلوة بنفسه في اكثر اوقاته بين المشاهد المتنوعة والمناظر المختلفة يطلب من عرائس الطبيعة ان تمحي صورتها من ذهنه لكنها ما كانت الا لتزيدها تمكنا فهاج فيه التذكار والشوق مرة حتى ترنحت قريحته بالشعر فنظم فيها قصيدته الاولى بين الوهاد والجبال وعنوانها « الفكر » وكان وقتئذٍ دون الخامسة عشرة من العمر .

وانتقل سنة ١٨٠٥ الى مدرسة كامبريدج الشهيرة فاشتهر فيها بالنباهة والذكاء وبشدة الميل الى الانشاء ونظم الشعر ولم يخضع لقانون او نظام بل كان يسرق ويتلف ويأتي بكل ضرب من ضروب الهزل واللعب . وكان مع ذلك منظر الجبس والتفكر مبرقعًا وجهه على الدوام فكان اذا نظر الى شيء يثبت عليه نظر المتعجب المنتقد وكان يتوقع زوال الانقباض الذي كان يشعر به في اكثر اوقاته بنظمه بعض القصائد الرنانة التي جمعها في كتاب سماه « ساعات الفراغ » وطبع سنة ١٨٠٧ بخروجه من المدرسة . فاطنبت الجرائد في مدحه وتواردت عليه التقاريظ من ارباب الصحف والاقلام الا ان جريدة ادنبورج صوبت عليه اسنة الانتقاد فكان ذلك داعيًا الى الاخذ بثاره ومحركًا اجهد قواه الى نظم درر المعاني واستخراجها من بحار البلاغة والبيان حتى نشر

قصائد هجاء بعنوان شعراء الانكليز والمنتقدون الاسكوتلانديون . فكان لهذا الهجاء رنة واهتمام في كافة انحاء لوندن وهكذا نال بيرون اربه واخذ بثاره ولم يترك هجاء تلك الجريدة ادنى اثر في النفوس

ومما ينكر عليه انه مع ما كان عليه من سمو العقل وغزارة المعارف وكثرة التصورات السامية لم يكن قادراً على لجم شهواته ومطامعه فانه ولم يبلغ سن الرشد الا وكان مديوناً بنحو عشرة الاف ليرا رغماً عما كان يتولى عليه من دخل تركة عمه .

وبالجملة فانه كان يتدرج من صغره مدارج الخلاعة ويترقى مراقي السفاهة حتى بلغ فيهما الغاية القصوى

وما جاءت سنة ١٨٠٩ الا وكان يقضي اكثر اوقاته وهو غائب عن وجوده وشارد عن حاله حتى اشتدت به تلك الازمة واخذ الضيق بصدره كل مأخذ . فهم لان يتنفس من بلاد غير بلاده وان يرى عجائب حقائق الخليقه فطاف في جنوبي اوروبا وصرف غالبه ووصل الى القسطنطينيه ومنها الى ازمير ثم عاد الى انكلترا بعد سياحة عامين والقى في البرلمان خطابا انيقاً اطنب الكل على مدحه والاعجاب به . ثم نشر القصائد الرنانة التي نظمها في سياحته بعنوان تشيلد هارولد (اخبار قاصر) فانتشر انتشاراً غريباً وتواردت عليه التهاني من الرجال العظام ومن حسان النساء فقال في ذلك قوله المأثور وهو : « ما طلع علي الصباح الا وانا من اشهر شعراء الانكليز » واعقب وقتئذ تلك القصائد باربع روايات كان انتشارها مزيداً في شهرته .

ثم طلب ان يتزوج بفتاة جميلة ذات ثروة وافرة وابنة عائلة كريمة

فرفضته بادئ بدء ولكنه ما برح عن مكاتبتها حتى اختلب لبها بسحر معانيه فاظهرت له الرضاء والطاعة واقترن بها سنة ١٨١٥ وعمره ٢٧ سنة وعمرها ٢٣ سنة . ولم يمض عام وبضع اشهر من زواجه حتى نفدت ثروته وثروة زوجته معاً فهجرته الى بيت ابيها بعد ان رزقت منه ابنة . فكتب اليها ان تعود اليه فابى ابوها وطلب انفصاله عنها انفصالاً شرعياً فرفض اولاً ثم قبل مكرهاً اذ تهدده بالشكوى الى الحكومة وشرعت بعض الجرائد تسلقه بالسنة حداد لاسباب زواجه فلم يفتها في ذلك من وجوه الانتقاد مافاتها منه شاعراً كبيراً . وهكذا بدأت الامور تتعسر في وجهه حتى كادت روحه تزهق فباع لبعض المطابع رواية الباريسية ومجموعة قصائد من غرر اشعاره نظمها مدفوعاً لها بعوامل اليأس اذ وجه بها الخطاب مودعاً زوجته وابنته ثم هام على وجهه نازحاً الى الابد عن بلاده

فاختار اولاً قضاء فصل الصيف على ساحل بحيرة جنيوه فأمه في ثلاث العزلة بعض شعراء اوروبا وهناك نظم القسم الثالث من تشيلد هارولد في ٤٨ ساعة بين الخضرة والجبال والماء . ويروى انه بينما كان يسير في تلك الانحاء مع صديق له ترويحاً لكربه اوغلا في المسير حتى وصلا الى غاب ملتف الاشجار غصونها يابسة واوراقها ناشفة عارية عن الحياة فلبث في سيره وقال لصديقه . انظر الى هذا الغاب فهو يمثل حال عائلتي وهيئتي . وبقي في سويسرا الى سنة ١٨١٦ ثم نزح عنها الى البندقية وهناك تهافتت عليه زمرة من حسان البلاد اللواتي سمعن بشهرته فاجتمعن عليه واخذ يسحب معهن مطارف الافراح وينظم القصائد البديعة مع الجلاء الرابع وقد انتهى من مخالب

تلك المعيشة بعض الوقت لتأليف رواياته الشهيرة مانفريد • بيبو • مازيبا وبدأ بالرواية الشيطانية الشهيرة بدون جيان •

وما زال يتمادى في تلك البلدة بالتهتك والخلاعة حتى تقابل في سنة ١٨١٩ بفتاة رومانية الاصل ذات جمال بارع باهر لم تتجاوز التاسعة عشر من العمر كانت ترافق شيخاً هرماً اقترنت به طمعاً بماله • فلما رأت بيرون لاول مرة افتتنت بطلعته وعلق هو بها ايضاً وجنح الى مغازلتها فتاقاتها وترك خطاياه لاجلها وصار يختلي بها ما استطاعا الى ذلك سبيلاً حتى افتضح امرها فهرب الشيخ بزوجته من وجه فاتنها الى راڤين بايتاليا • ولكن لم يزدها البعاد الا ميلا اليه وتمادياً في الكلف والتفكر به حتى اعتراها النحول والهزال فكتبت لبيرون تستدعيه اليها فلبى طلبها مسرعاً ولما عادت الى الصحة هربت معه فاقتفى اثرها زوجها واهلها ولما كلموها في تركه لم تعد تعقل ولا تعي ولا تصغ لقول ولا لنصح فاخذوها عنوة ثم مرضت من جراء ذلك حتى دنت من حياض الموت ولكن لم يخف على اهلها الدواء الناجع لها فاضطروا هم والزوج ان يلجأوا الى بيرون يستعطفونه بعيادة المريضة فما رأته حتى انبعث لها نور الحياة من انوار بهاءه وبقي تحت سماه يتهايمن ذويها حتى اذا شفيت تماما هجرت الشيخ زوجها وانفردت بحبيبها يتنقلان من مكان الى مكان وقد اشتهر حبهما حتى صار مثلاً • وكان يرى بيرون من جمال وجهها وميض برق يهديه الى استكشاف حقائق كانت غامضة عليه الى ذلك الوقت فنظم فيها قصائده العجيبة الرنانة البالغة اسمى درجات الابداع والتصور • وألف اثناء امتزاجه بها روايات عدة منها مارينو مها فالوريو ما الفوسكاري وقايين واسرار السماء والارض

ثم اتم رواية دون جيان الشهيرة (وهذه الرواية تمثل حالته ومعيشته)

ولما ثارت اليونان تطلب استقلالها عمد الى تغيير المنهج الذي سار فيه الى ذلك الحين فاتحد مع الجمعية اليونانية بلوندرا وامد اليونان بالذخائر والنفقات التي كانت ترسل له ووعدهم بالزيادة . وروى بعضهم انه كان يسعى ليجعل نفسه ملكاً عليهم . ولكن المنية عاجلته في مدينة مسيولنجي من بلاد اليونان وهو في السابع والثلاثين من عمره . فحزنت عليه تلك البلاد حزناً عظيماً لما كان له من الايدي البيضاء عليها ولما بذله من المساعدة في سبيل استقلالها وحنط جسده وحفظ مدة ٢١ يوماً في كنيسة القديس نيقولا بين ضريحي البطلين اليونانيين العظيمين نورمان ومارك بواتزاريس . ثم ارسل الى لوندرا ودفن بجانب والدته . وقد بكته معشوقته بعد وفاته وذرفت عليه دمع الثكلى ونشرت مؤلفاً عنوانه (تذكراتي الى اللورد بيرون) اسهبت فيه الشرح عن الايام التي قضتها معه واوضحت لاي حد كان كلامه مهيجاً مؤثراً في القلوب وخصوصاً في قلوب النساء والشبان وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية فكان الاقبال عليه عظيماً

وقال عنه بعض المؤلفين انه يندر ان يوجد شاب استوفي حظ الشباب مثله . او شاعراً جاهد في الفكر وفي الخلاعة جهاداً عظيماً مثله . وهو معروف بالشاعر المتهتك . تمت فيه قوة الذكاء لحد ان كاد يكشف حجب الضمائر ويهتك اسرار السرائر . فال الى استبدال مرئيات الاعصر الخالية بعجائب عصره . وكانت اشعاره وكتاباته واقواله دررو غرر مرقصه مطربه محزنه مبكيه ذات معان مبتكرة مؤثرة بنوع اخص في قلوب الشبان والنساء . وقد

ترجمت اكثرها الى اللغات الاوروبيه :

« والتر سكوت »

« Walter Scott »

هو الروائي الكبير والشاعر الاسكوتلاندي الشهير ولد سنة ١٧٧١ في بيت كريم من مدينة ايدنبرج . وكان في صغره مثل نيوتون لم يمتز بشيء من الذكاء والنباهة . وكان ضعيف البنية نحيف الجسم حتى خيف عليه من السل الرئوي فأرسل وهو في السنة الثانية عشرة من عمره الى الخلاء فلازم الفراش مدة في بيت احد اقاربه ثم عكف على قتل الوقت بمطالعة ما حوته مكتبة البيت من نفيس الروايات والكتب التاريخية فاخذ يدقق ويحقق في درس عوائد واخلاق الفلاحين وينظر الى المناظر الطبيعية نظرات ناقد بصير أثرت في مخيلته تأثيراً حسناً .

ولما تماثل ونما جسمه عاد الى المدرسة فماز على اقرانه في مزية الانشاء ورغب بنوع خاص في مطالعة التاريخ ووقائعه الغريبة . ويروى عنه وقتئذ انه اشتهر بين اقرانه بالقصصي . فكان اذا تعب وتعبوا من شدة الدرس انتظموا حواليه وقت اللعب على شكل دائرة يجلس هو في منتصفها فيروي لهم احسن الفكاهات والنوادر . ثم رغب في اتخاذ صناعة المحاماة وسيلة للمعاش فقبل محامياً لدى المحاكم في سنة ١٧٩٢ وكان يبتاع بمعظم ربحه منها الكتب الادبية فيطالعها بلذة واهتمام ويقضي اكثر وقته في معاشرة الاصحاب في النوادي العلمية باحثاً مستقرياً نوادر عصره وعوائد بلاده . وللاحاطة علماً بعوائد

ونوادر البلاد الاجنبية انكب باكله الى درس لغاتها فتعلم الفرنساوية والالمانية . ثم مال الى التجول بين الاراضي الواطئة والعالية في اسكوتلاندا ليقرأ من خلال الوهاد والجبال ما خطته يد الطبيعة ويستزيد من طباع الاهالي معرفة وفائدة ثابتة في نفسه محدودة .

ورأى في تجوله عند شاطىء بحيرة كمبرلند فتاة فرنساوية كانت تقطن مع عائلتها في تلك الجهة فمال اليها ثم اقترن بها ورزق منها ولدين وابنتين . وصار وقتئذ دخله من المحاماة غير واف بنفقاته الطائلة فجنح الى نهج خطة التأليف وشرع اولاً في نظم الشعر . فنشر عدة منظومات صادفت من الجمهور اقبالاً عظيماً فعد في وقت قريب ثاني شعراء المملكة بعد اللورد بيرون .

وادرك وقتئذ ان اعظم اسباب هذه الشهرة اجادته في محاسن الوصف والتشبيه مما استفاده من المناظر والمشاهد المتنوعة التي رسخت في مخيلته منذ صباه . وكان اعظم قصائده التي ضمنها التفنن في الوصف والتشبيه والغزل والحماسة هي قصيدة سيدة البحيرة وقد اتبعها بقصائد اخرى لم ينشرها باسمه فلم يرَ من القراء ادنى ميل اليها وآنس بعد التأمل طويلاً بعوائد بني جلدته ودرسه اطوارهم ان معظم اقبالهم انما هو بين التفكهة بقراءة الروايات المدبجة والمحلاة بالوقائع التاريخية . فاستقر عزمه وقتئذ على التأليف ونشر في سنة ١٨١٤ اول رواية وعنوانها (واقرلي) فصادف لها نجاحاً لم يكن يؤمله لانه لم يضع اسمه عليها . لكن الانكليز عرفوا انها تأليفه فدهشوا بمبناها ومعناها وسموها الرواية السحرية واصبح لقب مؤلف واقرلي عنواناً له . واتبعها في تلك السنه بنشر ديوان الشاعر سوفت بتسعة عشر مجلداً مع ما وضع

بعيدة من الشرح الطويل . ثم كتاب آخر عنوانه آثار الحدود ثم روايتين فقصيدة بديعة وصف فيها واقعة واترلو الشهيرة

وانقطع بعد ذلك الى تأليف سلسلة روايات ظل في تأليفها مدة ستة عشرة سنة كاملة . ولما انتشرت استحسنها الرأي العام واجمع علماء الارض انها تحفة من تحف العصر وطرفة من طرائف القطر الذي نشأ تحت سمائه . ذلك لانها مثلت عوائد البلاد المختلفة واطوار مستندة الى الوقائع الحقيقية التاريخية احسن تمثيل فكرر طبعها مراراً بالانكليزية وترجمت الى اللغات الاوروبية (ونقل منها الى اللغة العربية رواية قلب الاسد) وشرع مصور والمصر يصورون اكثر وقائعها ويبيعونها واقتضب منها روايات تمثيلية والف منها الموسيقيون ادواراً للغناء بها على الآلات الموسيقية حتى غدت مستودع الادب والنوادر والملح والحكم والامثال . وربح من تآليفه ربحاً وافراً حتى قدر ايراده السنوي بعشرة آلاف جنيه كان ينفق معظمها في مظاهر الابهة . فاقتنى قصراً فخماً في ابوتسفورد وزينه بالآثار القديمة وغالي الرياش وفاخر الاساس مما لا يوجد الا في المتاحف او في قصور الملوك . وفي سنة ١٨٢٠ انعم عليه الملك جورج الرابع بلقب بارون . ونشر من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٤ عدة روايات زادته ثروة وشهرة . وكان لسوء حظه مشتركاً في شراء القراطيس المالية مع رجل يدعى بالتين فآل حاله الى الدمار فلبث صاحب الترجمة يعامله بكرم لا يوصف حتى افتقر وشاع خبر عوزه فأخذ من قومه العجب وقال عنه الكونت دوزلي (احد عظماء المملكة) من العجب ان مؤلفاً مثل والتر سكوت تؤول امره لهذه الحالة من العوز والاحتياج ولكنني اضمن انه اذا دفع كل فرد قراء رواياته

فارتاح لعافية لا تزيد عن الستة بنس . فلا يصبح عليه الصباح الا وهو اغنى من روتشيلد

واقبلت عليه المصائب من ذلك العهد تترى من كل الجوانب حتى كادت تلقيه في شر المعاطب فاصيب اولاً بفقد زوجته وتبعها فقد احد اولاده غير ان صروف الحوادث لم تخمد همته عن مثابرة التأليف والعمل . بل نشر في سنة ١٨٢٧ تاريخ نابوليون الاول في تسعة مجلدات وكرر طبع رواياته بعد ان اصلح فيها كثيراً فنال من المال مبلغاً وافراً وفى منه جانباً عظيماً من ديونه مما جعله مثالاً للنزاهة وشرف النفس

وانكف عن الاعمال مضطراً في سنة ١٨٣١ حيث اصيب بفالج في جسمه فانحطت قواه الجسدية واشتدت عليه العلة فاشار عليه الاطباء بتبديل الهواء في الاماكن الحارة فخصصت له الحكومة مركباً يقله الى مالطه فنابولي فروما . واشتد عليه في البحر الداء فعاد به المركب الى انجلترا وهو غائب عن الرشد فنقلوه الى قصره وذلك في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٨٣٢ وهناك تنبهت كل حواسه تنبهاً زائداً برؤية قصره العزيز واشجاره التي غرسها بيده وكتبه وتآليفه فهتف بكل قواه هتاف الفرح . وظل طريح الفراش حتى اهتصرته المنون وهو بين اولاده وذويه في اليوم الثاني من سبتمبر سنة ١٨٣٢ ودفن بكل تجلة واكرام في مدفن والدته في كنيسة درببرج وقد اقيم له في مدينة ايدمبرج قبة جليلة عليها تمثاله . وكان لنعاه رنة حزن واسف في اوروبا قاطبة وفي قلب كل من قراء رواياته وارتشف من بحار ادابه

ومما يروى عنه انه كان اكثر الناس حرصاً على الوقت يفتخر بكونه كثير

العمل ويقول ان القوى العقلية تقوي بتعاطي الاعمال وان افضل معارف الانسان ما اكتسبه بنفسه . وقد اتخذت حياته ومؤلفاته العديدة الشابة المطالب مثالاً للمواظبة

[illegible]

وهو من صفاته انه كان حلو الفكاهة والحديث سريع البادرة اشتهر بما كان له من المواظبة والجلد على الاشغال وكان كثير التدقيق في كل اعماله واقواله وكتاباته فما كان يكتب شيئاً الا بعد تروٍ وتحقيق وقد قال اللورد ملبورن بهذا الصدد « اريد ان اكون واثقاً من شيء واحد ثقة ماكولي بكل الاشياء » وفي تصفح تآليفه دليل كافٍ على منزلته وقيل لم ينشرها الا بعد ان احيا الليالي الطويلة بالدرس والمطالعة . وكان اذا اراد ان يستشهد ببعض المؤرخين قبله يبدأ بان يعرف قدر ذلك المؤلف ومقامه من العلم وما يمكن ان يكون ارتكبه في اقواله من الغلط عن اهمال او عن غرض .

وله ايضاً شهرة بطلاوة الكتابة والانشا وفي نسق الحوادث وسردها وقد يرتاح المطالع لمؤلفاته بما تتضمن من كثرة الشواهد والنوادر بحيث لايبدأ في اولها الا وهو يرغب في الوصول الى نهايتها وتاريخه لايزال يرجع اليه المؤرخون وقد ترجم الى اكثر اللغات

الدكتور وليم هارفي

« Doctor Harvy »

من نطس اطباء الانكليز الذين كشفوا القناع عن الغوامض الفسيولوجية ولد سنة ١٥٧٨ في عمالة كنت ودرس في اشهر مدارس ايطاليا وتخرج في المنطق والفلسفة الطبيعية من مدرسة كمبريدج الطبية ثم تعاطى صناعة الطب في لندن واشتهر امره فعين طبيباً لمستشفى ماري برثلاوس ثم مدرساً في مدرسة الاطباء ، وعكف بعد ذلك على درس الحقائق الطبيعية بالتجربة والامتحان فزاول على البحث والتنقيب ولم يكتف بالاعتماد على الاراء وقد ادى به ذلك الى اكتشاف الدورة الدموية في الانسان والحيوان الا انه لم يذع امر هذا الاكتشاف العظيم حتى قام الجدال بسببه بين الاطباء على قدم وساق فتابعه البعض وخالفه البعض الاخر واخيراً سلم بارائه الذين كانوا يخطئونه واعتمدت عليها ايضامدارس اوروبا الطبية ، وبني عليها علم الفسيولوجيا وهو من اعظم العلوم واهمها

وقد طبقت شهرته الآفاق فعين طبيبا لجمس الاول وخلفه تشارلز الاول وحضر الحرب الاهلية التي شبت وقتئذ وانحاز الى حزب الملك .

ولما انطفأت نار الحرب آوى الى بيته في سري وعكف على البحث والتنقيب عن الحقائق الطبيعية وقد امه في عزلته هذه صديقه الدكتور رانت ونال منه بعد الالحاح الشديد الاذن بطبع كتابه الكبير في تولد الحيوان وقد انتشر هذا المؤلف انتشاراً عظيما وعده العلماء اعظم ماظهر في بابه بالنسبة لزمانه .



الدكتور جنر

هو الطبيب الشهير [illegible] ولد في السابع عشر من شهر مايو سنة ١٧٤٩ في [illegible] من [illegible] بلاد [illegible] فلما اتم دروسه دخل المدارس الطبية ثم رغب في الفنون الجراحية فزاول درسها على الاستاذ هنتر الفسيولوجي الشهير الى سنة ١٧٧٢ ومارس بعد ذلك صناعته في بلدته الى سنة ١٧٧٥

وقد عنّ له لمجرد سمعه بان الذي يصاب بجدري البقر يسلم من الجدري العادي ان يراقب هذا الامر ويبحث بحثاً مدققاً عن علاج واقٍ من الجدري وقد كثرت به الاصابات وقتئذ فتك بالعباد فتكاً ذريعاً فقضى لذلك عشرين عاماً في الابحاث والتجارب حتى تيسر له الوصول الى طريقة التطعيم فطعم ابنه اولاً ثم اذاع اكتشافه هذا في رسالة ذكر فيها انه طعم عشرين شخصاً بجدري البقر فلم يعد ممكناً لجدري العادي ان يصيبهم لا بالمخالطة ولا بالتلقيح ورغب بعد ذلك تعميم التطعيم ولكنه لاقى كغيره من المكتشفين المصاعب الكثيرة وقام ضده خصوم كثيرون نسبوا اليه اموراً كثيرة لم تكن لتثني عزمه بل ظل يقاوم الاضداد ويمارس التطعيم ويجربه حتى ادركت الحكومة الانكليزية الفوائد العظيمة التي افاد بها هذا الطبيب النوع الانساني وقدرته حق قدره فكافأته بنحو ثلاثين الف جنيه ثم احتفلت بدفنه في سنة ١٨٢٣ ونصبت تمثاله في ساحة ترافلغار تخليداً لذكره

[illegible]

[illegible] بدراهما بنشر [illegible]

بعيداً عن العالم الى المطالعة و[illegible]

[illegible] وشرع منذ سنة ١٨٣٧ [illegible]

بتأليف مذهبه في اصل الانواع وكان في عزمه [illegible]

اتخاذ الوسائل اللازمة للتوصل الى حقائق الامور وادراك [illegible] نحواً من اثنين وعشرين سنة يتعهد تأليفه في اصل الانواع وقد حاول ان يثبت فيه بالاختبار اختلاف معيشة الجنس البشري على سطح الكرة الارضية الى الترقي الدائم بدون اسباب خلقية نظراً لما بين الكائنات الحية من العلائق الفسيولوجية .

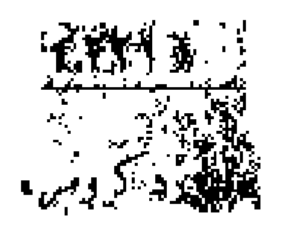
ولما نشر هذا التأليف نفدت الطبعة الاولى كلها حال خروجها من المطبعة فأعيد طبعه مراراً وترجم حالاً الى اللغات الاوروبية ولكنه اثار غضب اهل الدين فقاموا عليه يداً واحدة وتجردت اكثر الجرائد لمناصبته ومعارضته وكان الاستاذ هكسلي الشهير اكبر المنتصرين له بيد أن ثورة هذا الجدال لم تطل حتى سكن كل ثائر ضده وتابعه على رأيه كثير من علماء المشرق والمغرب

وفي سنة ١٨٧١ اذاع عاماً مذهبه في تسلسل الانسان فجاء متمماً لمذهبه في اصل الانواع وقد قرر فيه بان الانسان نشأ مترقياً من نوع من انواع

[illegible]

ومع [illegible] دروين مؤلفاته وآراءه شهرة عظيمة فنال الوسامات العلية [illegible] لاكثر الجمعيات الانكليزية وقد كان قدوة في الجلد والصبر لم يأخذه الملل من التأليف مع اعتلال صحته وتحامل الاخصام عليه فوضع عشرين كتاباً بحث فيها عن مسائل علمية ذات شان خلا ما اتحف به الجرائد العلمية من المقالات الرنانة التي يستغرق فهرسها وحده نحواً من خمسة عشر صفحة ...

وقد وضعت الحكومة الانكليزية في سنة ١٨٩١ تخليداً لذكره نيشاناً باسمه رسمت على وجه من وجهيه رسمه وعلى الوجه الآخر رسم اكليل مضفور من أشهر النباتات التي بحث فيها وفي وسط الاكليل اسمه وسنة وفاته والحكومة تزين بهذا النيشان صدور العلماء الذين يمتازون بعلم او اكتشاف .



[illegible] كرومر

Lord [illegible]

[illegible] وكيلا بالقطر المصري من سلالة [illegible] بالشرق [illegible] البنك الشهير باسمها [illegible] بمدينة لوندرا في سنة ١٨٤١ ولما تقدم [illegible] في معهد العلم والادب وربي في المدارس الابتدائية احسن تربية وتهذيبا كان [illegible] بويدا منه الميل الى الجندية صغيرا فارسله ابوه الى مدرسة ووليش الحربية وهو في الثالثة عشرة من عمره فظل يتلقى علومها بنشاط واجتهاد حتى الثامنة عشرة فالتحق بالجيش وخدم في المدفعية اثنتي عشرة سنة ببسالة واقدام استحق عليهما الحمد والثناء .

وفي اوائل سنة ١٨٦٠ عين مساعدا للسير ستوركس والي جزيرة كورفو اذ كانت يومئذ تحت ولاية انكلترا ثم تبعه الى جزيرة جمايكا (في جنوب امريكا) لتعمل مشكل سياسي واخماد فتنة كانت ثارت وقتئذ وتفرغ عند عودته من هذه البلاد لدرس الفنون العسكرية ليعد نفسه الى ماتؤهله الى الحروب الكبيرة

ولما انتشبت نيران الحرب في سنة ١٨٧٠ بين المانيا وفرنسا انتظم في خدمة الجيش الالماني وترجم كتاب « لعب الحرب » من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية وهو يشمل وصف الوقائع والحوادث التي اتاها وقتئذ الالمانيون .

[illegible]

[illegible] والاقتصاد مدة ثلاث سنوات [illegible] حكومته الاخيرة في مصاف ذوي العزائم الكبيرة [illegible] الايام .

ولما احتلت انكلترا مصر بعد واقعة التل الكبير وبدأت في اصلاحها جيئت صاحب الترجمة والمستر ادجار فنسان والكولونيل مونكريف والسير [illegible] ورد كل واحد منهم لاصلاح عمل من فروع الادارة ولا يخفى ان مصر كانت بعد الثورة العرابية بضع سنين على حالة عظمى من الفشل فلما رأت انكلترا ذلك استقدمت اليها مندوبيها الثلاثة واتقت صاحب الترجمة [illegible] السياسي واطلقت يده لتصريف الاحوال في الديار المصرية [illegible] فاخذ يعين في المناصب الخطيرة من يعهد بهم الكفاءة والاهلية من كبار الانكليز وباشر العظائم باشد العزائم . وقد مضى على احتلال الانكليز لمصر مدة سبعة عشر عاماً اتوا فيها من امور الاصلاح ما عجز عنها سواهم .

PART II.

I. History of Queen Victoria

II. English Gouvernment; System Policy etc.

III. England's Debt, Income & Expenditure

IV. Agriculture, Commerce, arts & Industry — several chapters

V. Army & Navy

VI. Manners & customs

VII. English language & Literature

VIII. British Law & Justice

IX. Newspapers, books, etc.

X. Prince of Wales

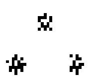
XI. Great men of England

Bishara Cassana

CONTENTS

When I saw the power of the British people increasing every day, and the progress and influence they have exerted in Egypt especially during their occupation, both as regards the Education and wealth of the Egyptian Population and their influence in every other part of the Globe, I desire to publish a book in the Arabic language containing full information about the British Nation, this subject as never having been previously dealt with in the East.

The book is divided into two Volumes :



SUBJECTS OF THE BOOK

PART I.

THE

ENGLISH WORLD

AN ARABIC WORK ON ENGLAND & THE ENGLISH

BY

BISHARA CANAAN

II. VOLUME

EMIN HINDIÉ EDITOR

CAIRO EGYPT

Printing Office HINDIÉ, Hakim Street, Ezbekieh, Cairo.